

**دليل
المسافر إلى المجر
الجزء الثاني**

تصميم الغلاف
عبد العزيز محمد



دليل المسافر إلى المجر

رواية

تأليف: دوغلاس آدمز

ترجمة: علي ريشة

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٢٢م

العنوان الأصلي للكتاب:

The Hitchhiker's Guide to the Galaxy

الكاتب: Douglas Adams

الناشر: Pan Box، 1979

المترجم: علي ريشة

الآراء والمواقف الواردة في الكتاب هي آراء المؤلف ومواقفه ولا تعبر
(بالضرورة) عن آراء الهيئة العامة السورية للكتاب ومواقفها.

أجزاء الثاني

المطعم في نهاية الكون

ثمة نظرية تنص على أنه ما إن يكتشف أحدهم عمل الكون
بالضبط وسبب وجوده هنا، فسيختفي الأخير ويتم استبداله حالاً
بشيء عصي على الفهم وأكثر غرابة.
ثمة نظرية أخرى تنص على أن ذلك حصل فعلاً.

مُقَدِّمَةٌ

القصة حتى الآن:

خُلِقَ الكون في البدء، ما أثار غضب الكثيرين من الناس وعُدَّت هذه الخطوة سيئة على نطاق واسع.

يؤمن العديد من الأجناس بأنه تم خلق الكون من قِبَل رَبِّ أو ما شابه، إلا أن شعب «الجاترافارتيد» في كوكب «فيلثودل (٦)» يؤمن بأنه تم عطس الكون برمته من أنف مخلوق يدعى «الآركلسيجر» الأخضر العظيم.

إنّ «الجاترافارتيد»، الذين يعيشون خوفاً مستمراً من زمن يدعونه «مجيء المنديل الأبيض العظيم»، عبارة عن مخلوقات زرق صغيرة يملك كل منها أكثر من خمسين ذراعاً، وبذلك يتميزون بكونهم الجنس الوحيد في التاريخ الذي يخترع مزيل الروائح البخاخ قبل العجالة.

ومع ذلك لم يتم القبول بنظرية «الآركلسيجر» الأخضر العظيم على نطاق واسع خارج «فيلثودل (٦)»، لذلك تم التماس تفاسير أخرى باستمرار، لأنّ الكون مكان مربك بطبعه.

ففي سبيل المثال، بنى جنس من مخلوقات البعد الفوقي شديدة الذكاء حاسوباً عملاقاً خارقاً لأنفسهم وأطلقوا عليه اسم «الفكر العميق» ليحسب لهم إجابة السؤال الجوهرى عن الحياة، الكون، وكل شيء. قام «الفكر العميق» بالحساب والحوسبة مدة سبعة ملايين ونصف المليون سنة، وأعلن في النهاية أنّ الإجابة كانت في الواقع اثنين وأربعين، لذا توجب بناء حاسوب آخر أكبر ليكتشف ماهية السؤال.

أُطلق على هذا الحاسوب اسم «الأرض» وكان كبيراً إلى درجة أنه غالباً ما اعتُقد خطأً بأنه كوكب، ولا سيما من قبل المخلوقات شبيهة القردة، التي تجولت على سطحه، غير مدركة على الإطلاق أنها ببساطة جزء من برنامج حاسوب عملاق.

كان ذلك غريباً، لأنه لم يكن شيء مما يحدث على الأرض منطقياً من دون هذه المعرفة البسيطة والواضحة.

ومن المؤسف أنه قبل لحظة الكشف الحاسمة تم تدمير الأرض بشكل غير متوقع من قبل «الثوغونيين» ليفسحوا المجال - كما يدعون - لمعبر فضاء فوقيّ، لذا ضاع كل الأمل باكتشاف معنى للحياة إلى الأبد، على ما يبدو.

نجا اثنان من المخلوقات الشبيهة بالقردة. فرّ آرثر دينت في اللحظة الأخيرة بعد أن تبين على حين غرة أن صديقه القديم، فورد بريفيكت، من كوكب صغير إلى جوار «بيتلجوس» وليس من «غيلدفوردي» كما كان يدعى حتى ذلك الوقت، أضف إلى ذلك أنه كان يعرف كيف يسافر متطفلاً على الصحن الطائرة.

أما تريشيا ماك ميليان - أو تريليان - فقد فرّت قبل ستة أشهر برفقة زيفود بيلبروكس، رئيس المجرة في حينها.

ناجيان اثنان، هما كل ما تبقى من أعظم تجربة تمّت لإيجاد السؤال الجوهرى الخاص بالإجابة الجوهرية عن الحياة، الكون، وكل شيء.

وعلى مسافة تبعد نصف مليون ميل أو أقل من مكان انسياق سفينتهم بتكاسل عبر سواد الفضاء القاتم، كانت تقترب منهم سفينة فوغونية ببطء.

الفصل الأول

كبقية السفن الفوغونية لم يتم تصميم هذه السفينة بشكل صلب. فمن الممكن للكتل والأورام الصفراء الكريهة التي نتأت منها على نحو قبيح أن تشوّه مظهر معظم السفن، لكن في حالتها كان ذلك يا للأسف مستحيلاً. تم رصد أشياء أكثر قبحاً في السماوات لكن ليس بوساطة شهود موثوقين.

في الواقع، كي ترى شيئاً أقبح من سفينة فوغونية عليك أن تدخلها وتنظر إلى فوغون. لكن إن كنت حكيماً فذلك تحديداً هو الشيء الذي ستتجنب فعله لأن الفوغون العادي لن يفكر مرتين قبل أن يتسبب لك بأذى أخرق وشنيع إلى درجة أنك ستتمنى لو أنك لم تولد، أو (إن كنت تفكر بطريقة أكثر صواباً) أن الفوغون لم يولد.

في الحقيقة لن يفكر الفوغون العادي حتى لمرة. إنهم مخلوقات قليلة الذكاء، صلبة الإرادة، بطيئة الفهم، ولم يكن التفكير شيئاً يبرعون فيه. يكشف التحليل التشريحي للفوغون أن دماغه عبارة عن كبد مشوه بشكل سيء، موضوع في غير محله ومصاب بسوء الامتصاص. لذا أنسب ما يمكنك قوله عنهم هو أنهم يعرفون ما يعجبهم، وما يعجبهم غالباً ما يتضمن إيذاء الناس والغضب بشدة متى أمكن ذلك.

الشيء الوحيد الذي لا يحبونه هو ترك العمل من دون أن يُنجز، بالتحديد هذا الثوغون، وبشكل خاص - لأسباب عديدة - هذا العمل.

إن هذا الثوغون هو الكابتن البروستيتني جيلتز من المجلس المجري لتخطيط الفضاء الفوقّي، وهو من عهد إليه تدمير ما دُعي «كوكب» الأرض.

حرّك جسمه الضخم القبيح في مقعده اللزج وغير المناسب وحدّق إلى شاشة المراقبة حيث تتم متابعة سفينة الفضاء «قلب الذهب» بانتظام.

لم يكن يعنيه كون «قلب الذهب»، بمحرك الاحتمالية اللامتناهية خاصتها، السفينة الثورية الأجل على الإطلاق، فهو لم يكن يعلم شيئاً عن الجماليات والتكنولوجيا، ولو أن الأمر منوط به لكان دمر هذه المفاهيم أيضاً.

ولم يكن يهمه كون زيفود بيلبروكس على متن السفينة. كان زيفود بيلبروكس الرئيس السابق للمجرة، وعلى الرغم من أن كل قوات الشرطة في المجرة كانت تلاحقه هو والسفينة التي سرقها، فإن الثوغون لم يكن مهتماً. كانت لديه أمور أكثر أهمية ليعنى بها.

من المعروف أن الثوغونيين لا يترفعون عن الرشوة والفساد على النحو نفسه الذي لا يرتفع فيه البحر عن السحب، وهذا كان صحيحاً في حالته، فكلمات مثل «الاستقامة» أو «الأخلاق الحسنة» كانت غريبة عنه، وكان يبيح كل شيء عند سماعه صلصلة الأموال بكميات كبيرة.

في سعيه الحاقداً إلى تدمير الأرض وكل من عليها كان يتخطى ويتجاوز حدود واجبه المهني. وهناك بعض الشك فيما تعلق بالمعبر المذكور وإن كان سيتم بناؤه حقاً أم لا، لكن جرى التعطيم على الأمر برمته. أصدر صوتاً كريهاً يُعبّر عن الرضا ونقّ قائلاً: «حاسوب، صلني باختصاصي العناية بالدماغ خاصتي».

في ثوان معدودة ظهر على الشاشة وجه «غاغ هالفرت» يتسم ابتسامة رجل يعلم أنه على بعد عشر سنين ضوئية من وجه القوغون الذي كان ينظر إليه. امتزجت ومضة من السخرية في مكان ما من الابتسامة. وعلى الرغم من أنّ القوغون أصرّ أن يشير إليه بأنه «اختصاصي العناية بالدماغ خاصتي» فلم يكن هنالك الكثير من الدماغ للعناية به، وكان القوغون في الواقع من يعمل لدى هالفرت، لقاء أموال طائلة، للقيام ببعض الأعمال القذرة جداً. وكأحد أبرز وأنجح الأطباء النفسيين في المجرة، كان هالفرت وجماعة من زملائه مستعدين لدفع كميات ضخمة من المال عندما بدا أن مستقبل الطب النفسي بأكمله على المحك.

قال: «حسناً، مرحباً يا كابتن القوغونيين البروستيتيني، وكيف حالنا اليوم؟»

أخبره الكابتن القوغوني أنه قضى على نصف طاقمه في الساعات القليلة الماضية خلال نشاط تآديبي.

لم تضطرب ابتسامة هالفرت للحظة، وقال: «حسناً، أعتقد أن هذا سلوك طبيعي تماماً لقوغون، أتعلم ذلك؟ التوجيه الطبيعي والصّحي للغرائز العدوانية إلى أعمال عنف لا معنى لها».

قعقع القوغون قائلاً: «ذلك ما تقوله دائماً».

قال هالفرت: «من جديد، أعتقد أن هذا سلوكٌ طبيعيٌّ تماماً لطبيب نفسي، جيد، كلانا مضبوط على نحو جيد اليوم بالنظر إلى وضعنا العقلي. أخبرني الآن، ما أخبار المهمة؟»
- «لقد حددنا موقع السفينة».

قال هالفرت: «رائع، رائع، والركاب؟»

- «الأرضيِّ هناك».

- «ممتاز! و...؟»

- «أنثى من الكوكب نفسه، إنها آخر اثنين».

ازدادت إشراقة ابتسامة هالفرت وقال: «جيد، جيد، من أيضاً؟»

- «الرجل بريفيكت».

- «أجل؟»

- «وزيفود بيلبروكس».

اضطربت ابتسامة هالفرت لوهلة، وقال: «آه، نعم، كنت أتوقع الأمر، يؤسف لذلك جداً».

استفسر القوغون: «أيكون صديقاً شخصياً؟»، فقد تعلّم هذا التعبير في مكان ما وقرر أن يجربه.

قال هالفرت: «آه، لا، كما تعلم في مهنتي لا نتخذ أصدقاء

شخصيين».

قَبَعَ القُوغُون: «آه، عزلة مهنية».

قال هالفرت بمرح: «لا، نحن لا نمتلك البراعة فحسب».

توقف مؤقتاً، وتابع فمه الابتسام لكن عينيه عبستا قليلاً، وقال: «إنها، كما تعلم فإن بيلبروكس واحد من أكثر عملائي فائدة، لديه مشكلات نفسية تتعدى أحلام أي محلل نفسياني».

تأمل هالفرت في هذه الفكرة قبل أن يصرف النظر عنها على مضض، وقال: «على الرغم من ذلك، هل أنت مستعد لواجبك؟»

- «نعم».

- «جيد، دمر السفينة حالاً».

- «ماذا عن بيلبروكس؟»

قال هالفرت بابتهاج: «حسناً، إن زيفود مجرد شخص كما تعلم». ومن ثم اختفى عن الشاشة.

ضغط الكابتن القوغوني زر اتصال أوصله مع من تبقى من طاقمه وقال: «هجوم».

في تلك اللحظة تحديداً كان زيفود بيلبروكس في القمرة يسب ويشتم بصوت عالٍ. قال منذ ساعتين إنهم سيذهبون لتناول الطعام بسرعة في المطعم في نهاية الكون، من ثم تشاجر بعنف مع حاسوب السفينة واقترح القمرة خاصته صائحاً بأنه سيحسب معاملات الاحتمالية بقلم رصاص.

جعل محرك اللااحتمالية من «قلب الذهب» أكثر سفينة قوة وصعوبة للتوقع في الوجود. لا يوجد شيء لا يمكنها فعله، إن كنت تعلم بالضبط مدى لااحتمالية أن يحصل الشيء الذي أردتها أن تفعله.

سرقها عندما كان يتوجب عليه كرئيس أن يطلقها، ولم يعلم بالضبط لم سرقها، إلا أنه أحبها.

لم يعرف لم أصبح رئيساً للمجرة، إلا أنه بدا أمراً مفرحاً.

كان يعلم أن هنالك أسباباً أفضل من هذه، لكنها مدفونة في القسم المظلم والمقفل من دماغه. تمنى لو يذهب القسم المظلم والمقفل من دماغه بعيداً لأنه كان يعوم أحياناً بشكل مؤقت ويضع أفكاراً غريبة في الأقسام المرحة والمضيئة من عقله محاولاً أن يحرفه عما كان يراه العمل الأساس في حياته، وهو أن يمضي وقتاً رائعاً بحق.

في هذه اللحظة لم يكن يمضي وقتاً رائعاً بحق، فقد نفذ صبره ونفدت أقلامه الرصاصية، وكان يشعر بالجوع الشديد. صرخ: «ستارباكس!»

في هذا الوقت تحديداً كان فورد بريفيكت في منتصف الهواء، ليس بسبب عطل في حقل جاذبية السفينة الاصطناعي، بل لأنه كان يقفز إلى أسفل السلم المؤدي إلى القمّرات الشخصية في السفينة. كانت قفزة أكبر من أن تتم دفعة واحدة فهبط على نحو أخرق، تعثر، استعاد توازنه، وأسرع إلى آخر الرواق متسبباً بطيران زوج من روبوتات الخدمة المصغّرة، ترحلق حول الزاوية، واقتحم باب زيفود وشرح ما كان يفكر فيه. قال: «فوغونيون».

قبل ذلك بقليل كان آرثر دينت قد خرج من قمرته بحثاً عن كوب شاي. لم يكن ليشرع في هذا البحث بكثير من التفاؤل لأنه عرف أن مصدر المشروبات الحارة الوحيد على ظهر السفينة هو جهاز جاهل صنعته شركة «سيريروس سايرنيتكس»، ويدعى مُرَكَّب المشروبات «نوتري-ماتيك»، وكان آرثر قد قابله من قبل.

كان الجهاز يدّعي إنتاج أوسع تشكيلة من المشروبات المطابقة لأيض وأذواق أي أحد مهتم باستخدامه. لكن، لما تم اختباره أنتج بشكل ثابت كوباً بلاستيكياً مملوءاً بسائل لا يشبه الشاي في أي شيء. حاول آرثر أن يجادل ذلك الشيء.

قال: «شاي».

ردت الآلة: «شارك واستمتع»، وأعطته كوباً آخر من ذلك السائل البائس. رماه آرثر بعيداً.

أعدت الآلة القول: «شارك واستمتع»، وأعطته كوباً آخر. إن «شارك واستمتع» هو شعار قسم الشكاوى ذي النجاح الهائل في شركة سيريروس سايرنيتكس، الذي يغطي حالياً المساحات الأساسية لثلاثة كواكب متوسطة الحجم، وهو القسم الوحيد الذي بدا ذا فائدة مستمرة في الشركة إبان السنوات الأخيرة.

ينتصب الشعار - أو بالأحرى انتصب - بحروف مضاءة ترتفع ثلاثة أميال بالقرب من المعبر الفضائي لقسم الشكاوى على كوكب «إيدراكس». إنما لسوء الحظ فقد كان وزن هذه الحروف كبيراً إلى درجة أنه بعد فترة

قصيرة من انتصابها خسفت الأرض تحتها فنزلت الحروف إلى نصف طولها عبر مكاتب موظفي الشكاوى الشبان والموهوبين، الميتين.

أما النصف العلوي الناتئ فإنه يُقرأ باللغة المحلية: «أذهب وأدخل رأسك في خنزير»، ولم يعد مضاءً إلا في أوقات الاحتفالات الخاصة.

رمى آرثر كوباً سادساً من السائل وقال: «اسمعي أيتها الآلة، تدعين أنك تستطيعين مزج أي شراب في الوجود، فلم لا تفكين تعطيني المادة غير القابلة للشرب نفسها؟»

ثرثرت الآلة: «بيانات الإحساس بالتغذية والسرور، شارك واستمتع».

- «طعمها قدر!»-

تابعت الآلة: «إن كنت استمتعت بتجربة هذا الشراب، فلم لا تشاركه مع أصدقائك؟»

قال آرثر بحدّة: «لأنني أريد الاحتفاظ بهم، هلاً حاولت فهم ما أقوله لك؟ ذلك الشراب...»

قالت الآلة بكياسة: «صنع هذا الشراب بمفرده خصيصاً ليُلبى حاجتك الشخصية من التغذية والسرور».

قال آرثر: «آه، إذاً فأنا ماسوشي يمارس حمية غذائية أليس كذلك؟»

- «شارك واستمتع».

- «أخربي».

- «هل ذلك كل شيء؟»

قرر آرثر أن يستسلم فقال: «نعم»، ثم قرر أنه سيكون ملعوناً لو استسلم. قال: «لا، اسمعي، الأمر بسيط جداً... كل ما أريده... هو كوب من الشاي. ستصنعين واحداً لأجلي. فاصمتي واستمعي».

جلس وأخبر النوتري -ماتيك عن الهند، أخبرها عن الصين، أخبرها عن سيلان، أخبرها عن الأوراق العريضة المجففة تحت الشمس، وأخبرها عن أباريق الشاي الفضية، أخبرها عن أوقات الظهيرة الصيفية في المرج، وأخبرها عن وضع الحليب قبل الشاي كي لا يسخن، حتى إنه أخبرها - بشكل موجز - عن تاريخ شركة الهند الشرقية.

قالت النوتري -ماتيك عندما انتهى: «هذا كل شيء إذا؟»

قال آرثر: «نعم، هذا ما أريده».

- «تريد طعم أوراق مجففة مغلّية في الماء؟»

- «إي، نعم، مع الحليب».

- «منبتق من بقرة؟»

- «حسناً، كما تقولينها على ما أظن...»

قالت الآلة بإيجاز: «سأحتاج إلى بعض الوقت في هذه». اختفت كل الثرثرة المبتهجة من صوتها وكانت جادة الآن.

قال آرثر: «حسناً، هل يمكنني المساعدة في أي شيء؟»

أخبرته النوتري -ماتيك: «لقد ساعدت بشكل كاف». واستدعت حاسوب السفينة.

قال حاسوب السفينة: «مرحباً!»

شرحت النوتري-ماتيك لحاسوب السفينة عن الشاي، فأجفل الحاسوب، ووصل دارات منطقية بالنوتري-ماتيك وانقطعا معاً في صمت متجهّم.

انتظر آرثر وراقب لوهلة، لكن لم يحصل شيء بعد ذلك، فضربها ولم يحصل شيء.

استسلم في النهاية وصعد إلى منصة ربان السفينة.

تعلقت قلب الذهب بثبات في فراغ الفضاء الواسع، وأضاءت حولها تُقيّبات المجرة المليار، واتجهت نحوها الكتلة الصفراء القبيحة للسفينة الفلوقونية.

الفصل الثاني

قال آرثر وهو يخطو إلى المنصة: «هل يملك أحدكم إبريق شاي؟» وبدأ يتحير من فوره من سبب صياح تريليان على الحاسوب ليكلّمها، وكان فورد يلكمه وزيفود يركله، وأيضاً من سبب وجود كتلة صفراء قذرة على شاشة العرض.

وضع كوباً فارغاً كان يحمله واتجه نحوهم، قال: «مرحباً؟»

دفع زيفود بنفسه في تلك اللحظة إلى أسطح الرخام الملمّعة التي حوت معدات التحكم بمحرك «الفوتون» التقليدي.

تشكلت هذه المعدات تحت يديه، ثم غير إلى وضع التحكم اليدوي. دَفَع، سَحَبَ، ضَغَطَ وَشَتَمَ. اهتز المحرك بتوعك وانطفأ من جديد.

قال آرثر: «هل حدث شيء؟»

دمدم زيفود مع قفزه نحو المتحكمات اليدوية لمحرك اللااحتمالية اللامتناهية: «هيه، هل سمعتم ذلك؟ تكلم القرد!»

أصدر محرك اللااحتمالية طّبتين صغيرتين ثم انطفأ أيضاً.

قال زيفود، راکلاً محرك اللااحتمالية: «تاريخ صرف يا رجل. قرد

متكلم!»

قال آرثر: «إن كنت منزعجاً من شيء...»

قاطعته فوراً: «ثو غونيون! نحن نتعرض للهجوم!»

ثرثر آرثر قائلاً: «إذاً ما الذي تفعلونه؟ لنذهب من هنا!»

- «لا نستطيع، الحاسوب معلق».

- «معلق؟»

- «يقول إن داراته محجوزة، ولا توجد طاقة في أي مكان من السفينة».

ابتعد فوراً عن وحدة الحاسوب، ومسح كفه على جبهته وسقط فجأة على الحائط.

قال محدقاً للشيء: «لا يوجد ما يمكننا فعله،» وعصّ على شفته.

قبل أن تُدمر الأرض بفترة طويلة، عندما كان آرثر ولداً في المدرسة، كان يلعب كرة القدم، ولم يكن بارعاً بها، كان اختصاصه بالتحديد تسجيل أهداف في مرمى فريقه في المباريات المهمة. عند حدوث ذلك كان يشعر بوخز غريب حول مؤخرة عنقه لينسل ذلك الوخز إلى وجنتيه ويسخن جبينه.

أتت صورة الوحل والأعشاب، التي يرميها عليه العديد من الأولاد الساخرين، فجأة إلى عقله في تلك اللحظة. وانسلّ الوخز الغريب في مؤخرة عنقه إلى وجنتيه وسخن جبينه.

بدأ يتكلم، ثم توقف.

بدأ يتكلم مجدداً، ثم توقف مجدداً.

تمكن في النهاية من الكلام.

سَعَلَ قائلاً: «إي،» وتابع: «أخبروني،» قالها بتوتر إلى درجة أن الآخرين استداروا لينظروا إليه. حدّق البقعة الصفراء على شاشة العرض وقال مجدداً: «أخبروني، هل قال الحاسوب ما الذي يحجزه؟ أتساءل من موضع اهتمام...»

تثبتت أعينهم عليه بإحكام.

«و، إي... ذلك كل ما في الأمر حقاً، مجرد سؤال.»

أخرج زيفود يداً وأمسك بآرثر من مؤخرة عنقه هامساً: «ما الذي فعلته بالحاسوب أيها القرد البشري؟»

قال آرثر: «حسناً، لا شيء في الواقع. أظن أنه منذ هنيهة كان الحاسوب يحاول فهم كيف...»

- «نعم؟»

- «يصنع لي بعض الشاي.»

صدح الحاسوب فجأة: «هذا صحيح يارفاق، أقوم بحل هذه المشكلة الآن، ويا للهول، إنها كبيرة، سأكون معكم بعد قليل.» وانقطع مجدداً إلى صمت لا يوازيه إلا شدة الصمت التام للأشخاص الثلاثة المحدقين بآرثر دينت.

كأن الفوغونيين - لتخفيف التوتر - اختاروا تلك اللحظة لبدء إطلاق النار.

رعدت السفينة واهتزت، تقرح درع الحماية الخارجي الذي تبلغ سماكته إنشاً، طقطق واضطربت فيه النار بسبب وابل نيران دسنة من مدافع «القتل-المؤكد ٣٠-ميغاهيرت الفوترازونية»، وبدا أنه لن يتحمل طويلاً، كانت المدة التي توقعها له فورد بريفيكت هي أربع دقائق، وقال بعد وهلة قصيرة: «ثلاث دقائق وخمسون ثانية».

أضف في الوقت المناسب: «خمس وأربعون ثانية». ونقر من دون جدوى على بعض المفاتيح العقيمة، ثم نظر إلى آرثر نظرة عدائية وقال: «كنت مستميتاً لأجل كوب من الشاي، أليس كذلك؟ ثلاث دقائق وأربعون ثانية».

زجر زيفود: «هلاً توقفت عن العد!»

قال فورد بريفيكت: «نعم، سأتوقف في ثلاث دقائق وخمس وثلاثين ثانية».

كان الثوغون البروستيتني جيلتز مرتبكاً على ظهر السفينة الثوغونية، فلقد توقع مطاردة، وتوقع اشتباكاً مثيراً بالأشعة الحرارية، وتوقع أن يضطر إلى استخدام محرك الحالة السوية «سب-سايكلك أسيرت-إي-ترون» المركب خصيصاً لمجابهة محرك اللااحتمالية اللامتناهية لقلب الذهب، لكن محرك الحالة السوية «سب-سايكلك أسيرت-إي-ترون» ظل بلا عمل في حين راحت قلب الذهب تتلقى الضربات.

استمرت دسنة مدافع «القتل-المؤكد ٣٠-ميغاهيرت الفوترازونية» بإطلاق النار على قلب الذهب، وبقيت الأخيرة ساكنة تتلقى الضربات.

تفقد كل الحساسات التي في تصرّفه ليرى إن كان بانتظاره أي تحايل ومكر، لكن لم يوجد أي تحايل ومكر. بالطبع فهو لم يعلم شيئاً عن الشاي، ولم يعلم بالضبط كيف كان ركاب قلب الذهب يقضون دقائقهم الثلاث والثلاثين ثانية الأخيرة المتبقية من حياتهم.

لم يتمكن زيفود بيلبروكس من معرفة كيف خطر له عقد اجتماع لمخاطبة الموتى في هذه المرحلة. من الواضح أن موضوع الموت كان حاضراً، لكن كشيء يجب تجنبه، وليس للعزف عليه.

من الممكن أن الرعب الذي عاناه زيفود بيلبروكس من إمكان الاتحاد ثانية مع أقربائه الموتى قاد إلى فكرة أنهم قد يشاطرونه الإحساس نفسه تجاهه هو، أضف إلى أنهم قد يتمكنون من فعل شيء لتأجيل هذا الاتحاد.

أو يمكن أن يكون أحد التلقينات الغريبة التي كانت تطفو أحياناً من تلك المنطقة المظلمة في عقله، التي أبقاها مقفلة بشكل يتعذر تفسيره قبل أن يصبح رئيساً للمجرة.

أجفل فورد قائلاً: «تريد أن تكلم جدك الأكبر؟»

- «أجل».

- «هل يجب أن تتكلم الآن؟»

راحت السفينة تهتز وترعد، وأخذت درجة الحرارة في الارتفاع، أما الإضاءة فأصبحت أبهت، كل الطاقة التي لم يحتجها الحاسوب للتفكير في الشاي كانت تُضخ على نحو متسارع إلى الدرع الآخذ في التآكل.

أصر زيفود: «أجل! اسمع يا فورد، أظنه قد يكون قادراً على مساعدتنا».

- «هل أنت متأكد من أنك تظن؟ كن حذراً في انتقاء كلماتك».

- «اقترح شيئاً آخر يمكننا فعله».

- «إي، حسناً...»

- «حسناً، تجمعوا حول المنصة المركزية، الآن، هيا! تريليان، القرد البشري، تحركا».

تجمعوا حول المنصة المركزية بارتباك، جلسوا، أمسكوا بأيدي بعضهم وهم يشعرون بالتفاهة على نحو استثنائي. أطفأ زيفود النور بيده الثالثة. استحوذت الظلمة على السفينة.

استمر مدفع القتل - المؤكد في الخارج يشق الدرع وهو يهدر مدوياً.

هسهس زيفود قائلاً: «ركّزوا على اسمه».

سأل آرثر: «ما اسمه؟»

- «زيفود بيلبروكس الرابع».

- «ماذا؟»

- «زيفود بيلبروكس الرابع. ركّزوا!»

- «الرابع؟»

- «أجل. اسمع، أنا زيفود بيلبروكس، والدي كان زيفود بيلبروكس

الثاني، جدي كان زيفود بيلبروكس الثالث...»

- «ماذا؟»

- «كان هنالك حادث مع مانع الحمل وآلة الزمن. ركّز الآن!»

قال فورد بريفيكت: «ثلاث دقائق».

قال آرثر دينت: «لم نقوم بهذا؟»

اقترح زيفود بيبلبروكس قائلاً: «اخرس».

لم تقل تريليان شيء، فكّرت، ماذا يمكن أن يُقال؟

أتى الضوء الوحيد على المنصة من مثلثين أحمرين باهتين في الزاوية البعيدة حيث جلس مارفن، الآلي المصاب بجنون الاضطهاد، منخفضاً، مُتجاهلاً الجميع ويتجاهله الجميع، في عالمه الخاص والبغض إلى حد ما.

انحنت أربعة أجسام حول المنصة المركزية بتركيز شديد محاولين أن يمحوا من أذهانهم ارتعاد السفينة المروّع والهدير المرعب الذي انتقل صداه عبرها.

ركّزوا. استمروا في التركيز. واستمروا في التركيز.

مضت الثواني.

ظهرت على جبين زيفود قطرات من العرق، أولاً بسبب التركيز، ومن الإحباط، وأخيراً من الإحراج. في النهاية أطلق صرخة غضب، وانتزع يديه من تريليان وفورد وحاول تشغيل المصباح.

قال صوت: «آه، لقد بدأت أفكر أنك لن تشغل المصباح أبداً».

- «لا، أرجوك، لا تجعله ساطعاً جداً، عيناى ليستا ما كانتا عليه من قبل».

ارتجت أربعة أجسام في مقاعدها، وأدارت رؤوسها ببطء لتتنظر، على الرغم من أن فروات رؤوسها أظهرت ميلاً استثنائياً لأن تجرب الثبات وفق الوضعية نفسها.

قال جسم منحني، هزيل وصغير: «الآن، من الذي يزعجني في هذا الوقت». كان يقف بالقرب من مرشات السرخس في الطرف البعيد من المنصة. بدا رأساه، قشياً-الشعر الصغيران، قديمان إلى درجة أنها قد يحتويان ذكريات مبهممة عن ولادة المجرات أنفسها. تدلى أحدهما نائماً، أما الآخر فنظر شزراً وبحدة إليهم. إن لم تكن عيناه ما كانتاه في السابق، فلا بد أنها كانتا قطعاً الماس.

تأتا زيفود بتوتر للحظة، ثم أوماً برأسه الإيلاءة المزدوجة الصغيرة والمعقدة التي هي تقليد بيتلجوسي للاحترام الأسري.

همس قائلاً: «أوه... إي، مرحباً يا جدي الأكبر»...

تحرك الجسم الصغير مقترباً منهم، وحدق عبر الضوء الخافت، ودفع بإصبع نحيل نحو ابن حفيده مخاطباً إياه بسرعة وحدة: «آه، زيفود بيبلر وكس، الأخير في سلالتنا العظيمة. زيفود بيبلر وكس اللاشيء».

- «الأول»-

بصق الجسم قائلاً: «اللاشيء»، كره زيفود صوته، لطالما بدا له كصوت أظافر تحدش سبورة أحب أن ينظر إليها بأنها روحه. تحرك على نحو مرتبك في مقعده وتمتم قائلاً: «إي، أجل، إي، اسمع، أنا آسف من أجل الزهور، كنت أريد إرسالها، لكن كما تعلم، كانت الأكاليل قد نفدت من المتجر و...»

قاطعہ زیفود بیلبروکس الرابع: «لقد نسيت!»

- «حسناً»...

- «مشغول جداً، لا تفكر أبداً في الآخرين، الأحياء جميعهم كذلك».

همس فورد برعب: «دقيقتان يا زيفود،»

تلملم زيفود بتوتر وقال: «نعم، لكنني أردت إرسالها، وسوف أكتب إلى جدي أيضاً، بمجرد أن نخرج من هذه...»

قال الجسم المنحني الصغير لنفسه متأملاً: «جدتك الكبرى».

قال زيفود: «نعم، إي، كيف حالها؟ سأخبرك بأمر، سوف أذهب لرؤيتها، لكن أولاً يجب أن...»

قال زيفود بيلبروكس الرابع بصوت خشن: «أنا وجدتك الكبرى الراحلة بخير».

- «آه، آوه».

- «لكن أملنا خائب بك كثيراً يا زيفود الشاب»...

قال زيفود: «أجل، حسناً»... شعوره كان غريباً بأنه أضعف من أن يتحكم بمسار هذه المحادثة، ونفس فورد المجهد إلى جانبه أخبره بأن الثواني تمر بسرعة. كان الضجيج والاهتزاز قد وصلا إلى درجات مرعبة. شاهد وجهها تريليان وآرثر أبيضين وجامدين في الظلام.

- «إي، يا جدي الأكبر»...

- «لقد كنا نتابع تقدمك بقنوط كبير»...

- «أجل، اسمع، في هذه اللحظة تحديداً كما تعلم...»

- «لا داعي لأن أقول باحتقار كبير!»

- «هل يمكنك الاستماع لوهلة...؟»

- «أقصد ما الذي تفعله تحديداً في حياتك؟»

صاح زيفود: «يهاجمني الآن أسطول ثوغوني!» كان ذلك مبالغاً فيه، لكنه فرصته الوحيدة حتى الآن للوصول إلى النقطة الأساسية من الاجتماع. هزّ الجسم العجوز الصغير كتفيه بلا مبالاة قائلاً: «لا يفاجئني ذلك البتة».

أصرّ زيفود على نحو محموم: «إلا أن الأمر يحصل الآن كما ترى». أوماً السلف الطيفي برأسه، والتقط الكوب الذي جلبه آرثر دينت وراح يعاينه بتمعن.

- «إي... يا جدي الأكبر...»

قاطعته الجسم الشبهي وهو ينظر إليه نظرة متجهمة: «هل تعلم أن بيتلجوس الخامس قد أظهر شذوذاً صغيراً في مداره؟»

لم يعلم زيفود بالأمر، ووجد أن من الصعب التركيز على المعلومة مع كل الضجيج والموت الوشيك وإلى ما هنالك. قال: «إي، لا... اسمع».

صاح السلف خابطاً الكوب: «أنا أدور في قبري!» وأشار بإصبع مرتعش، كعصا، إلى زيفود وصرخ قائلاً: «ذنبك!»

تمتم فوررد وقد وضع رأسه بين يديه: «دقيقة وثلاثون ثانية».

- «أجل، اسمع يا جدي الأكبر، هل يمكنك حقاً المساعدة لأنه...»

هتف العجوز كأنه سُئل عن حيوان القاقم: «مساعدة؟»

- «أجل، مساعدة، الآن مثلاً، وإلا...»

كرر العجوز كأنه سُئل عن حيوان القاقم مشوياً قليلاً وموضوعاً في
كعكة مع البطاطا المقلية: «مساعدة!»، ووقف مذهولاً.

حرك السلف يده باحتقار قائلاً: «طف أنت حول المجرة مع
أصدقائك سيئي السمعة، فتكون مشغولاً كثيراً عن وضع الزهور على
قبري، حتى البلاستيكية منها كانت لتكون كافية، ممكن أن تكون مناسبة
منك، لكن لا، مشغول جداً، متطور جداً، شكاك جداً، إلى أن تجد نفسك
فجأة في ورطة صغيرة وتأتي على حين غرة واهم العقل تماماً!»

هز رأسه بحذر، كما لو أنه لا يريد أن يقاطع نوم رأسه الآخر، الذي
بدأ يضجر في ذلك الوقت، وتابع قائلاً: «حسناً، لا أعلم يا زيفود الشاب،
أعتقد أن عليّ التفكير في هذه المرة».

قال فورد بكآبة: «دقيقة وعشر ثوان».

حدّق زيفود ببيلبروكس الرابع إلى فورد بفضول وقال: «لم لا ينفك
ذلك الرجل يتكلم بالأرقام؟»

قال زيفود بإيجاز: «هذه الأرقام، هي الوقت المتبقي لنا كي نعيش».

قال الجد الأكبر: «أوه»، ونَحَرَ لنفسه، ثم قال: «بالطبع لا ينطبق
الأمر عليّ»، وتحرك إلى تجويف أكثر ظلمة في المنصة باحثاً عن شيء آخر
ليسخر منه.

شعر زيفود بأنه يتأرجح على حافة الجنون وتساءل إن توجب عليه القفز والانتهاه من الأمر. قال: «يا جدي الأكبر، إن الأمر ينطبق علينا! نحن لا نزال أحياء ونوشك أن نخسر حيواتنا».

- «أحسنت صنعاً أيضاً».

- «ماذا؟»

- «ما الفائدة المرجوة من حياتك لأيّ كان؟ حينما أفكر في ما صنعتها بها تراود ذهني عبارة 'غير كفي' على نحو لا يقاوم».

- «لكنني كنت رئيس المجرة يا رجل!»

تمتم سلفه: «هاه، وما يكون عمل كهذا لدى بيبليروكس؟»

- «هيه، ماذا؟ مجرد رئيس كما تعلم! لكل المجرة!»

- «جرو صغير مغرور».

طرفت عينا زيفود بارتباك.

- «هيه، ما الذي أنت بصدده يا رجل؟ أقصد يا جدي الأكبر».

مشى الجسم الصغير المنحني إلى ابن حفيده ونقره بشدة على ركبته، ولأنه لم يشعر بشيء فقد كان تأثير الأمر على زيفود أن ذكره بأنه يكلم شبحاً.

«نعلم أنت وأنا ما يعنيه أن تكون رئيساً يا زيفود الشاب. أنت تعلم لأنك كنت كذلك، وأنا أعلم لأنني ميت، ما يعطيني منظوراً رائعاً لا تشوبه شائبة. لدينا قول مأثور هنا 'الحياة مبددة على الأحياء'».

قال زيفود بمرارة: «أجل، جيد جداً، عميق جداً، ما أحجاجة الآن هو أقوال مأثورة مثلما أحجاجة ثقوباً في رأسي».

شخّر فورد بريفيكت: «خمسون ثانية».

قال زيفود ببيلبروكس الرابع: «أين كنا؟»

قال زيفود ببيلبروكس: «في الوعظ».

- «آه، نعم».

تمت فورد بصمت إلى زيفود: «هل يمكن لهذا الشخص حقاً أن يساعدنا؟»

همس زيفود: «لا يستطيع أحد غيره».

أوما فورد برأسه قانطاً في حين كان الشيخ يقول: «لقد أصبحت رئيس المجرة لسبب يا زيفود، هل نسيت؟»

«هل يمكننا الخوض في ذلك لاحقاً؟»

أصرّ الشيخ قائلاً: «هل نسيت؟»

- «أجل! بالطبع نسيت! كان عليّ أن أنسى، يفحصون دماغك عندما تحصل على الوظيفة كما تعلم. فلو وجدوا رأسي ممتلئاً بالأفكار المخادعة لكنت أصبحت خارجاً في الشوارع مجدداً وليس بحوزتي شيء سوى معاش تقاعدي ضخمة، وموظفين سكريتاريين، وأسطول من السفن وحنجرتين مقطوعتين».

أوما الشيخ برأسه مرتاحاً وقال: «آه، إذا أنت تتذكر!»

توقف مؤقتاً لوهلة، وتابع: «جيد»، وتوقف الضجيج.

قال فوراً: «ثمان وأربعون ثانية»، نظر مجدداً إلى ساعته ونقرها، ثم

رفع نظره وقال: «هيه، توقف الضجيج».

أومضت طرفة عين عابثة في عيني الشبح الصغيرتين والقاسيتين.

قال: «لقد أبطأت الزمن لوهلة، لوهلة فقط، أتفهمون. فأنا أكره أن يفوتكم

كل ما سأقوله».

قال زيفود قافزاً من كرسيه: «لا، استمع إلي أنت أيها الخفاش المتبصر،

أولاً: شكراً لك لأجل إيقاف الزمن وما شابه ذلك، عظيم، مذهل، رائع،

لكن ثانياً: لا تشكر لأجل العظة الدينية، أليس كذلك؟ لا أدري ماهية

الشيء العظيم الذي يجب أن أفعله، ولا يبدو أنه يفترض بي معرفته، وأنا

أستاء من ذلك، جيد؟

أنا القديم، كان يعرف، كان مهتماً، حسناً، كل شيء تحت السيطرة

حتى الآن، إلا أن أنا القديم اهتم أكثر من اللازم فولج إلى داخل دماغه -

دماغي - وأقفل الذرات التي عرفت واهتمت، لأني لو عرفت أو

اهتمت لما تمكنت من فعلها، لما تمكنت من أن أصبح رئيساً، ولما تمكنت من

سرقة هذه السفينة، التي يجب أن تكون شيئاً مهماً. لكن شخصي السابق هذا

قتل نفسه، ألم يفعل ذلك، بتغيير دماغي؟ حسناً، ذلك كان خياره، أنا

الجديد لديه خياراته الخاصة، وتشمل هذه الخيارات بمصادفة غريبة عدم

المعرفة وعدم الاهتمام بهذا الرقم الكبير، أياً يكن. هذا ما أراده، هذا ما

حصل عليه.

إلا أن شخصي القديم حاول أن يبقى مسيطراً، تاركاً أوامر لي في ذرات دماغي التي أقتلها. حسناً، لا أريد أن أعرف، ولا أريد أن أسمعهم، هذا خيارى، لن أكون ألعوبة لأحد، تحديداً نفسي».

ضرب زيفود المنصة بغضب وهو غافل عن النظرات البلهاء التي كان يجذبها.

تكلم بحماس قائلاً: «أنا القديم ميت! قتل نفسه! لا يجدر بالموتى أن يتجولوا محاولين التدخل في الأحياء!»

قال الشبح: «ومع ذلك فلقد استحضرتني لأساعدك في تجاوز معضلة».

قال زيفود وهو يجلس مجدداً: «آه، إن ذلك مختلف، أليس كذلك؟» وابتسم لتريليان بضعف.

قال الشبح: «يا زيفود، إن السبب الوحيد الذي يدفعني إلى هدر أنفاسي معك هو أنه ليس لدي استخدام آخر لها لأنى ميت».

قال زيفود: «حسناً، لم لا تخبرني ما هو السر الكبير، جربني».

- «لما كنت رئيساً للمجرة كنت تعرف يا زيفود، كما عرف يودن فرانكس من قبلك، أن الرئيس لا شيء، صفر. في مكان ما خلف الستار يوجد رجل آخر، مخلوق، شيء ما، يمتلك القوة المطلقة. عليك إيجاد ذلك الرجل، أو المخلوق، أو الشيء الذي يتحكم بهذه المجرة، ومجرات أخرى كما نعتقد، ربما الكون بأسره».

- «لم؟»

هتف شبح مذهول: «لم؟ لم؟ انظر من حولك يا فتى، هل يبدو لك
المكان برعاية جيدة؟»
- «لا بأس به».

حملق به الشبح القديم وقال: «لن أجادلك، ستأخذ ببساطة هذه
السفينة ذات محرك اللااحتمالية إلى حيث هي مطلوبة. ستفعل ذلك، لا تظن
أن بإمكانك الهرب من غايتك، حقل اللااحتمالية يتحكم بك، أنت في
قبضته. ما هذا؟»

كان يقف وهو ينقر على أحد وحدات «إيدي»، حاسوب السفينة.
أخبره زيفود.

- «وما الذي يفعله؟»

قال زيفود بتحفظ عجيب: «إنه يحاول أن يصنع شاي».

قال الجد الأكبر: «جيد، أوافق على ذلك، والآن يا زيفود،» تابع وهو
يستدير موجهاً إصبعاً مهتزازاً إليه: «لا أعلم إن كنت قادراً على النجاح في
عملك. أعتقد أنه لن يكون بمقدورك تجنبه، ومع ذلك فأنا ميت منذ زمن
بعيد ومتعب جداً بشكل لا يسمح لي بالاهتمام أكثر مما فعلت. السبب
الرئيس في مساعدتي لك الآن هو أنني لا أستطيع تحمل فكرة أنك تتمشى
أنت وأصدقاؤك العصريون عندنا في الأعلى، مفهوم؟»

- «أجل، شكراً جزيلاً».

- «أوه، ويا زيفود؟»

- «نعم؟»

- «إن وجدت نفسك في حاجة إلى مساعدة من جديد كما تعلم، إن كنت في مأزق، تحتاج إلى مساعدة من موقف حرج...»

- «نعم؟»

- «أرجوك لا تتردد في الغروب عن وجهي.»

في غضون ثانية، لمعت صاعقة ضوئية من يدي الشبح القديم الذابل إلى الحاسوب، واختفى الشبح، وامتلأت المنصة بكتلة من الدخان، وقفزت قلب الذهب مسافة غير معروفة عبر أبعاد الزمان والمكان.

الفصل الثالث

على بعد عشر سنوات ضوئية، زاد غاغ هالفرنت من ابتسامته لتكشف عن أسنان عدة، وهو يراقب الصورة على شاشة المراقبة خاصته التي كانت تنقل البث عن طريق «السب-إيثر» من منصة السفينة الشوغونية، شاهد آخر القطع الصغيرة لدرع الحماية الخاص بقلب الذهب تتمزق مع اختفاء السفينة نفسها في نفخة من الدخان.

فَكَرَّ في الأمر، جيد.

إنها نهاية آخر ناجيين تائهيين من التدمير الذي أمر به لكوكب الأرض، كما اعتقد.

النهاية الأكيدة لهذه التجربة الخطرة (على مهنة الطب النفسي) والمدمرة (أيضاً لمهنة الطب النفسي) التي سعت إلى إيجاد السؤال المتعلق بالإجابة الجوهرية عن الحياة، الكون، وكل شيء، كما ظن.

سيكون هنالك احتفال مع صحبه الليلة، وفي الصباح سيلتقون مجدداً مع عملائهم التعساء، المتحيرين والمربحين بشدة، وهم يشعرون بالأمان لمعرفةهم بأن معنى الحياة لن يكون، مرة وإلى الأبد، معروفاً بحق، كما تخمن.

قال فورد لزيفود مع انقشاع الدخان: «لطالما كانت الأسرة مُحْرِجة،

أليس كذلك؟»

توقف هنيهة ونظر في المكان. قال: «أين زيفود؟»

نظر آرثر وتريليان في المكان بانشدها، كانا شاحيين ومضطربين ولا يعرفان أين هو زيفود.

قال فوردي: «مارفن؟ أين زيفود؟»

بعد لحظة قال: «أين مارفن؟»

كانت زاوية الروبوت خالية.

كانت السفينة صامته على نحو مطبق، طافت في سواد الفضاء القاتم، تهتز وتتمايل بين الحين والآخر. كل المعدات كانت ميتة، كل شاشات المراقبة كانت ميتة. استشاروا الحاسوب الذي قال: «يؤسفني أن أكون مغلقاً بشكل مؤقت في وجه التواصل، في غضون ذلك، هذه بعض الموسيقى الخفيفة». أطفؤوا الموسيقى الخفيفة.

بحثوا في كل أرجاء السفينة بذعر وارتباك متزايدين، وكانت السفينة صامته وميتة، ولم يكن هنالك أي أثر لزيفود أو مارفن.

إحدى آخر المناطق التي تحققوا منها كان مكتباً صغيراً حيث توجد آلة النوتري-ماتيك. يوجد على طبق التوصيل الخاص بالآلة صينية صغيرة عليها ثلاث كؤوس عاجية صينية مع صحونها، وإبريق حليب عاجي صيني، وملاحظة صغيرة مطبوعة تقول: «انتظر».

الفصل الرابع

يقول بعضهم إن «أورسا ماينور بيتا» هو أحد الأماكن الأكثر رعباً في الكون.

على الرغم من كونه خصباً بشكل كبير، مشمساً بشكل مروّع وممتلئاً بأناس رائعين، أكثر من بذور في ثمرة الرمان، فمن الصعب تجاهل أنه لما صدر العدد الأخير من مجلة «بليبينغ»^(١) معنونة بمقالة: «عندما تسأم من أورسا ماينور بيتا فأنت سئمت من الحياة»، ارتفع معدل الانتحار أربعة أضعاف بين ليلة وضحاها. مع أنه ليس هنالك ليال في أورسا ماينور بيتا.

إنه كوكب من المنطقة الغربية تشكّله طبوغرافيا عصية على الفهم وبطريقة ما غريبة ومريبة، ويتكون تقريباً بشكل كلي من خط ساحلي تحت-مداري. وبسبب ثبات زمني غريب ومريب أيضاً، فهو دائماً تقريباً بعد ظهر السبت قبل أن تُغلق حانات الشاطئ بقليل.

لم يتم الكشف عن تفسير ملائم لكل ذلك من قبل أشكال الحياة المهيمنة في أورسا ماينور بيتا، التي تقضي معظم وقتها في محاولة لتحقيق التنوير الروحي بالركض حول المسابح، ودعوة موظفي تحقيقات من مجلس التحكم الجيو-زمني المجري كي «يقضوا شذوذاً نهائياً بهيجاً».

(١) بلي. بينغ Playbeing - المترجم.

هنالك مدينة واحدة فقط في أورسا ماينور بيتا، وأُطلق عليها اسم مدينة لأن المسابح هنالك أكثر سماكة على الأرض من أي مكان آخر.

إذا وصلت إلى «مدينة الضوء» عبر الهواء - لا توجد طريقة أخرى للوصول إليها، لا طرقات، ولا خدمات موانئ، إن لم تكن تجيد الطيران فلا يريدون رؤيتك في مدينة الضوء، - ستعرف لماذا سُميت كذلك. الشمس هنا أكثر إشراقاً من أي مكان، تلتمع أشعتها على المسابح، تومض على الشوارع العريضة المخططة بأشجار النخيل، تتلأأ على البقع الملونة باللون البرونزي المزدهر التي تتحرك أعلى وأسفل الشوارع، وتومض عن الفيئات، والمنصات الهوائية الغائمة، وحانات الشاطئ وهلم جرا.

تشعّ بوضوح أكبر على مبنى طويل وجميل يتكون من برجين أبيضين بارتفاع ثلاثين طابقاً، ويتصلان مع بعضهما في المنتصف بجسر.

المبنى هو دار كتاب، وقد تم بناؤه هنا من عائدات قضية شكوى حقوق ملكية فكرية استثنائية طرفاً نزاعها محررو الكتاب وشركة حبوب إفطار.

الكتاب كتاب إرشادي، كتاب سفر.

واحد من أبرز، ولا شك أنجح، الكتب التي خرجت من دار النشر العظيمة في أورسا ماينور، أكثر شعبية من «تبدأ الحياة في خمسمئة وخمسين»، حقق مبيعات أكثر من «نظرية الانفجار الكبير - رؤية خاصة لإكسينتريكا غالومبيتس (عاهرة 'إيروتيكون' ٦ 'ثلاثية الأثداء)»، ومثير للجدل أكثر من آخر نجاح باهر لأولون كولوفيد بعنوان «كل شيء لم ترغب في معرفته عن الجنس لكن تم إجبارك على اكتشافه».

(في العديد من الحضارات الأكثر رفاهاً على الحافة الشرقية الخارجية للمجرة، حل كتاب دليل المسافر مكان موسوعة المجرة العظيمة كخازن للعلوم والحكمة كافة، لأنه، وعلى الرغم من وجود كثير من الإهمال واحتوائه عدداً لا يستهان به من المعلومات المشكوك بصحتها - أو على الأقل غير صحيحة على نطاق واسع - إلا أنه تفوق على الكتاب الأقدم والأكثر ابتداءً في ناحيتين مهمتين:

أولاً، هو أرخص ثمناً بقليل. ثانياً، قد نُقشت على غلافه وبحروف لطيفة وكبيرة كلمتا: لا تخف.)

هو بالطبع ذلك الرفيق القيم لكل أولئك الذين يريدون رؤية معجز الكون بأقل من ثلاثين دولاراً أثيرياً في اليوم، إنه دليل المسافر إلى المجرة.

إن وقفت موليّاً ظهرك إلى ردهة المدخل الرئيس لمكتب الدليل (بافتراض أنك هبطت الآن، وأنعشت نفسك بغطسة سريعة واغتسلت) من ثم مشيت شرقاً، يجب أن تمر بظل «جادة الحياة» المورق، أن تُذهل من اللون الذهبي الباهت للشواطئ الممتدة إلى يسارك، تُصعق من المتزلجين - العقلين العائمين بطيش على ارتفاع قدمين فوق الأمواج كأنه شيء اعتيادي، تُفاجأ وفي النهاية تُزعج قليلاً من أشجار النخيل العملاقة التي تدندن بتفاهات فاترة في ساعات النهار، وبتعبير آخر، على نحو مستمر.

إن أنت مشيت عند ذلك إلى نهاية جادة الحياة فستدخل منطقة متاجر «لالاماتين»، أشجار ومقاهٍ رصيفية حيث يأتي «اليو إم - بيتانين» ليستريحوا من استراحة بعد ظهر متعبة على الشاطئ. تعدُّ منطقة لالاماتين واحدة من

المناطق القليلة التي لا تستمتع بعد ظهيرة يوم سبت أبدية، بدلاً من ذلك تستمتع بليالي سبت أبدية باردة، وتقع خلفها الملاهي الليلية.

إن أنت وصلت في هذا اليوم تحديداً، بعد الظهر، امتداد المساء - سمّه ما شئت - إلى ثاني مقهى رصيفي فستري إلى اليمين الحشد الاعتيادي من اليو إم-بيتانيين يدردشون، يشربون، يبدون مرتاحين جداً، ويحدقون مصادفة إلى ساعات بعضهم بعضاً ليروا كم هي ثمينة.

كنت ستري أيضاً زوجاً من المسافرين الطفيليين أشعبي الهيئة من «ألغولو» وصلاً مؤخراً على متن سفينة شحن «أركتورية» هائلة حيث قضيا بضعة أيام من المشقة والبؤس. كانا غاضبين ومذهولين لأنه هنا، وعلى مرأى مبنى دليل المسار نفسه، ثمن كوب من عصير الفواكه يساوي أكثر من ستين دولاراً ألتيرياً.

قال أحدهما بمرارة: «خيانة».

إن أنت في تلك اللحظة نظرت بعد ذلك إلى الطاولة التالية لكنت ستري زيفود بيلبروكس يجلس مرتبكاً ومرتاعاً.

سبب ارتبাকে هو أنه منذ خمس ثوان كان يجلس على منصة الربان في سفينة قلب الذهب.

قال الصوت مجدداً: «خيانة تامة».

نظر زيفود بتوتر من زاويتي عينيه إلى المسافرين الطفيليين الأشعبيين حول الطاولة المجاورة. أين هو بحق الجحيم؟ كيف وصل إلى هنا؟ أين سفينته؟ تحسست يده ذراع الكرسي الذي كان يجلس عليه ومن ثم الطاولة التي أمامه، كانا يبدوان صلبين بشكل كاف. جلس ساكناً.

تابع الصوت قائلاً: «كيف يمكنهم الجلوس وكتابة دليل للمسافرين
الطفيليين في مكان كهذا؟ أقصد، انظر إليه، انظر إليه!»

كان زيفود ينظر إليه، واعتقد بأنه مكان جميل، لكن أين؟ ولماذا؟ مد
يده في جيبه باحثاً عن زوج من النظارات الشمسية خاصته، في الجيب نفسه
أحس بملمس قطعة غريبة وملساء من المعدن الثقيل، سحبها ونظر إليها،
طرفت عيناه من المفاجأة. من أين حصل على ذلك الشيء؟ أعادها إلى جيبه
وارتدى نظارته الشمسية منزعجاً لاكتشافه أن الجسم المعدني قد خدش
إحدى العدسات. على الرغم من ذلك فلقد شعر براحة أكبر وهو يرتدي
النظارة. كان زوجاً مضاعفاً من نظارات «جوو جاننا ٢٠٠» خارقة-
الألوان الحساسة للخطر، التي تم تصميمها خصيصاً لمساعدة الناس في أن
يظهروا موقفاً لا مبالياً من الخطر. ففي أول علامات القلق تتحول النظارة
إلى اللون الأسود بشكل كلي فتمنعك من رؤية أي شيء يمكن أن يربك.

بمنأى عن الخدش، كانت العدستان صافيتين، استرخى، لكن لفترة
وجيزة. تابع المسافر الطفيلي الغاضب الحملقة في عصير الفواكه خاصته
باهظ الثمن.

تذمر قائلاً: «إن الانتقال إلى أورسا ماينور بيتا هو أسوأ شيء حصل
للدليل، أصبحوا بأجمعهم مخنثين. هل تعلم، سمعت أنهم صنعوا كونا
إلكترونياً اصطناعياً كاملاً في أحد مكاتبهم كي يتمكنوا من الذهاب
والبحث عن القصص في النهار والعودة إلى الحفلات في الليل. في كل
الأحوال، لا يعني الليل والنهار الكثير في هذا المكان».

تأمل زيفود، أورسا ماينور بيتا. في الأقل، عرف أين هو الآن. افترض أن ذلك من فعل جده الأكبر ولا شك، لكن لم؟

ولزيادة إزعاجه طرأت فكرة في عقله، كانت واضحة ومميزة، وأصبح الآن يعرف ماهية هذه الأفكار ومصدرها. كانت غريزته تقاوم تلك الأفكار، لكنها ليست مجرد أفكار، بل تلقينات تم تعيينها بشكل مسبق من الأجزاء المظلمة والمقفلة في عقله.

جلس بصمت وتجاهل الفكرة بشدة، أزعجته، تجاهلها، أزعجته، تجاهلها، أزعجته، استسلم لها.

فكر، بحق الجحيم، لأذهب مع التيار. كان جائعاً ومرتبكاً ومتعباً على نحو لا يسمح له بالمقاومة. لم يعرف بالضبط ما تعنيه الفكرة.

الفصل الخامس

على واحد من سبعين هاتفاً موصولاً على امتداد مكتب الاستقبال الواسع المصنوع من الكروم في ردهة مكاتب دليل المسافر إلى المجرة قالت حشرة كبيرة ذات أجنحة زهرية: «مرحباً؟ نعم؟ منشورات 'ميغادودو'، مسقط رأس دليل المسافر إلى المجرة، الكتاب الأكثر روعة في كل الكون، هل أستطيع مساعدتك؟» رفرت أجنحتها وأدارت أعينها، وحملت في كل الناس الحقيرين المتكومين في الردهة، يلوثون السجادات ويتركون آثاراً قذرة من أيديهم على تنجيد الأثاث. لقد أحبت العمل لدليل المسافر إلى المجرة لكنها تمت فقط لو وُجدت طريقة تبقى كل المسافرين المتطفلين بعيداً. ألم يكن يتوجب عليهم أن يتسكعوا في المعابر الفضائية القذرة أو ما شابه؟ كانت متأكدة من أنها قرأت شيئاً في مكان ما من الكتاب حول أهمية التسكع في المعابر الفضائية القذرة. يا للأسف يبدو أن معظمهم يأتون للتسكع في هذه الردهة النظيفة واللامعة بعد التسكع في معابر فضائية شديدة القذارة. وجل ما يفعلونه هو التذمر، رجفت أجنحتها.

قالت عبر الهاتف: «ماذا؟ نعم، مررت رسالتك إلى السيد 'زارنيوب'، لكنني أخشى أنه أهبى من أن يراك الآن، إنه في رحلة بين المجرات».

حرّكت مجسماً فظاً في وجه أحد الناس الحقيرين، الذي كان يحاول غاضباً جذب انتباهها. وجّه المجسّم الفظ الشخص الغاضب لينظر إلى الملاحظة المتعلقة على الحائط إلى يسارها وألا يقاطع مكالمته هاتفية مهمة.

قالت الحشرة: «نعم، إنه في مكتبه لكنه في رحلة بين المجرات، شكراً جزيلاً لاتصالك». وخبطت سماعه الهاتف.

قالت للرجل الغاضب: «اقرأ الملاحظة»، وكان الأخير يحاول أن يشتكي من واحدة من أكثر المعلومات المغلوطة خطورة وإثارة للضحك موجودة في الكتاب.

إن دليل المسافر إلى المجرة هو رفيق أساسي لكل أولئك المتحمسين لصناعة معنى للحياة في كون معقد ومربك بشكل لا محدود، وعلى الرغم من عدم استطاعته أن يكون مفيداً وتثقيفياً في جميع الموضوعات، لكنه في الأقل يولد الادعاء المطمئن بأنه عندما يكون خاطئاً فهو في الأقل بالتأكيد خاطئ. في حالات التعارض الكبيرة فإن الواقع دائماً هو من يكون مخطئاً.

هذا كان جوهر الملاحظة التي تقول: «إن الدليل دقيق وحاسم. أما الواقع فكثيراً ما يكون مخطئاً».

وهذا ما تسبب بتبعات مثيرة للاهتمام، ففي سبيل المثال، لما رُفعت دعوى على محرري الدليل من قبل أسر الذين ماتوا بسبب تقيدهم الحرفي بمدخل عن كوكب «ترال» (يقول: «غالباً ما يصنع الوحش الفوضوي الضاري وجبات جيدة جداً للسيّاح الزائرين» عوضاً عن «غالباً ما يصنع الوحش الفوضوي الضاري وجبات جيدة جداً من السيّاح الزائرين»)

ادعى المحررون أن النسخة الأولى من الجملة كانت ذات جمالية مرضية، فاستدعوا شاعراً كفيماً ليشهد تحت القَسَم أن الجمال هو الحقيقة، والحقيقة جمال، وأملوا أن يبرهنوا بأن الطرف المذنب كان الحياة نفسها لفشلها في أن تكون جميلة أو حقيقية. اتفق القضاة، وفي خطاب مؤثر اتهموا الحياة نفسها بأنها تقلل من احترام المحكمة، فصادروها في حينه من جميع الحاضرين قبل أن يمضوا للاستمتاع بلعبة «ألتراغولف» ليلية سعيدة.

دخل زيفود بيببروكس الردهة، وخطا إلى الحشرة التي تعمل في الاستقبال قائلاً: «حسناً، أين زارنيوبوب؟ اجلبي لي زارنيوبوب».

قالت الحشرة بروود: «معذرة يا سيدي؟» لم يكن يهمها أن تتم مخاطبتها بهذه الطريقة.

- «زارنيوبوب. اجلبه، موافقة؟ اجلبه الآن».

قاطعته المخلوق الصغير الهش: «حسناً يا سيدي، لو تفضلت بأن تكون أكثر بروداً...»

قال زيفود: «اسمعي، كلني برودة، أنا بارد بشكل مذهل إلى درجة أنه يمكنك أن تحتفظي بقطعة لحم في داخلي لمدة شهر. أنا أنيق إلى درجة أنني أجد صعوبة في تفحص حوضي. هلاً تحركت الآن قبل أن تفسدي الأمر؟»

قالت الحشرة: «حسناً، لو تدعني أشرح الأمر يا سيدي». وراحت تنقر بأكثر المجسات التي تحت تصرفها فظاظمة، «أخشى أن ذلك غير ممكن حالياً كون السيد زارنيوبوب في رحلة بين المجرات».

فكّر زيفود، يا للجهيم.

قال: «متى سيعود؟»

- «يعود يا سيدي؟ إنه في مكتبه».

توقف زيفود محاولاً أن يستوعب هذه الفكرة بالتحديد في عقله، لكنه لم ينجح.

«ذلك الخبيث في رحلة بين المجرات... في مكتبه؟» انحنى إلى الأمام وأمسك بالمجس الناقر وقال: «اسمعي يا ثلاثية الأعين، لا تحاولي أن تجاريني في الجنون، تحصل لي أشياء أكثر جنوناً منك مجاناً مع حبوب الإفطار».

انتفضت الحشرة وهي تهز أجنحتها بغضب: «من تظن نفسك يا عزيزي؟ زيفود بيبليروكس أو ما شابه؟»

قال زيفود بصوت خشن منخفض: «عدّي الرؤوس».

طرفت الحشرة أعينها إليه، ثم طرفتها إليه مجدداً.

قالت بصوت حاد: «أنت زيفود بيبليروكس؟»

قال زيفود: «نعم، لكن لا ترفعي صوتك وإلا سيتجمهر الجميع».

- «زيفود بيبليروكس المعروف؟»

- «لا، مجرد زيفود بيبليروكس، ألم تسمعي أنني أوجد بعبوات من ست قطع؟»

خشخشت الحشرة مجساتها مع بعضها باهتياج.

اشتكت قائلة: «لكن يا سيدي، سمعت للتو تقريراً إذاعياً عبر السب-إيثر، يقول إنك ميت...»

قال زيفود: «أجل، هذا صحيح، لكنني لم أتوقف عن الحركة بعد، الآن، أين أجد زارنيوب؟»

- «حسناً، سيدي، مكتبه في الطابق الخامس عشر، لكن...»

- «لكنه في رحلة بين المجرات، نعم، نعم، كيف أصل إليه؟»

- «عبر ناقلات الناس الشاقولية من شركة سيريوس سايرنيتكس التي تم تركيبها حديثاً في الزاوية البعيدة، لكن يا سيدي...»

كان زيفود يستدير ليذهب، فاستدار نحوها من جديد.

قال: «نعم؟»

- «هل يمكنني أن أسألك لم تريد رؤية السيد زارنيوب؟»

قال زيفود الذي لم تكن هذه النقطة جلية له: «نعم، أخبرت نفسي بأن عليّ فعل ذلك».

- «كرر ذلك يا سيدي؟»

انحنى زيفود إلى الأمام كأنه يحوك مؤامرة وقال: «لقد تشكّلت من العدم في أحد مقاهيكم، كنتيجة من جدال مع شبح جدي الأكبر. بمجرد وصولي إلى هناك دخلت نفسي السابقة، تلك التي كانت تشغل دماغي، في رأسي فجأة وقالت 'اذهب لرؤية زارنيوب'. لم أسمع بالخبيث من قبل، وهذا كل ما أعرفه، ذلك الشيء وحقيقة أنه عليّ إيجاد الرجل الذي يحكم الكون». ثم غمزها.

قالت الحشرة بتعجب وارتياح: «يا سيد بيلبروكس، أنت غريب جداً، يجب أن تكون في الأفلام».

قال زيفود وهو يربت على جناحها الزهري اللامع: «أجل، وأنت يا عزيزتي، يجب أن تكوني في الحياة الواقعية».

توقفت الحشرة لوهلة كي تتعافى من احتياجاتها، ومن ثم مدت مجسماً لترد على هاتف يرن.

منعتها يد معدنية. بصوت يمكن أن يجعل حشرة ذات مزاج أكثر حساسية أن تنهار باكية، قال صاحب اليد المعدنية: «معذرة».

لكنها لم تكن هكذا حشرة، ولم تستطع تحمّل الروبوتات. تكلمت بسرعة: «نعم سيدي، هل أستطيع مساعدتك؟»
قال مارفن: «أشك في ذلك».

- «حسناً، اعذرني في هذه الحالة... ستة من الهواتف كانت ترن، ومليون شيء كان ينتظر عناية الحشرة.

ترنّ مارفن قائلاً: «لا يقدر أحد على مساعدتي».

- «نعم سيدي، حسناً»...

- «لم يحاول أحد بالطبع». سقطت اليد المعدنية المانعة بشكل رخو إلى جانب مارفن، وتعلّق رأسه إلى الأمام قليلاً.

قالت الحشرة بحدة: «هل الأمر كذلك؟»

- «تكاد مساعدة روبوت خادم لا تستحق وقت أي أحد أليس كذلك؟»

- «يؤسفني يا سيدي إن...»

- «أقصد ما الفائدة من أن تساعدي روبوتاً أو تكوني طيبة معه إن لم يكن لديه دارات عرفان بالجميل؟»

قالت الحشرة التي لم تبد قادرة على سحب نفسها من هذه المحادثة:
«وأنت لا تملك أياً من هذه الدارات؟»

أعلمها مارفن قائلاً: «لم تسنح لي الفرصة لاكتشاف ذلك».

- «اسمع أيها الكومة البائسة وغير المتجانسة من المعدن»...

- «ألن تسأليني ماذا أريد؟»

توقفت الحشرة هنيهة، ووثب لسانها النحيل خارجاً ولعق أعينها ثم
عاد من جديد، وسألته: «هل يستحق الأمر ذلك؟»

قال مارفن على الفور: «هل يستحق أي شيء؟»

- «ما... الذي... تريده؟»

- «أنا أبحث عن شخص ما».

هسهست الحشرة: «من؟»

قال مارفن: «زيفود بيلبروكس، إنه هناك».

اهتزت الحشرة من الغضب، وبعناء تكلمت.

صرخت: «إذاً لم سألتني؟»

قال مارفن: «أردت أن أتحدث إلى أحد ما».

- «ماذا!»

- «مثير للشفقة أليس كذلك؟»

استدار مارفن بصر صرة من تروسه وتدحرج. لحق بزيفود يقترب من
المصاعد، استدار زيفود بدهشة.

قال: «هيه... مارثن! كيف وصلت إلى هنا؟»

كان مارثن مجبراً على قول شيء ما، وكان ذلك صعباً جداً عليه. قال:
«لا أعرف».

- «لكن»..

- «كنت في لحظة جالساً في سفيتك أشعر بكآبة شديدة، وفي اللحظة التالية كنت أقف هنا وأشعر بأني بائس تماماً، أظن بأنه حقل للاحتمالية».

قال زيفود: «أجل، أعتقد أن جدي الأكبر أرسلك إلى هنا لترافقني». وأضاف لنفسه متمتماً: «شكراً كثيراً يا جدي».

ثم قال بصوت عال: «إذاً كيف حالك؟»

قال مارثن: «أوه، بخير، إن تصادف أنك تحب أن تكون مكاني، فأنا لا أحب».

قال زيفود: «نعم، نعم»، وكانت أبواب المصعد قد فُتحت.

قال المصعد بلطف: «مرحباً، سأكون مصعدك في هذه الرحلة إلى الطابق الذي تختاره، لقد صممتني شركة سيريوس سايرنيتكس لآخذك، يا زائر دليل المسافر إلى المجرة، إلى هذه المكاتب. إن استمتعت برحلتك التي ستكون سريعة وممتعة فقد تهتم بتجريب بعض من المصاعد الأخرى التي تم تركيبها مؤخراً في مكاتب قسم الضرائب المجرية، وطعام الأطفال 'بوويلوو'، وفي المستشفى العقلي السيرياتي^(١) الرسمي حيث سيكون العديد من موظفي شركة سيريوس سايرنيتكس الإداريين مبتهجين لزيارتكم، متعاطفين، ويقصّون حكايات سعيدة عن العالم الخارجي».

Sirian (١)

قال زيفود وهو يخطو إلى الداخل: «نعم، وما الذي تفعله أيضاً
بالإضافة إلى الكلام؟»

قال المصعد: «أنا أتحرك إلى الأعلى، أو إلى الأسفل».

قال زيفود: «جيد، سنصعد إلى الأعلى».

ذكره المصعد قائلاً: «أو إلى الأسفل».

- «أجل، حسناً، إلى الأعلى من فضلك».

كانت هنالك لحظة من الصمت.

اقترح المصعد على نحو مشجّع: «الأسفل جميل جداً».

- «حقاً؟»

- «رائع».

قال زيفود: «جيد، هلاً أخذتنا إلى الأعلى الآن؟»

تساءل المصعد بأحلى وأعقل صوت لديه: «هل لي أن أسألك إن كنت

فكرت في كل الاحتمالات التي قد يقدمها لك الأسفل؟»

ضرب زيفود أحد رأسيه بالحائط الداخلي. فكر لنفسه، لم يكن في

حاجة إلى ذلك، هذا من بين كل الأشياء لم يكن في حاجته. لم يطلب أن

يكون هنا، لو سئل في هذه اللحظة عن المكان الذي يجب أن يكون فيه لربما

قال إنه يجب أن يكون مستلقياً على الشاطئ مع خمسين امرأة جميلة على الأقل

وفريق من الخبراء يحاولون إيجاد طرائق جديدة يكنّ فيها لطيفات معه،

حيث إن ذلك كان جوابه التقليدي. كما أنه يمكن أن يضيف إليه شيئاً

عاطفياً فيما خص موضوع الطعام.

شيء وحيد لم يرد أن يفعله، وهو أن يطارد الرجل الذي يحكم الكون، الذي كان ببساطة يقوم بعمل سيستمر فيه في الأغلب، لأنه إن لم يكن هو، فسيكون شخصاً آخر. وأكثر من كل شيء، لم يكن يريد أن يقف في مبنى طابقي ويجادل مصعداً.

سأل بملل: «احتمالات أخرى مثل ماذا؟»

قطر الصوت كالعسل على الخبز: «حسناً هنالك القبو، الملفات الميكروية، نظام التسخين... إيد... وتوقف. اعترف قائلاً: «لا شيء مثير بالتحديد، لكنها بدائل».

تمتم زيفود: «يا زاركوان المقدس، هل طلبتُ مصعداً وجودياً؟»
و ضرب قبضته على الحائط ثم بصق قائلاً: «ما خطب هذا الشيء؟»
قال مارفن ببساطة: «لا يريد أن يذهب إلى الأعلى، أظنه خائفاً».

انتحب زيفود قائلاً: «خائف؟ مم؟ المرتفعات؟ مصعد يخاف المرتفعات؟»

قال المصعد ببؤس: «لا، المستقبل...»

هتف زيفود: «المستقبل؟ ما الذي يريده هذا الشيء الحقيقير، خطة معاش تقاعدي؟»

اندلعت في تلك اللحظة فوضى في صالة الاستقبال خلفهم، أتى صوت آلات نشطة على نحو مفاجئ من الجدران التي تحيط بهم.

همس المصعد بصوت أقرب ما يكون إلى الرعب: «يمكننا جميعاً النظر في المستقبل، إنه جزء من برمجتنا».

نظر زيفود خارج المصعد، كان قد تجمع حشد ثائر حول منطقة المصعد، يشيرون ويصرخون.

كانت كل المصاعد في المبنى تهبط بسرعة كبيرة.

اختبأ مجدداً وقال: «مارفن، هلاً جعلت هذا المصعد يصعد إلى الأعلى؟ علينا أن نصل إلى زارنيوب».

سأل مارفن بكآبة: «لم؟»

قال زيفود: «لا أعلم، لكن الأفضل له حين أجده أن يكون لديه سبب مقنع لكوني أريد رؤيته».

إن المصاعد الحديثة عبارة عن كيانات غريبة ومعقدة، ودرجة القرابة التي تجمع الرافعة الكهربائية القديمة وحالة «الحمولة-القصوى-ثانية-أشخاص» بناقل الناس الشاقولي السعيد لشركة سيوريوس سايرنيتكس مثل درجة القرابة التي تجمع عبوة مكسرات بالجنح الغربي كاملاً من المستشفى العقلي السيرياتي الرسمي.

ذلك لأنها تعمل على مبدأ رائع من «الإدراك الزمني غير المركز». بتعبير آخر، لديها القدرة على رؤية المستقبل القريب بشكل خافت، ما يمكن المصعد من أن يكون في الطابق الصحيح ليلتقطك حتى قبل أن تعرف بأنك تريده، وبذلك يتخلص من كل الدردشة المملة، الاسترخاء، والتعرف إلى أصدقاء، التي كان الناس في السابق مجبرين على فعلها في أثناء انتظارهم المصاعد.

وبطبيعة الحال، بعد أن أُسبغ على العديد من المصاعد بذكاء وبعد نظر، أصابها إحباط شديد بسبب العمل الغبي بالصعود والهبوط، صعوداً وهبوطاً، فجربت بشكل موجز فكرة الحركة الجانبية، كطريقة من الشكوى الوجودية، وطالبت الاشتراك بعملية صنع القرار، في النهاية جثمت في الأقبية عابسة.

إن قام مسافر طفيلي فقير هذه الأيام بزيارة أي من كواكب نظام سيريوس الشمسي فيإمكانه أن يحصل على المال بسهولة إذا عمل كمستشار للمصاعد المصابة بالاضطراب النفسي.

انفتح باب المصعد بسرعة في الطابق الخامس عشر، وقال المصعد: «الطابق الخامس عشر، وتذكر أنني أقوم بذلك لأنني أحب روبوتك».

خرج مارثن وزيفود معاً من المصعد الذي أغلق أبوابه بسرعة وهبط بأقصى ما يمكن لميكانيكيته أن تأخذه.

نظر زيفود حوله بحذر، كان الرواق مهجوراً وساكناً، لم يوجد في أي دليل إشارة إلى المكان الذي يمكن أن يوجد فيه زارنيوب. كل الأبواب التي تقود إلى خارج الرواق كانت مغلقة وغير مرقمة.

وقفنا بالقرب من جسر يقود من أحد أبراج المبنى إلى الآخر. من خلال نافذة كبيرة رمت شمس أورسا ماينور الرائعة كتلاً من الضوء رقصت فيها نثرات صغيرة من الغبار، في لحظة عبر ظل بسرعة.

تمتم زيفود الذي كان يشعر بأقل قدر من الفرح: «تركنتي الرافعة في هذا الوضع الصعب من دون دعم أو مساعدة».

وقفا كلاهما ونظرا في الاتجاهين، قال زيفود لمارفن: «أتعلم شيئاً؟»

- «أكثر مما يمكنك التصور».

قال زيفود: «أنا متأكد جداً بأن هذا المبنى لا ينبغي له أن يهتز».

كانت مجرد رجفة خفيفة شعر بها في أسفل قدميه، ومن ثم واحدة أخرى. رقصت نثرات الغبار في أشعة الشمس بنشاط أكبر، ومرّ ظل آخر بسرعة.

نظر زيفود إلى الأرض وقال بعدم ثقة: «إما أن لديهم نظاماً رجّاجاً لتنشيط عضلاتك وأنت تعمل، وإما...»

مشى باتجاه النافذة وتعثّر فجأة لأنه في تلك اللحظة تحولت نظارته «الجوو جانتا ٢٠٠» خارقة-الألوان الحساسة للخطر إلى اللون الأسود كلياً. مرّ ظل كبير إلى جانب النافذة بطنين حاد.

مع نزع زيفود لنظارته اهتز المبنى بهدير مدوّ، فقفز إلى النافذة وقال: «أو أنه يتم قصف المبنى!»

طقق هدير آخر عبر المبنى، تساءل زيفود: «من في المجرة يريد أن يقصف دار نشر؟» لكنه لم يسمع رد مارفن لأنه في تلك اللحظة اهتز المبنى من هجوم آخر بالقنابل، حاول أن يتمايل عائداً إلى المصعد لكنه أدرك أنها مناورة لا معنى لها، إلا أنها كانت الشيء الوحيد القادر على التفكير فيه.

فجأة، وفي نهاية الرواق المؤدي إلى الجهة اليمنى بالنسبة إليهما، تمكن زيفود من رؤية جسم اندفع إلى الرواق، كان رجلاً. رآه الرجل وصاح: «بيبلر وكس، هنا!»

عائنه زيفود بارتياب مع اهتزاز المبنى بسبب انفجار آخر وصاح: «لا،
بييلبروكس هنا! من أنت؟»

رد الرجل صائحاً: «صديق!» وركض باتجاه زيفود.

قال زيفود: «حقاً؟ صديق أحدهم بالتحديد، أم أنك ميال للناس
بشكل عام؟»

راح الرجل يعدو على طول الرواق والأرضية تثب من تحته كأنها
بطانية مهتاجة. كان قصيراً، ممتلئاً، ومسمراً من الطقس، وبدت ملابسه
كأنها دارت المجرّة مرتين وهو يرتديها.

صاح زيفود في أذنه عندما وصل: «هل تعلم أن مبنك يتعرض
للقصف؟»

أشار الرجل بأنه مدرك.

اختفى الضوء فجأة، ولما نظر زيفود من النافذة ليعرف السبب حدّق
فاغراً فاه مع مرور مركبة فضائية هائلة رمادية مخضرة تشبه اليرقانة عبر
الهواء إلى جانب المبنى، تبعثها اثنتان.

هسهس الرجل قائلاً: «إن الحكومة التي هجرتها تبحث عنك يا
زيفود، لقد أرسلوا أسطولاً من مقاتلات 'فروغستار'».

تمتم زيفود: «مقاتلات فروغستار؟ يا زاركوان!»

«هل توضحت لك الصورة؟»

«ما هي مقاتلات فروغستار؟» كان زيفود متأكداً من أنه سمع
أحدهم يتكلم عنها عندما كان رئيساً، لكنه لم يهتم قط للشؤون الرسمية.

كان الرجل يسحبه عبر الباب، فذهب معه. بطنين يصم الأذان انطلق
جسم أسود صغير يشبه العنكبوت عبر الهواء واختفى في آخر الرواق.

هسهس زيفود: «ما كان ذلك؟»

قال الرجل: «روبوت فروغستار كشاف من الصنف أ يبحث عنك».

- «هيه، حقاً؟»

- «انخفض!»

أتى مهاجماً من الجهة المقابلة جسم أسود أكبر يشبه العنكبوت،
لكنه عبرهم.

- «وذلك كان...؟»

- «روبوت فروغستار كشاف من الصنف ب يبحث عنك».

قال زيفود: «وذاك؟» حيث إن واحداً ثالثاً كان يسفح عبر الهواء.

- «روبوت فروغستار كشاف من الصنف ج يبحث عنك».

ضحك زيفود لنفسه قائلاً: «هيه، روبوتات غبية جداً، أليس

كذلك؟»

أتت عبر الجسر همهمة كبيرة مقعقة، كان يعبره جسم أسود ضخمة

من البرج المقابل، له شكل وحجم دبابة.

- «يا فوتون المقدس، ما هذا؟»

قال الرجل: «دبابة، روبوت فروغستار كشاف من الصنف د قادم

ليمسك بك».

- «هل علينا المغادرة؟»

- «أظن ذلك».

صاح زيفود: «مارثن!»

- «ما الذي تريده؟»

نهض مارثن من كومة ديش بعيدة قليلاً في الرواق ونظر إليهما.

- «هل ترى ذلك الروبوت الذي يتقدم باتجاهنا؟»

نظر مارثن إلى الجسم الأسود العملاق الذي كان يقترب تدريجياً باتجاههم فوق الجسر، ونظر إلى جسمه المعدني الصغير. ثم نظر مجدداً إلى الدبابة وقال: «أظن بأنك تريدني إيقافها».

- «نعم».

- «في حين تنجو أنت بحياتك».

قال زيفود: «نعم، قف هناك!»

قال مارثن: «قل وداعاً فقط، فأنا أعرف أين أفف».

شد الرجل ذراع زيفود بقوة فتبعه زيفود إلى آخر الرواق.

خطرت له فكرة حول هذا فقال: «إلى أين نذهب؟»

- «إلى مكتب زارنيوب».

- «هل الوقت مناسب للتقيّد بالمواعيد؟»

- «هيا».

الفصل السادس

وقف مارفن في نهاية رواق الجسر، لم يكن في الواقع روبوتاً صغيراً. لمع جسمه الفضي في أشعة الشمس المغبرة واهتزّ من الوابل الذي كان لا يزال المبنى يتعرض له.

إنها، على الرغم من ذلك فلقد بدا صغيراً بشكل يرثى له مقارنة بالدبابة السوداء العملاقة التي تحركت حتى توقفت أمامه، تفحصته الدبابة بمسبار، ثم انسحب المسبار وظلّ مارفن واقفاً هناك.

دمدمت الدبابة: «ابتعد عن طريقي أيها الروبوت الصغير».

قال مارفن: «أخشى أنني تركت هنا لإيقافك».

خرج المسبار من أجل تفحص سريع، ومن ثم انسحب.

هدرت الدبابة: «أنت؟ توقفتني؟ جرب!»

قال مارفن ببساطة: «لا، حقاً أنا كذلك».

هدرت الدبابة بإنكار: «بماذا أنت مسلّح؟»

قال مارفن: «حمّني».

قعقت محركات الدبابة، تطحّنت تروسها. تقلّبت محركات إلكترونية جزيئية في عمق دماغها الميكروي جيئةً وذهاباً برعب.

قالت الدبابة: «خمن؟»

صعد زيفود والرجل - غير المسمى حتى الآن - في رواق خلصة، وهبطا في ثان وعبرا ثالثاً. استمر المبنى بالاهتزاز والارتجاج وذلك ما حير زيفود، فإن كانوا يريدون تدمير المبنى، فلم تحتاج العملية كل هذا الوقت؟ وصلا بصعوبة إلى واحد من أبواب عدة، مجهولة كلياً وغير مرقمة وارتميا عليه. انفتح الباب برجة مفاجئة فارتميا في الداخل.

فكر زيفود، كل هذا الطريق، كل هذه المشقة، كل هذه ال (لست متمدداً على الشاطئ ممضياً وقتاً رائعاً)، ولم؟ كرسي وحيد، منضدة وحيدة، ومنفضة سجائر قدرة وحيدة في مكتب غير مزين. بصرف النظر عن ذرات الغبار المتراقصة، والوحدة، والأنموذج الثوري من مشابك الورق، كانت المنضدة فارغة.

قال زيفود: «أين هو زارنيوب؟» وشعر بأن فهمه، القليل أساساً، لكل ما حدث يتلاشى.

قال الرجل: «إنه في رحلة بين المجرات».

حاول زيفود أن يحكم على الرجل، ففكر، من النوع الجاد، ليس مضحكاً، في الأغلب أنه خصص جزءاً كبيراً من وقته وهو يركض لاهثاً في الأروقة، محطماً أبواباً وموجهاً ملاحظات موجزة في مكاتب فارغة.

قال الرجل: «دعني أقدم نفسي، اسمي روستا، وهذه منشفتي».

قال زيفود: «مرحباً روستا،» وأضاف: «مرحباً، أيتها المنشفة،» بعد أن مد إليه روستا منشفة زهرية قديمة متسخة، وبما أنه لا يعرف ما عليه أن يفعل بها، فلقد هزها من الزاوية.

خارج النافذة، عبرت هادرة إحدى السفن الفضائية الهائلة التي تشبه اليرقانة الرمادية المخضرة.

قال مارفن لآلة الحرب الضخمة: «هيا، تابعي، لن تحزري أبداً».

قالت الآلة وهي تهتز من فكرة غير مألوفة: «أشعة ليزرية؟»...

هز مارفن رأسه بكآبة.

دمدمت الدبابة وهي مرتبكة بعض الشيء: «نعم، إي... ماذا عن

منجنيق إلكتروني؟»

كان ذلك جديداً على مارفن فقال: «ما يكون ذلك؟»

قالت الآلة بحماس: «واحد من هذه»، وظهر من برجها رمح حاد

رمى بهريق ضوئي مميت. هدر خلف مارفن جدار ثم انهار في شكل كومة

من الغبار، تلاطم الغبار قليلاً ثم سكن.

قال مارفن: «لا، ليس واحداً من ذلك».

- «لكنها جيدة أليس كذلك؟»

وافقها مارفن: «جيدة جداً».

قالت آلة حرب فروغستار: «أعرف»، وبعد لحظة من التأمل أضافت:

«لا بد أن لديك واحداً من 'قاذف الزينون غير المتوازن زانتيك ري-

ستراكترون' الجديد!»

قال مارفن: «جميل، أليس كذلك؟»

قالت الآلة برعب كبير: «أهذا ما لديك؟»

قال مارفن: «لا».

قالت الآلة وقد خاب أملها: «أوه، إذاً يجب أن يكون...»

قال مارفن: «أنت لا تفكرين بالطريقة المناسبة، هنالك أمر أساسي للغاية في العلاقة بين الرجال والروبوتات لست تأخذينه في الحسبان».

قالت الآلة: «إي، أعرف، هل هو... ثم تخافتت وهي تفكر من جديد.

استحثها مارفن قائلاً: «فكري في الأمر، لقد تركوني، وأنا روبوت خدمة عادي، لإيقافك أنت، آلة حرب متينة، في حين هربوا هم لإنقاذ أنفسهم. ما الذي تعتقدين أنهم تركوه معي؟»

تمت الآلة بذعر: «أوووه، إي، شيء مدمر لعين كما أتوقع».

قال مارفن: «تتوقعين! آه، نعم تتوقعين. سأخبرك بالشيء الذي أعطوني إياه لأحمي نفسي به، ما رأيك؟»

قالت الآلة الحربية مثبتة نفسها: «نعم، حسناً».

قال مارفن: «لا شيء».

كان هنالك توقف مؤقت خطير.

هدرت الآلة الحربية: «لا شيء؟»

ترنم مارفن بكآبة: «لا شيء على الإطلاق، لا نقائق إلكترونية حتى».

تنهدت الآلة بغضب وهدرت: «حسناً، أليس ذلك غباءً بامتياز؟

لا شيء أليس كذلك؟ هم لا يفكرون، أليسوا كذلك؟»

قال مارفن بصوت ناعم ومنخفض: «وأنا أعاني من هذه الآلام المبرحة في كل أنصاف النواقل في جانبي الأيسر».

- «يجعلك الأمر تبصق، أليس كذلك؟»

وافق مارفن بإشفاق قائلاً: «نعم».

خارت الآلة: «يا للجحيم كم يغضبني ذلك، أريد أن أحطم ذلك الجدار!»

أقحم المنجنيق الإلكتروني سفعة من لهيب الضوء ودمر الحائط إلى جانب الآلة.

قال مارفن بمرارة: «كيف تظنين شعوري؟»

أرعدت الآلة قائلة: «هربوا فحسب وتركوك، أليس كذلك؟»

قال مارفن: «نعم».

قالت الدبابة بغضب: «أظنني سأدمر سقفهم اللعين أيضاً!» ودمرت سقف الجسر.

تمتم مارفن: «إن ذلك مؤثر».

توعدت الآلة: «لم تر شيئاً بعد، يمكنني أن أدمر هذه الأرضية أيضاً، من دون أي مشكلة!» ودمرت الأرضية، أيضاً.

هدرت الآلة: «أجراس الجحيم!» وهي تهبط خمسة عشر طابقاً عمودياً لتحطم نفسها إلى قطع صغيرة على الأرض في الأسفل.

قال مارفن: «يا لها من آلة غبية على نحو مؤسف». وابتعد متثاقلاً.

الفصل السابع

قال زيفود بغضب: «إذاً، أنجلس هنا أم ماذا؟ ماذا يريد هؤلاء الأشخاص؟»

قال روستا: «أنت يا بيلبروكس، سوف يأخذونك إلى فروغستار، العالم الأكثر شراً في المجرة».

قال زيفود: «حقاً؟ عليهم أن يأتوا ويمسكوا بي أولاً».

قال روستا: «قد أتوا وأمسكوا بك، انظر من النافذة». نظر زيفود وحدق فاغراً فاه.

لهث قائلاً: «إن الأرض تذهب بعيداً، أين يأخذونها؟»

قال روستا: «إنهم يأخذون المبنى، إننا مجوقلون».

اندفعت السحب إلى جانب نوافذ المبنى.

تمكن زيفود مجدداً من رؤية حلقة مقاتلات فروغساتر الخضراء الغامقة متحلقة في الخارج حول برج المبنى المستأصل. أومضت منها شبكة من أشعة القوة وأمسكت البرج بقبضة محكمة.

هز زيفود رأسه بارتباك وقال: «ما الذي فعلته لأستحق هذا؟ أدخل مبنىً فيأخذونه بعيداً».

قال روستا: «لا يقلقهم ما فعلت، بل ما ستفعله».

- «حسناً، ألا تحق لي كلمة في هذا الخصوص؟»

- «لقد فعلت، منذ سنوات مضت. من الأفضل لك أن تتمسك، فإننا في رحلة سريعة ووعرة».

قال زيفود: «إن قابلت نفسي فسأضربها بشدة بحيث لا أعرف ما الذي ضربني».

خطا مارفن عبر الباب، ونظر إلى زيفود نظرة اتهامية، ثم انخفض في زاوية وأطفأ نفسه.

كان الجميع صامتين على منصة ربّان قلب الذهب. حدّق آرثر إلى الرّف الذي أمامه وفكّر، والتقت نظرتة بعيني تريليان وهي تنظر إليه مستفسرة. عاد ونظر إلى الرّف، في النهاية رآها.

التقط خمسة مكعبات بلاستيكية صغيرة ووضعها على لوح ممدد أمام الرّف. نُقش على المكعبات الخمسة الحروف E, X, Q, U, و I. وضعها بجانب الحروف S, I, T, E.

قال: «فاتن، نتيجة هذه الكلمة مضاعفة ثلاث مرات. أخشى أنها تسجّل أكثر من ذلك بكثير».

ارتطمت السفينة وبعثرت بعضاً من الحروف للمرة المليون. تنهدت تريليان وراحت ترتبها من جديد.

تردد صدى أقدام فورد بريفيكت على طول الأروقة الصامتة وهو يتفحص السفينة ضارباً الآلات الميتة.

فكر في نفسه: لم لا تنفك السفينة ترتج؟

- لم تهتز وتتمايل؟

- لم لم يتمكن من معرفة أين هم؟

- أين هم بالأساس؟

اندفع البرج اليساري لمكاتب دليل المسافر إلى المجرة عبر الفضاء بسرعة لم يسبقه إليها أي مبنى في المجرة.

راح زيفود بيببروكس يذرع المكان في غرفة تقع في منتصف ذلك المبنى.

جلس روستا على حافة المنضدة يقوم بأعمال صيانة روتينية لمنشفته.

تساءل زيفود قائلاً: «هيه، إلى أين قلت إن هذا المبنى يطير؟»

قال روستا: «إلى فروغستار، أكثر الأماكن شراً في الكون».

قال زيفود: «هل لديهم طعام هناك؟»

- «طعام؟ أنت ذاهب إلى فروغستار وتقلق بشأن إن كان لديهم طعام أم لا؟»

- «من دون طعام قد لا أصل إلى فروغستار».

لم يتمكنوا خارج النافذة من رؤية شيء سوى ضوء أشعة القوة المترجرج وآثار خضراء يحتمل أنها كانت الأشكال المشوهة لمقاتلات فروغستار. بسرعة كهذه، كانت السرعة بحد ذاتها خفية، وبالتأكيد خيالية.

قال روستا: «خذ، مصّ هذه»، وقدم لزيفود منشفته.

حدّقه زيفود كأنه يتوقع أن يثب من جبهة روستا وقواق بقفزة صغيرة.

شرح روستا قائلاً: «إنها مشبعة بالمواد المغذية».

قال زيفود: «ما أنت؟ ملتهم طعام فوضوي أم ماذا؟»

-«الشرائط الصفرة غنية بالبروتين، الخضرة تحتوي على مركبات الثيامين بي وسي، الزهور الزهرية الصغيرة تحوي خلاصة ألياف القمح».

أخذ زيفود المنشفة ونظر إليها بذهول، سأل: «ما هذه البقع البنية؟» قال روستا: «صلصة شواء، أستخدمها عندما أملّ من ألياف القمح».

شمّها زيفود بتردد، وبتردد أكبر مصّ الزاوية، بصق قائلاً: «يا للقرف».

قال روستا: «نعم، حينما أمصّ هذه الزاوية عليّ أن أمصّ الزاوية المقابلة قليلاً».

قال زيفود بارتياح: «لم؟ ما الذي فيها؟»

قال روستا: «مضادات اكتئاب».

قال زيفود وهو يعيد المنشفة: «بدأت أكره هذه المنشفة».

أخذها روستا منه وأنزل نفسه عن المنضدة، مشى حولها، ثم جلس على كرسيّ رافعاً قدميه، قال وهو يضع يديه خلف رأسه: «يا بيلبروكس، هل لديك أدنى فكرة عمّا سيحصل لك في فروغستار؟»

تجرأ زيفود على القول وهو مفعم بالأمل: «سيطعمونني؟»

قال روستا: «سيطعمونك لدوامة المشهد الكلي!»

لم يكن زيفود قد سمع بذلك من قبل، كان يعتقد بأنه سمع بكل الأشياء الممتعة في المجرة، لذا افترض أن دوامة المشهد الكلي ليست ممتعة، فسأل عنها.

قال روستا: «إنها التعذيب النفسي الأكثر همجية الذي يمكن أن يخضع له كائن حي».

أوماً زيفود برأسه مدعناً وقال: «إذاً، لا طعام، أليس كذلك؟»

قال روستا بإلحاح: «اسمع، يمكنك أن تقتل رجلاً، تتلف جسده، تحطم روحه، لكن دوامة المشهد الكلي هي من تستطيع أن تبيد روحه! المعالجة لثوان عدة، لكن التأثير يستمر مدى الحياة!»

سأل زيفود بحدة: «ألم يسبق لك أن احتسيت البان غالاكتيك غارغل بلاستر؟»

- «هذه أسوأ».

استسلم زيفود متأثراً وقال: «يا للهول!» ثم أضاف بعد لحظة: «هل لديك فكرة عن السبب الذي يدفع هؤلاء الأشخاص إلى فعل هذا الشيء لي؟»
- «إنهم يعتقدون أنها أفضل طريقة لتدميرك إلى الأبد، إنهم يعرفون ما أنت بصدده».

- «هل يمكنهم أن يرموا لي برسالة كي أعرف أيضاً؟»

قال روستا: «أنت تعرف، أنت تعرف يا بيبليروكس، تريد أن تقابل الرجل الذي يحكم الكون».

قال زيفود: «هل يمكنه الطبخ؟» وبعد تفكير أضاف: «أشك في مقدرته على الطبخ، لأنه لو تمكن من طبخ وجبة جيدة لما كان ليقلق من باقي الكون. أريد مقابلة طباخ».

تنهد روستا برصانة.

سأله زيفود: «ما الذي تفعله أنت هنا في أي حال؟ ما الذي يخصك في

كل هذا؟»

- «أنا واحد ممن خططوا لهذا الشيء، مع زارنيوب، مع يودن فرانكس، مع جدك الأكبر، ومعك يا بيبيلبروكس».

- «أنا؟»

- «نعم أنت، ولقد أخبرت بأنك تغيرت، لكنني لم أعلم أنك تغيرت إلى هذه الدرجة».

- «لكن...»

- «أنا هنا لأجل عمل واحد، وسوف أعمله قبل أن أتركك».

- «أي عمل يا رجل، ما الذي تتكلم عنه؟»

- «سأعمله قبل أن أتركك».

غظ روستا في صمت تام، فكان زيفود سعيداً بشدة.

الفصل الثامن

كان الهواء حول الكوكب الثاني من نظام فروغستار فاسداً وغير صحي .

كانت الرياح التي اكتسحت سطحه بشكل مستمر شديدة الرطوبة وتمر فوق مسطحات ملح، مستنقعات مجففة، نباتات متشابكة وعفنة وبقايا منهاره من مدن مدمرة. لم يعيش أي شكل من أشكال الحياة فوق سطحه، كانت الأرض مهجورة منذ زمن بعيد، مثلها مثل الكثير من الكواكب في ذلك الجزء من المجرة.

كان صوت الرياح كثيباً جداً وهي تعصف خلال مباني المدن القديمة المضمحلة، وكان أكثر كآبة عندما راح يجلد قواعد الأبراج السوداء الطويلة التي تمايلت بخوف هنا وهناك على سطح هذا العالم. عاشت على قمم هذه الأبراج مستعمرات من الطيور الكبيرة، النحيفة وسيئة الرائحة، كانت الناجية الوحيدة من الحضارة التي عاشت هنا من قبل.

إلا أن كآبة صوت الرياح كانت تشتد عندما تمر فوق بثرة في مكان يتوسط أرضاً رمادية عريضة من ضواحي المدن المهجورة الكبرى.

الشيء الذي أعطى لهذا العالم سمعته بأن يكون أكثر الأماكن شراً في المجرة هو هذه البثرة. من الخارج كانت مجرد قبة معدنية بقطر ثلاثين قدماً، أما من الداخل فكانت شيئاً أكثر وحشية مما يمكن للعقل أن يتصور.

على بعد مئة ياردة تقريباً من تلك البثرة، يقع ما يمكن وصفه بأنه مهبط أو ما شابه، يفصله عنها امتداد من الأرض القاحلة، حيث تناثرت قطع ضخمة وبشعة من دستتين أو ثلاث من المباني المتحطمة بسبب الهبوط. فوق تلك المباني وحوها كان هنالك عقل يرفرف، عقل ينتظر شيئاً ما. وجّه العقل تركيزه إلى الهواء، ولم يمض وقت قبل أن تظهر ذرة بعيدة محاطة بحلقة من ذرات أصغر.

كانت الذرة الصغيرة البرج الأيسر من مبنى دليل المسافر إلى المجرة، هابطاً من الجزء الأعلى لغلّاف كوكب فروغستارب الجويّ.

ومع هبوط المبنى، قطع روستا على نحو مفاجئ الصمت الطويل والمزعج الذي خيم بينهما.

وقف جامعاً منشفته في محفظة وقال: «يا بيبيلبروكس، سأنفذ الآن العمل الذي أرسلت إلى هنا لأجله».

نظر إليه زيفود من الزاوية التي كان يتشارك فيها مع مارفن بأفكار غير محكية، وقال: «حقاً؟»

قال روستا: «سيهبط المبنى بعد قليل، لا تخرج من الباب، بل اخرج من النافذة». ثم أضاف: «حظاً موفقاً». وخرج من الباب مختفياً من حياة زيفود بالغموض نفسه الذي دخل فيه.

قفز زيفود وجرب فتح الباب لكن روستا كان قد أقفله، فهزّ كتفيه وعاد إلى الزاوية.

بعد دقيقتين هبط المبنى وتحطم بين بقية الحطام، عملت مرافقاته من مقاتلات فروغستار على إلغاء تفعيل أشعة القوة، وحلقت في الهواء مجدداً باتجاه كوكب فروغستار أ، وهو مكان أفضل بشكل كامل. لم تهبط هذه المقاتلات إطلاقاً على كوكب فروغستار ب، ولم يفعل أحد ذلك، لم يمش على سطحه سوى الضحايا المطلوبين لدوامة المشهد الكلي.

سقط زيفود بقوة بسبب التصادم، واستلقى للحظة في الدبش المغبر الساكن الذي استحالت إليه معظم الغرفة، وشعر بأنه في اللحظات الأكثر انحطاطاً في حياته، شعر بالارتباك، شعر بالوحدة، شعر بأنه غير محبوب، وفي النهاية شعر بأن عليه إنهاء الأمر مهما يكن.

نظر حوله في الغرفة المحطمة والمتصدعة، وكان الحائط قد تشقق حول إطار الباب وانفتح الأخير. بمعجزة ما كانت النافذة مغلقة وغير مكسورة. تردد لوهلة، ومن ثم فكر في أنه إذا كان شريكه الجديد والغريب قد تعرض لكل ما تعرض له ليخبره بما أخبره فلا بد أن يكون هنالك سبب وجيه لذلك. فتح النافذة بمساعدة مارفن، في الخارج كانت سحابة الغبار ماثرة من التصادم، بشكل فعال منعت كتل الأبنية الأخرى، التي كانت تحيط بهذا المبنى، زيفود من رؤية أي شيء من العالم في الخارج.

لم يهمه ذلك بشدة، همّة الأساس كان ما رآه عندما نظر إلى الأسفل. إن مكتب زارنيووب في الطابق الخامس عشر، وكان المبنى قد هبط بزواوية خمس وأربعين درجة تقريباً، ومع ذلك بدا أن الهبوط يوقف القلب.

في النهاية، وبفعل لدغات نظرات الاحتقار التي بدا أن مارفن يرمقه بها، أخذ نفساً عميقاً وتسلق خارجاً إلى الجانب شديد الانحدار من المبنى.

تبعه مارفن وراحا يزحفان معاً ببطء وألم على الخمس عشرة طبقة التي فصلتهما عن الأرض.

كبت الهواء الرطب والغبار رثتيه وهو يزحف، تألمت عيونه، والبعد الرهيب إلى الأسفل جعل رأسيه يصابان بالدوار.

وملاحظات مارفن العرضية من شاكلة «هذه هي الأمور التي تستمتعون بها يا أشكال الحياة، أليس كذلك؟ أسأل من أجل المعلومة لا أكثر،» لم تحسن حالته العقلية كثيراً.

توقفا طلباً للراحة في منتصف الطريق إلى الأسفل إلى جانب المبنى المحطم. بدا لزيفود وهو مستلق يلهث خوفاً وتعباً أن مارفن أكثر ابتهاجاً من المعتاد بقليل. في النهاية أدرك أن ذلك لم يكن صحيحاً، فالروبوت كان أكثر بهجة بالمقارنة مع مزاج زيفود الشخصي.

قدم طائر كبير ونحيف مرفرفاً عبر غيوم الغبار التي تهدأ ببطء، ومد ساقيه الهزيلتين وحط على إفريز نافذة مائلة على بعد ياردتين من زيفود، ثم طوى جناحيه البشعين وتمايل بغرابة على مجثمه.

كان عرض جناحيه قرابة ست أقدام، وبشكل غريب بدا أن رأسه وعنقه كبيران بالنسبة إلى طائر. كان وجهه مسطحاً، والمنقار غير مكتمل النمو، وفي منتصف الجانب السفلي من جناحيه ظهر بوضوح أثر لشكل يشبه اليد. في الحقيقة كان إنساناً تقريباً.

أدار عينيه المجهدتين إلى زيفود ونقر بمنقاره بشكل متقطع. قال زيفود: «اغرب من هنا».

تمت الطائر بكآبة: «حسناً»، ورفرف عائداً إلى الغبار من جديد.
بارتباك شاهد زيفود الطائر يبتعد فسأل مارفن: «هل كلمني ذلك
الطائر للتو؟» كان مستعداً لتصديق أي تفسير بديل، مثل أنه كان يهلوس
في الواقع.

أكد له مارفن قائلاً: «نعم».

قال صوت أثري عميق في أذن زيفود: «أرواح مثيرة للشفقة».

كادت الاستدارة العنيفة لمعرفة مصدر الصوت تتسبب لزيفود
بالسقوط عن المبنى، فأمسك بنتوء نافذة بوحشية وجرح يده عليه، تمسك به
وراح يتنفس بصعوبة.

لم يكن مصدر الصوت مرئياً ولا بأي شكل، ولم يكن هنالك أحد،
ومع ذلك فلقد تكلم من جديد.

«من خلفهم تاريخ فاجع كما تعلم، آفة رهيبة».

نظر زيفود من حوله باهتياج، كان الصوت عميقاً وهادئاً، وكان
يمكن وصفه في ظروف أخرى بأنه مهدئ، لكن لا يوجد شيء مهدئ في أن
تم مخاطبتك من العدم بصوت محرر من الجسد، ولا سيما إن لم تكن في
أفضل حالاتك ومتعلقاً من إفريز على علو ثمانية طوابق من مبنى محطم، مثل
زيفود بيلبروكس.

تلعثم زيفود قائلاً: «هيه، إي...»

تساءل الصوت بهدوء: «هل أخبرك قصتهم؟»

لهت زيفود قائلاً: «هيه، من أنت؟ أين أنت؟»

همس الصوت: «ربما لاحقاً إذأ، أنا غارغرافار، أمين دوامة
المشهد الكلي».

«لم لا أتمكن من مشاهدة»...

بنوع من الثقة والبهجة قال الصوت: «سترى أن تقدمك إلى أسفل
المبنى سيتيسر بشكل كبير إن تحركت نحو الiardتين إلى يسارك. لم لا تجربيه؟»
نظر زيفود ورأى مجموعة من الأخاديد الأفقية الصغيرة إلى جانب
المبنى تقود إلى الأسفل. بامتنان نقل نفسه إليها. قال الصوت في أذنه: «لم لا
أراك مجدداً في الأسفل؟» وتلاشى.

صاح زيفود: «هيه، أين أنت»...

قال الصوت بشكل باهت جداً: «سيتطلب الأمر دقيقتين فقط»...

قال زيفود بجدية للروبوت الجاثم إلى جانبه بكآبة: «مارثن، هل
فعل... هل فعل صوت»...

رد مارثن بإيجاز: «نعم».

أوماً زيفود برأسه. أخرج نظارته الحساسة للخطر من جديد، كانت
سوداء بشكل كامل، ومخدوشة بشكل كبير الآن بسبب الجسم المعدني غير
المتوقع الذي في جيبه. وضع النظارة، يمكنه إيجاد طريقه بيسر أكبر إن لم
يكن مضطراً إلى النظر إلى ما يفعله. تسلق بعد دقائق عدة فوق أساسات
المبنى الممزقة والمشوهة، ومرة أخرى سقط إلى الأرض مع نزعته لنظارته.
انضم إليه مارثن بعد دقيقة تقريباً دافعاً بوجهه في الغبار والذبش حتى بدا
في وضعية من لا يرغب في التحرك.

قال الصوت فجأة في أذن زيفود: «هل وصلت؟ اعذرني لترتكب بتلك الطريقة، كل ما في الأمر أنني أصاب بالدوار من المرتفعات، أو لنقل،» وأضاف بحزن: «كنت أصاب بالدوار من المرتفعات».

نظر زيفود حوله ببطء وحذر ليرى إن كان فاته ما قد يكون مصدر الصوت. لكن كل ما رآه كان الغبار، الدبش، والقطع الهائلة من الأبنية المحيطة، فقال: «هيه، إي، لم لا أستطيع رؤيتك؟ لم لست هنا؟»

قال الصوت ببطء: «أنا هنا، أراد جسمي أن يأتي لكنه مشغول قليلاً حالياً، لديه أعمال يقوم بها وأناس يلتقي بهم». وبعد ما بدا أنه تنهد أثري وأضاف: «تعرف كيف هي حالة الأجسام».

لم يكن زيفود واثقاً من ذلك، فأضاف: «أظني أعرف».

تابع الصوت: «جل ما أتمناه أن يكون قد ذهب ليرتاح ويتعالج، فالطريقة التي كان يعيش فيها مؤخراً جعلت بدايته وشيكة».

قال زيفود: «بداية؟ ألا تقصد نهاية؟»

لهنيهة، لم يقل الصوت شيئاً، نظر زيفود حوله بقلق، لم يدر إن كان الصوت لا يزال موجوداً أو ما كان يفعل، عندئذ تكلم الصوت من جديد: «إذاً، ستوضع في الدوامة، أليس كذلك؟»

قال زيفود بمحاولة متواضعة ليبدو لا مبالياً: «إي، حسناً، هذا الخبيث ليس في عجلة من أمره كما تعلم، يمكنني أن أتمشى قليلاً وأعاين المنظر المحلي؟»

سأل صوت غارغرافار: «هل رأيت المنظر المحلي؟»

«إي، لا».

تسلق زيفود فوق الدبش والتفّ حول زاوية أحد المباني المنهارة التي كانت تحجب الرؤية، وعاین المنظر الطبيعي لكوكب فروغستار ب ثم قال: «آه، حسناً، سأتمشى قليلاً إذاً».

قال غارغرافار: «لا، إن الدوامة جاهزة من أجلك الآن، عليك المجيء. اتبعني».

قال زيفود: «بحق؟ وكيف عليّ فعل ذلك؟»

قال غارغرافار: «سأدندن لك، اتبع الدندنة».

صدح عبر الهواء صوت ندب رقيق، صوت شاحب وحزين كأنه من دون أي تركيز. تمكن زيفود من تحديد الاتجاه الذي كان يأتي منه الصوت بعد أن أصغى إليه بانتباه شديد. ببطء وانبهار تعثر زيفود وهو يقتفي أثر الصوت، ما الذي يمكن فعله؟

الفصل التاسع

كما لوحظ من قبل فإن الكون مكان كبير بشكل غير مريح، وهذه حقيقة يتجاهلها معظم الناس من أجل حياة هادئة.

فقد ينتقل الكثيرون بسعادة إلى مكان أصغر من اختيارهم، وهذا في الواقع ما تفعله معظم الكائنات.

في سبيل المثال، في زاوية من الذراع المجريّة الشرقية يقع كوكب الغابة الكبيرة «أوغلاروون»، حيث يعيش كل قاطنيه «الأذكيا» على نحو مستمر على شجرة بندق صغيرة ومزدحمة. وعلى تلك الشجرة يولدون، يعيشون، يقعون في الحب، ينحتون على لحائها مقالات تأملية صغيرة عن معنى الحياة، عبثية الموت وأهمية تحديد النسل، يشنون بعض الحروب الثانوية جداً، وفي النهاية يموتون مقيدين إلى الجزء السفلي من أحد الأغصان الخارجية التي يصعب الوصول إليها.

في الحقيقة، إن الأوغلاروونيين الوحيديين الذين يتركون شجرتهم هم الذين يتم دفعهم خارجها بسبب الجرم الشائن المتعلق بالتأمل في ما إذا كانت هنالك أشجار أخرى قادرة على دعم الحياة أو كون الأشجار الأخرى أكثر من مجرد وهم يتسبب به أكل الكثير من بندق أوغلا.

وعلى الرغم من أن هذا التصرف قد يبدو غريباً إلا أنه لا يوجد شكل من أشكال الحياة في المجرة ليس مذنباً بشكل أو بآخر بالشيء عينه، وهذا هو السبب في كون دوامة المشهد الكلي مرّوعة بالشكل الذي هي عليه.

لأنه حينما توضع في الدوامة، تعطيك الأخيرة لمحة خاطفة عن كلفة لا محدودية الخلق التي لا يمكن تخيلها، وفي مكان ما منها علامة صغيرة، نقطة ميكروسكوبية على نقطة ميكروسكوبية، تقول: «أنت هنا».

تدّد السهل الرمادي أمام زيفود، سهل مخرب ومتلف، تحركت الرياح بوحشية فوقه.

كانت بثرة القبة المعدنية واضحة في منتصفه، استنتج زيفود بأن هذا المكان هو ما سيذهب إليه، كانت هذه دوامة المشهد الكلي.

وبينما هو واقف ينظر إليها بكآبة، انبعث منها على حين غرة نحيب ذعر وحشيّ لرجل حُرقت روحه من جسده، صاحت فوق الرياح وذوت.

انطلق زيفود بخوف وبدا أن دمه تحول إلى هيليوم سائل، دمدم بصمت: «هيه، ما كان ذلك؟»

قال غارغرافار: «تسجيل لآخر رجل تم وضعه في الدوامة. يجري تشغيله دائماً للضحية التالية، كنوع من المقدمة الموسيقية».

تمتم زيفود: «هيه، تبدو سيئة بحق... ألا يمكننا أن ننسلّ إلى حفلة أو ما شابه ونمضي بعض الوقت للتفكير في الأمر؟»

قال صوت غارغرافار الأثيري: «جلّ ما أعلمه أنني في حفل في الأغلب، جسدي بالطبع، إنه يذهب إلى الكثير من الحفلات من دوني. يقول إنني أعرقله. يا للهول».

قال زيفود متلهفاً لتأجيل ما كان سيحصل له: «ما قصة جسدك؟»

قال غارغرافار بتردد: «حسنًا، إنه... إنه مشغول كما تعلم».

قال زيفود: «أتقصد أن لديه دماغاً خاصاً به؟»

كان هنالك توقف طويل وبارد نوعاً ما قبل أن يتكلم غارغرافار مجدداً، ردّ في النهاية: «علي القول، إنني لا أستلطف تلك الملاحظة».

تمتم زيفود باعتذار متحيّر ومرتبك.

قال غارغرافار: «لا يهم، فأنت لم تكن تعلم».

ارتعش الصوت بتعاسة وتابع بنغمة اتضح من خلالها أنه يحاول جاهداً أن يبقيها تحت السيطرة: «في الحقيقة... في الحقيقة نحن نخضع حالياً لفترة انفصال قانونية في المحكمة. أظنها ستنتهي بالطلاق».

كان الصوت ثابتاً من جديد، تاركاً زيفود من دون فكرة عمّا يقوله. فغمغم بشكل غير واضح.

قال غارغرافار مطولاً: «أعتقد أننا لسنا مناسبين لبعضنا كثيراً، لا تبدو علينا السعادة بفعل الأشياء نفسها. ودائماً نتجادل حول الجنس والصيد، في النهاية حاولنا أن نجمع الأمرين لكن الوضع انتهى بكارثة، كما يمكنك أن تتخيل، والآن يرفض جسدي أن يدعني أدخل. لا يريد أن يراني حتى»...

توقف مجدداً بشكل فاجع، وثارَت الرياح عبر السهل.

«قال إنني أسكنه فقط. أشرت إلى أنه عليّ في الواقع أن أسكنه، فقال إن تلك بالتحديد هي من الملاحظات الذكية التي أفقدته صبره. فتركنا الأمر على حاله، وأغلب الظن أنه سيحصل على وصاية لاسمي الأول».

قال زيفود بضعف: «أوه... وما يكون؟»

قال الصوت: «بيزبوت، اسمي هو بيزبوت غارغرافار. إن اسمي يروي القصة كاملة أليس كذلك؟»

قال زيفود بتعاطف: «إب»....

- «لذا أنا، كعقل محرر من الجسد، أقوم بهذا العمل، أمين دوامة المشهد الكليّ. لن يمشي على أرض هذا الكوكب أحد إطلاقاً. عدا ضحايا الدوامة، حيث أخشى أنهم لا يُحسبون».

- «آه»...

- «سأخبرك بالقصة، هل تود سماعها؟»

- «إب»...

- «منذ العديد من السنوات كان هذا كوكباً سعيداً ومزدهراً، توجد أسواق ومدن، كوكب طبيعي. إلا أن الشوارع الفخمة من هذه المدن كانت تحوي متاجر أحذية أكثر مما قد يظنه المرء ضرورياً. راحت أعداد هذه المتاجر تتزايد ببطء ومكر، إنها حالة اقتصادية معروفة إنما من المفجع رؤيتها على أرض الواقع، لأنه كلما ازداد عدد المتاجر، ازداد عدد الأحذية التي عليهم صنعها، وازداد سوءها وأصبحت غير قابلة للانتعال. وازدياد سوءها للانتعال ازدادت الكمية التي على الناس شراؤها ليقوا أنفسهم منتعلين، وازداد عدد المتاجر بالتبرعم، حتى تجاوز اقتصاد المكان عتبة ما أعتقد أنه يُدعى 'نتيجة أفق الحذاء' وأصبح من غير الممكن اقتصادياً بناء أي شيء غير متاجر الأحذية. النتيجة: الانهيار، الدمار والمجاعة. هلك معظم

السكان، أما القليلون الذين كان لديهم الشكل الصحيح من عدم الاستقرار الجيني فتحولوا إلى طيور، رأيت أحدهم، ولعنوا أقدامهم، لعنوا الأرض وأقسموا أنه لن يطأها أحد مجدداً. إنها أرض تعسة. تعال، عليّ أن آخذك إلى الدوامة».

هزّ زيفود رأسه بارتباك وتعثر متقدماً عبر السهل، قال: «وأنت، قد قدمت من هذا الجحيم أليس كذلك؟»

قال غارغرافار وقد فوجئ: «لا، لا، لقد أتيت من كوكب فروغستار ج، مكان جميل، صيد سمك رائع، أطيّر عائداً إلى هناك في الأمسيات. على الرغم من أن جلّ ما أستطيع فعله الآن هو المراقبة. إن دوامة المشهد الكليّ هي الشيء الوحيد الذي لديه وظيفة على هذا الكوكب، لقد بُنيت هنا لأنه لم يردّها أحد في جواره».

في تلك اللحظة شقّت الهواء صرخة كئيبة، وارتعد زيفود، فلهث قائلاً: «ما الذي يمكنه فعل ذلك بالشخص؟»

قال غارغرافار ببساطة: «الكون، الكون الكلي اللامتناهي، الشموس اللامتناهيّة، المسافات اللامتناهيّة بينها، وأنت بنفسك، نقطة خفيّة على نقطة خفيّة، صغرك لامتناه».

تمتم زيفود محاولاً إنعاش ما تبقى من غروره: «هيه، أنا زيفود بيلبروكس يا رجل، كما تعلم».

لم يردّ غارغرافار، بل ببساطة تابع دندنته المحزنة حتى وصلا إلى قبة معدينة ملوثة في منتصف السهل.

انفتح باب جانبي مهمهماً مع وصولهم إليها كاشفاً عن حجرة صغيرة معتمّة في الداخل.

قال غارغرافار: «ادخل».

ارتحى زيفود من الخوف وقال: «هيه، ماذا؟ الآن؟»

- «الآن».

حدّق زيفود إلى الداخل بقلق. كانت الحجرة صغيرة جداً، كانت مخططة بالمعدن ولم يكن في داخلها متسع لأكثر من شخص.

قال زيفود: «إنها... إي... لا تبدو كأبي دوامة بالنسبة إليّ».

قال غارغرافار: «إنها ليست كذلك، إنها مجرد مصعد، ادخل».

خطا زيفود إلى داخلها بذعر لا محدود، كان مدركاً بوجود غارغرافار معه في المصعد، على الرغم من أن الرجل المتحرر من الجسد لم يكن في تلك اللحظة يتكلم.

بدأ المصعد هبوطه، تتمم زيفود: «يجب أن أصل إلى الحالة الذهنية السليمة لهذا الأمر».

قال غارغرافار بتجهّم: «لا توجد حالة ذهنية سليمة».

- «أنت تعلم تماماً كيف تجعل المرء يشعر بأنه غير كفيّ».

- «أنا لا أفعل ذلك، الدوامة من يفعل ذلك».

انفتحت مؤخرة المصعد في أسفل النفق وتعثّر زيفود إلى داخل حجرة وظيفيّة صغيرة ومخططة بالمعدن.

يقع في الجانب البعيد منها صندوق معدني عمودي، كبير حتى إنه يتيح لرجل أن يقف فيه. كان بتلك البساطة.

اتصل بكومة صغيرة من المعدات والعناصر الأساسية عن طريق سلك تخزين ووحيد.

قال زيفود بدهشة: «أتلك هي؟»

-«تلك هي».

فكر زيفود لنفسه بأنها لا تبدو سيئة جداً.

قال زيفود: «وعليّ أن أدخلها أليس كذلك؟»

قال غارغرافار: «عليك أن تدخلها، وأخشى أنه عليك فعل ذلك الآن».

قال زيفود: «حسناً، حسناً».

انفتح باب الصندوق وخطا زيفود إلى داخله.

انتظر داخل الصندوق.

كانت هنالك نقرة بعد خمس ثوان، وكان الكون برمّته معه في الصندوق.

الفصل العاشر

تستمدّ دوامة المشهد الكليّ صورة الكون برمته من مبدأ استقراء تحليل المادة.

لشرح ذلك نقول، بما أن كل جزء من المادة في الكون متأثر بشكل أو بآخر ببقية الأجزاء، فمن الممكن نظرياً استقراء الخلق كله، كل الشموس، وكل الكواكب، ومداراتها، وتركيباتها وتاريخها الاجتماعي والاقتصادي من قطعة حلوى، في سبيل المثال.

اخترع رجل دوامة المشهد الكليّ لإزعاج زوجته فقط.

كان ترين تراغولا، وهذا كان اسمه، حالمًا، مفكرًا، فيلسوفًا تأملياً أو، كما تقول زوجته، أبله.

وكانت تتذمر منه باستمرار حول المدة الكبيرة من الوقت التي يمضيها وهو يحدق إلى الفضاء، أو يفكر ملياً في آلية عمل مسامير الأمان، أو يجلل السجل الطيفي لقطع من الحلوى.

كانت تقول له: «ليكن لديك حسّ من التناسب!» وأحياناً تقولها ثم إن وثلاثين مرة في اليوم الواحد.

لذا بنى دوامة المشهد الكليّ ليعلمها.

ففي طرف وصل كل الحقيقة كما تم استقراؤها من قطعة حلوى، وفي الطرف الآخر وصل زوجته، لذا لما شغلها رأّت في لحظة لانهائية الخلق الكلية وشاهدت نفسها بالنسبة إلى ما سبق.

كان ترين تراغولا مرعوباً من كون الصدمة قد أبادت عقلها بأكمله، لكنه كان راضياً عن كونه قد برهن بشكل حاسم على أنه إن كانت الحياة ستوجد في كون بهذا الاتساع فالشيء الوحيد الذي لا يمكنها امتلاكه هو حسّ من التناسب.

تأرجح باب الدوامة منفتحاً.

راقب غارغرافار الأمر بكآبة عن طريق عقله المحرر من الجسد، كان قد أحب زيفود بيبيلبروكس بطريقة غريبة، وكان بالتأكيد رجلاً متعدد الصفات، حتى لو كانت بمعظمها سيئة.

انتظره أن يرتمي إلى الأمام من الصندوق كما حصل لجميع من قبله، لكن بدلاً من ذلك، خطا خارجاً وقال: «مرحباً!»

لهث عقل غارغرافار بذهول قائلاً: «بيبلبروكس...»

قال زيفود: «هل يمكنني الحصول على شراب لو سمحت؟»

تلعثم غارغرافار: «كن... كنت... في الدوامة؟»

- «رأيتني يا فتى».

- «وكانت تعمل؟»

- «بالتأكيد كانت».

- «وشاهدت لانهاية الخلق برمتها؟»

- «بالطبع، مكان مرتب بحق، أتعلم ذلك؟»

كان عقل غارغرافار يترنح من الدهشة، ولو كان جسده معه لكان سقط بعنف وهو فاغر فاه.

قال غارغرافار: «وشاهدت نفسك بالنسبة إليها كلها؟»

- «أوه، أجل، أجل.»

- «لكن... ما الذي اخترته؟»

هز زيفود كتفيه معتداً بنفسه وقال: «لقد قالت لي ما كنت أعرفه طوال الوقت، بأني شخص رائع وعظيم، ألم أقل لك يا عزيزي، أنا زيفود بيلبروكس!»

نظر إلى الآلة التي كانت تغذي الدوامة وتوقف فجأة مرّوعاً. تنهد وقال: «هيه، هل هذه حقاً قطعة حلوى؟»

أخذ قطعة الحلوى من الحساسات التي كانت تحيط بها. وقال بنهم: «لو قلت لك كم أحتاج هذه، لما وجدت الوقت الكافي لأكلها.»
ثم أكلها.

الفصل الحادي عشر

بعد هنيهة قصيرة كان زيفود يركض عبر السهل باتجاه المدينة المدمرة.
أزّ الهواء الرطب بقسوة في رئتيه وتعثر مراراً بسبب التعب الذي لا يزال يشعر به. يحلّ الليل أيضاً والأرض الوعرة غدّارة.
إلا أن إعجابه بنفسه من التجربة السابقة استمر يرافقه، كل الكون، لقد شاهد كل الكون يتمدد إلى اللانهاية من حوله، كل شيء، ومعه أتت المعرفة الواضحة والاستثنائية بأنه أهم شيء في هذا الكون. أن يكون لك غرور مخادع أمر، وحقيقة أن تحرك به آلة أمر آخر.
لم يكن لديه وقت للتفكير في هذه القضية.
أخبره غارغرافار بأنه سينبّه أسياده عمّا حدث، وفي المقابل فهو مستعد لترك فاصل زمني مقبول قبل أن يفعل ذلك. وقت كافٍ لزيفود كي يهرب ويجد مكاناً يختبئ فيه.
لم يكن يعلم ما سيفعله، لكن شعوره بأنه أهم شخص في الكون أعطاه الثقة بأن شيئاً ما سينكشف. لا يمكن لشيء آخر على سطح هذا الكوكب الموبوء أن يعطيه دافع كهذا للتفاؤل.
استمر يركض حتى أدرك بعد فترة ضواحي مدينة مهجورة.

مشى على طول شوارع متصدعة ومتشقة أفسدتها الأعشاب الهزيلة والحفر الممتلئة بالأحذية المتعفنة. كانت الأبنية التي مر بها متداعية ومنهارة إلى درجة أن اعتقد زيفود أن من غير الآمن دخول أي منها. أين يمكنه الاختباء؟ تابع مسرعاً.

بعد هنيهة ساقته بقايا طريق رئيس عريض بعيداً عن الطريق الذي كان يمشي عليه، وفي نهايته يقبع مبنى ضخيم ومنخفض محاط بعدد من المباني الأصغر ويحيطها جميعاً حاجز يطوق المنطقة بأسرها. بدا المبنى الرئيس الضخم متماسكاً بشكل معقول، فاستدار زيفود ليرى إن كان يمكن للمبنى أن يزوده ب.... حسناً، أي شيء.

اقترب من المبنى، عند أحد جوانبه - الواجهة على الأغلب لأنها مقابلة لساحة إسمنتية عريضة - يوجد ثلاثة أبواب كبيرة بارترفع ستين قدماً. كان الباب البعيد مفتوحاً فركض زيفود باتجاهه.

في الداخل كان كل شيء معتماً، غبار وفوضى، خيوط عنكبوت ضخمة تمتد على كل شيء. كان قد انهار جزء من البنية التحتية للمبنى، وتداعى قسم من الحائط الخلفي، وتمددت طبقة غبار خائق بسماكة إنشات عدة على الأرضية.

لاحت أجسام ضخمة مغطاة بكتل من الحجارة عبر الظلام. كانت الأجسام أسطوانية أحياناً، منتفخة حيناً، ومثل البيوض، أو البيوض المكسورة، في أحيان أخرى. كان معظمها مفتوحاً أو يتداعى، وبعضها كان مجرد هياكل.

كانت كلها سفن فضائية مهجورة.

تجول زيفود بخيبة بين الكتل الضخمة، لم يكن هنالك شيء يقترب - ولو على نحو بسيط - من أن يكون مفيداً. حتى إن اهتزازات خطواته تسببت بانهيار حطام متقلقل على نفسه.

باتجاه نهاية المبنى قبعت سفينة قديمة، أكبر من الأخريات بقليل ومدفونة تحت كومة أكبر من الغبار وخيطان العناكب، لكن شكلها بدا غير مكسور، فاقترب منها زيفود باهتمام، ومع اقترابه تعثر بخط قديم للإمداد بالطاقة.

حاول أن يقذف الخط جانباً لكنه لدهشته اكتشف أنه لا يزال متصلاً بالسفينة، ولكي يكون ذهوله تاماً أدرك أن خط إمداد الطاقة لا يزال مهمهم. حدّق إلى السفينة غير مصدق، ومن ثم نظر إلى خط الإمداد بين يديه. نزع سترته ورماها جانباً. تبع خط الإمداد زاحفاً على يديه وركبتيه إلى حيث يتصل الخط بالسفينة، كانت نقطة الاتصال سليمة واهتزاز المهمة أكثر وضوحاً.

كان قلبه يخفق بسرعة، فمسح بعض السخام ووضع أذناً على جانب السفينة، فلم يتمكن من سماع سوى صوت ضعيف غامض.

نقّب على نحو محموم بين الحطام المتراكم على الأرض من حوله ووجد شبكة أنابيب قصيرة مع كوب بلاستيكي غير قابل للتحلل فصنع منه سماعة بدائية ووضعها على جانب السفينة.

ما سمعه جعل دماغه يتشقلبان.

قال الصوت:

«تود خطوط رحلات 'تراستيلار' الاعتذار من المسافرين على استمرار التأخير في هذه الرحلة، ننتظر حالياً تحميل بقية مناديل المائدة الصغيرة المشبعة بالليمون من أجل راحتكم، وللانتعاش والنظافة خلال الرحلة. نشكركم حالياً على صبركم، سيعمل طاقم القمرة بعد قليل على تقديم القهوة والبسكويت من جديد».

ترنح زيفود إلى الخلف وهو ينظر بهيجان إلى السفينة.

تمشى شاعراً بدوار للحظات عدة، وبينما هو كذلك وقع نظره فجأة على لوح مغادرة كبير لا يزال معلقاً، لكن بدعامة واحدة من السقف الذي فوقه، كان مغطى بالسخام لكن كانت بعض من أرقامه لا تزال قابلة للتمييز.

بحثت عينا زيفود بين الأرقام وأجرى حسابات موجزة، فامتدت عيناه، وهتت لنفسه قائلاً: «تسعمئة سنة»... ذلك كان مقدار تأخر السفينة. بعد دقيقتين كان على متنها.

كان الهواء الذي استقبله بعد خروجه من حجرة الضغط بارداً ومنعشاً، إذ إن مكيفات الهواء لا تزال تعمل، والأضواء أيضاً.

خرج من حجرة الدخول الصغيرة إلى رواق ضيق وقصير فمشى فيه بتوتر، فُتح باب فجأة وخرج منه جسم أمامه، قالت المضيفة الآليّة: «رجاء، عد إلى مقعدك يا سيدي». واستدارت، ومشت إلى آخر الرواق أمامه، تبعها عندما عاد قلبه يخفق مجدداً، وفتحت الباب في آخر الرواق ومشت عبره، فتبعها عبر الباب.

كانا الآن في مقصورة الركاب، وتوقف قلب زيفود عن الخفقان للحظة. جلس في كل مقعد راكب مقيد أو مقيدة. كانت شعور الركاب طويلة ومهملة، وأظافرهم طويلة، ونمت ذقون الرجال منهم.

بدا واضحاً أنهم جميعاً أحياء، لكن نائمون.

حالة الرعب التي اعترت زيفود كانت لا توصف.

خطا ببطء في الممشى كأنه في حلم، عندما أصبح في منتصف الطريق كانت المضيئة قد وصلت إلى الطرف الآخر، فاستدارت وتكلمت.

قالت بلطف: «نهاركم سعيد سيداتي وسادتي، شكراً لتحملكم معنا هذا التأخير الطفيف، سنقلع بمجرد أن نستطيع ذلك، إن أحببتم الاستيقاظ الآن فسأقدم لكم القهوة والبسكويت».

كانت هنالك همهمة خفيفة. في تلك اللحظة استيقظ كل الركاب. استيقظوا يصرخون ويخدشون أحزمتهم وأنظمة دعم الحياة التي أمسكت بهم بشدة في مقاعدهم. صرخوا وصاحوا واشتكوا حتى ظنّ زيفود أن أذنيه ستتلف.

كافحوا وتلّوا في حين تحركت المضيئة بصبر على الممشى وهي تضع كؤوساً صغيرة من القهوة وعبوات من البسكويت أمام كل واحد منهم.

عند ذلك نهض أحدهم من مقعده، استدار ونظر إلى زيفود. زحف جلد زيفود على كل جسمه كأنه يحاول النزول عنه، فاستدار وركض من الهرج والمرج. اندفع من الباب عائداً إلى الرواق. لحق به الرجل، يسابقه بجنون إلى نهاية الرواق، عبر حجرة المدخل وإلى ما بعدها حتى وصل إلى

قمرة القيادة، فدفع الباب خلفه بشدة وثبته بالرتاج، ثم استند إلى الباب وهو يتنفس بصعوبة.

في غضون ثوان، راحت يد تدق على الباب، من مكان ما في قمرة القيادة، وخاطبه صوت معدني قائلاً: «لا يسمح للمسافرين بالحضور في قمرة القيادة، عد إلى مقعدك من فضلك وانتظر إقلاع السفينة، يجري تقديم القهوة والبسكويت، هنا طيارك الآلي يتكلم، عد إلى مقعدك من فضلك».

لم يقل زيفود شيئاً، تنفس بصعوبة، وتابعت اليد خلفه تطرق على الباب.

كرر الطيار الآلي قائلاً: «عد إلى مقعدك من فضلك، لا يسمح للركاب بالحضور في قمرة القيادة».

لهت زيفود قائلاً: «أنا لست راكباً».

- «عد إلى مقعدك من فضلك».

صاح زيفود مجدداً: «أنا لست راكباً!»

- «عد إلى مقعدك من فضلك».

قال زيفود: «أنت الطيار الآلي؟»

قال الصوت من منصة الطيران: «نعم».

- «وأنت مسؤول عن هذه السفينة؟»

قال الصوت مجدداً: «نعم، هنالك تأخير، يجب إبقاء الركاب من دون إنعاش بشكل مؤقت من أجل إراحتهم وإفادتهم. يجري تقديم القهوة

والبسكويت كل سنة، وبعد ذلك يعاد الركاب من دون إنعاش بشكل مؤقت من أجل الاستمرار في إراحتهم وإفادتهم. سنغادر حالما تكتمل مخازن الرحلة، نعتذر عن التأخير».

ابتعد زيفود عن الباب الذي كانت قد توقفت اليد عن الضرب عليه، واقترب من منصة الطيران وصاح: «تأخير؟ هل رأيت العالم خارج هذه السفينة؟ إنه أرض قاحلة، صحراء، لقد اختفت الحضارة يا رجل، لن تأتي مناديل مائدة صغيرة مشبعة بالليمون من أي مكان!»

تابع الطيار الآلي بأناقة: «هنالك احتمال إحصائي كبير بأن تقوم حضارات أخرى، وسيكون هنالك مناديل مائدة صغيرة مشبعة بالليمون في أحد الأيام، حتى ذلك الوقت سيكون هنالك تأخير طفيف. عد إلى مقعدك من فضلك».

- «لكن»...

لكن الباب فُتح في تلك اللحظة، واستدار زيفود كي يرى الرجل الذي كان يطارده واقفاً هناك. كان يحمل حقيبة ضخمة، أنيق الملبس، قصير الشعر، من دون أظافر طويلة أو لحية.

قال: «يا زيفود بيلبروكس، اسمي زارنيوب، أعتقد أنك أردت رؤيتي».

ثرثر زيفود بيلبروكس، وتفوّه بأشياء تافهة، ومن ثم سقط على كرسي.

قال: «يا رجل، يا رجل، من أين انبثقت؟»

قال بنبرة جدية: «كنت أنتظر ك هنا».

وضع حقيبته على الأرض وجلس في كرسي آخر وقال: «يسرني أنك تبعت التعليمات، كنت قلقاً من أنك قد تغادر المكتب من الباب بدلاً من النافذة. حينها كنت ستقع في مشكلة».

هز زيفود رأسه أمام الرجل وخرّ.

فشرح زارنيوب قائلاً: «كنت دخلت كوني الاصطناعي إلكترونياً عندما دخلت من باب مكنتي، فلو خرجت من الباب لكنت عدت إلى الكون الحقيقي، الاصطناعي يعمل من هنا». وربت على محفظته بأناقة.

حدّق إليه زيفود باستياء واشمئزاز، ودمدم قائلاً: «ما الفرق؟»

قال زارنيوب: «لا شيء، إنها متطابقان، أوه، إلا أن مقاتلات فروغستار رمادية في الكون الحقيقي على ما أظن».

تكلم زيفود بعدائية: «ما الذي يجري؟»

قال زارنيوب: «بسيط،» ثقته بالنفس وأناقته تسببت باحتياج زيفود.

كرر زارنيوب قائلاً: «بسيط جداً، لقد اكتشفت الإحداثيات التي يمكن أن يوجد فيها هذا الرجل، الرجل الذي يحكم الكون، واكتشفت أن عالمه محمي بحقل من اللااحتمالية. ولكي أحمي سري، ونفسي، انسحبت إلى أمان هذا الكون الاصطناعي بالكامل وخبأت نفسي بعيداً في خطوط رحلات منسية، وبذلك كنت بمأمن. في الوقت الراهن، أنا وأنت...»

قال زيفود بغضب: «أنت وأنا؟ أتقصد أنني أعرفك؟»

قال زارنيوب: «أجل، نحن نعرف بعضنا جيداً».

قال زيفود: «لا أدري»، وتابع صمته العنيد.

«في ذلك الوقت، اتفقنا أنا وأنت بأنك ستسرق سفينة ذات محرك
اللااحتمالية، الوحيدة التي تتمكن من الوصول إلى عالم الحاكم، وتجلبها إلي،
وهذا ما فعلته الآن حسب ما أعتقد، أهنتك». وابتسم ابتسامة صغيرة أراد
زيفود أن يضرها بقلب قرميد.

أضف زارنيوب: «أوه، وفي حال كنت تتساءل، لقد تم تصميم هذا
الكون خصيصاً كي تأتي إليه، لذا فأنت أهم شخص في هذا الكون، ولم يكن
لك»، قالها مبتسماً ابتسامة أكثر تحفيزاً للضرب «أن تنجو من دوامة المشهد
الكلي في الكون الحقيقي. هلاً نذهب؟»

قال زيفود بكآبة: «إلى أين؟» وقد شعر بالانهيار.

- «إلى سفيتتك، قلب الذهب، لقد جلبتها معك حسب ما أعتقد؟»

- «لا».

- «أين معطفك؟»

نظر إليه زيفود بارتباك.

- «معطفي؟ خلعتة، إنه في الخارج».

- «جيد، سنذهب ونجده».

وقف زارنيوب وأشار إلى زيفود كي يتبعه.

خرجا، وفي حجرة الدخول، تمكنا من سماع صراخ الركاب وهم
يُطعمون القهوة والبسكويت.

قال زارنيوب: «إن انتظارك لم يكن تجربة لطيفة».

صاح زيفود: «لم تكن لطيفة لك؟ كيف تعتقد...»

رفع زارنيوب إصبعه مشيراً بالصمت مع انفتاح باب المخرج،
وتمكننا من رؤية معطف زيفود على بعد أقدام عدة ملقى على الحطام.

قال زارنيوب: «إنها سفينة مميزة وقوية جداً، راقب».

راح جيب المعطف ينتفخ وهما يراقبان، انشطر، تمزقت، أخذ
الأنموذج المعدني الصغير لقلب الذهب، الذي حير زيفود لاكتشاف
ماهيته، ينمو.

نما، واستمر ينمو حتى وصلت السفينة بعد دقيقتين إلى حجمها
الكامل. قال زارنيوب: «على مستوى للاحتمالية يقدر ب... أوه لا أعلم،
لكنه شيء كبير جداً».

تمايل زيفود.

«هل تقصد أنها كانت معي كل الوقت؟»

ابتسم زارنيوب، ورفع حقيبته وفتحها، ثم لوى مفتاحاً واحداً في
داخلها وقال: «وداعاً أيها الكون الاصطناعي، مرحباً بالحقيقي!»

ومض المشهد أمامهما لوهلة وظهر من جديد تماماً كالسابق.

قال زارنيوب: «هل رأيت، متشابهان تماماً».

كرر زيفود بتوتر: «أتقصد أنها كانت معي كل الوقت؟»

قال زارنيوب: «أجل بالطبع، تلك هي الغاية من الأمر».

قال زيفود: «حسناً، انس أمري، من الآن فصاعداً يمكنك أن تنسى
أمري. حصلت على كل ما أريده من هذا. نفذ خططك بمفردك».

قال زارنيووب: «أخشى أنك لا تستطيع المغادرة، أنت مشبوك في
حقل اللاحتمالية، لا يمكنك الهروب».

ابتسم الابتسامة التي أراد زيفود أن يضربها، وفي هذه المرة ضربها.

الفصل الثاني عشر

وثب فورد بريفيكت إلى منصة الربان في قلب الذهب. صرخ قائلاً:
«تريليان! آرثر! إنها تعمل! لقد أُعيد تنشيط السفينة!»

كان آرثر وتريليان نائمين على الأرض.

قال وهو يركلها ليستيقظا: «هيا يا أصحاب، سننطلق، سننطلق».

غرّد الحاسوب: «مرحباً يا رفاق! من الرائع أن أكون معكم مجدداً،
أستطيع التأكيد بأنني أردت قول إنه...»

قال فورد: «اخرس، أخبرنا أين نحن بحق الجحيم».

«كوكب فروغستار ب، ويا له من مكان قذر»، قالها زيفود وهو
يركض إلى المنصة ثم أضاف: «مرحباً يا رفاق، لا بد أنكم مسرورون بشكل
مذهل لرؤيتي إلى درجة أنكم غير قادرين على إيجاد الكلمات لتخبروني كم
أنا 'فروود' رائع».

قال آرثر متعباً: «ماذا، ماذا؟» وهو ينهض عن الأرض غير مدرك
لأي مما يحدث.

قال زيفود: «أعرف شعورك، فأنا عظيم إلى درجة أنه ينعقد لساني
عندما أتكلم مع نفسي. هيه، من الجيد رؤيتك يا تريليان، فورد، القرد
البشري، هيه، إي، حاسوب...؟»

«مرحباً بك يا سيدي بيلبروكس، من المؤكد أنه شرف عظيم أن...»

«اخرس وأخرجنا من هنا، بسرعة، بسرعة، بسرعة.»

«بالتأكيد يا صاحبي، إلى أين تريد الذهاب؟»

صاح زيفود: «إلى أيّ مكان، لا يهم». ثم أضاف: «بل يهم، نريد

الذهاب إلى أقرب مكان لتناول الطعام!»

قال الحاسوب بسعادة: «بالتأكيد». وهزّ المنصة انفجار كبير. لما دخل

زارنيوب بعد دقيقة تقريباً مكدوم العين، لاحظ اللفافات الدخانية

الصغيرة باهتمام.

الفصل الثالث عشر

غاصت أربعة أجسام خاملة عبر السواد الدائر، مات الوعي،
وسَحَبَ النسيان الأجسام إلى الأسفل أكثر فأكثر، إلى حفرة اللاوجود، تردد
صدى هدير الصمت بكآبة من حولهم وغاصوا في النهاية إلى بحر مظلمٍ
وقاسٍ من الاحمرار المُتعب الذي أحاط بهم ببطء، وعلى ما يبدو إلى الأبد.

بعد فترة بدت أبدية، تراجع البحر تاركاً إياهم ممددين على شاطئ
بارد وصلب، حطام سفن وأمتعة طافية لتيّار الحياة، الكون، وكل شيء.

هزتهم تشنجات ضعيفة، تراقصت الأضواء حولهم على نحو مقرف،
مال الشاطئ البارد والصلب ودار، ومن ثم توقف ساكناً. راح الجسم
الضبابي الأخضر يشع بشكل غامض وهو يراقبهم باستنكار.

سَعَلَ وقال: «مساؤكم سعيد يا سيدي وسادتي، هل لديكم حجز؟»

عاد وعي فوردي بريفيكت بسرعة مثل مطاط، مسبباً له ألماً في دماغه.

نظر إلى الجسم الضبابي الأخضر بتشويش وقال بضعف: «حجز؟»

قال الجسم الضبابي الأخضر: «نعم سيدي».

- «هل تحتاج إلى حجز في الآخرة؟»

قوّس الجسم الضبابي الأخضر حاجبيه بازدراء بقدر ما يمكن لجسم

ضبابي أخضر أن يفعل ذلك وقال: «الآخرة يا سيدي؟»

راح آرثر دينت يتشبث بوعيه بالطريقة نفسها التي يتشبث بها المرء بلوح صابون ضائع في الحمام. تلعثم قائلاً: «هل هذه هي الآخرة؟»
قال فورد بريفيكت وهو يحاول معرفة أي جهة هي الأعلى:
«أفترض ذلك».

جرب النظرية التي تنص على أن الأعلى في الاتجاه المقابل للشاطئ البارد والصلب حيث كان ممدداً، وراح يحنن الموضع الذي تمنى أن تكون قدماه فيه.

قال مترنحاً باعتدال: «أقصد أنه لا يمكن أن نكون قد نجونا من ذلك الانفجار، أليس كذلك؟»

دمدم آرثر: «لا». ورفع نفسه على مرفقيه لكن الأمر لم يحسن من وضعه في شيء، فانخفض مجدداً.

قالت تريليان وهي تقف: «لا، لا يمكن إطلاقاً».

أتى من الأرض صوت أجش لقرقرة كسول، كان ذلك زيفود بيلبروكس محاولاً التكلم، قرقر قائلاً: «من المؤكد أنني لم أنج، كان ميئوساً مني بشكل تام، ومن ثم دوى صوت الانفجار وانتهى الأمر».

قال فورد: «أجل، بفضلك لم يكن لدينا فرصة، لا بد أننا تشطينا إلى أشلاء، أذرع وسيقان في كل مكان».

قال زيفود: «أجل». وهو يكافح جاهداً بصخب ليقف على رجليه.

قال الجسم الضبابي الأخضر وهو يحوم إلى جانبهم بنفاد صبر: «إن أحببت السيدة والسادة أن يطلبوا مشروبات...»

تابع زيفود قائلاً: «كريبو، طازج، مضروب فورياً بالجزئيات التي تكوّننا. هيه يا فورد،» قالها زيفود وهو يحدد واحداً من الأجسام الضبابية التي تتصلب ببطء من حوله «هل حصل لك ذلك الشيء عن أن حياتك كلها تُعرض أمامك؟»

قال فورد: «حصل لك ذلك أيضاً؟ حياتك كلها؟»

قال زيفود: «أجل، على الأقل أفترض بأنها حياتي، حيث إنني أمضيت كثيراً من الوقت من دون وعي كما تعلم.»

نظر حوله إلى الأشكال المتعددة التي كانت تتحول إلى أشكال حقيقية بدلاً من الأشكال الغريبة المرتعشة التي لا شكل لها. وقال: «إذاً...»

قال فورد: «ماذا إذاً؟»

قال زيفود بتردد: «إذاً ها نحن أولاء، نستلقي ميتين...»

صححت له تريليان: «نقف.»

تابع زيفود: «إي، نقف ميتين، في هذا ال...»

قال آرثر دينت: «مطعم». وكان قد وقف على قدميه في وقتها وتمكن، لدهشته، أن يرى بوضوح، ويمكن القول إن ما كان يدهشه ليس قدرته على الرؤية بل ما تمكن من رؤيته.

تابع زيفود بعناد: «ها نحن أولاء، نقف ميتين في هذا ال...»

قالت تريليان: «مطعم ذي...»

أنهى كلامها زيفود قائلاً: «خمس نجوم.»

قال فوردي: «غريب أليس كذلك؟»

- «إي، أجل».

- «ثريات جميلة على الرغم من ذلك».

نظروا حول بعضهم بارتباك.

قال آرثر: «إنها بطريقة أو بأخرى ما بعد الحياة، أكثر منها الآخرة».

كانت الثريات في الواقع قليلة في الجانب المبهرج، وفي كون مثالي، لم يكن للسقف المقنطر الذي علقت منه أن يكون ملوناً بتلك الدرجة تحديداً من اللون الفيروزي، ولو كان الأمر كذلك، لم يكن له أن يكون مضاءً بإضاءة مخفية. إلا أن هذا لم يكن كوناً مثالياً، كما بدا واضحاً أكثر من النقش الذي يسبب الحَوْل على الأرضية الرخامية المرصعة، ومن الطريقة التي تم فيها صنع واجهة الحانة الرخامية التي طولها ثمانون ياردة. تم صنع هذه الواجهة بتخييط قرابة العشرين ألفاً من جلود سحالي «أنتاريا» الفسيفسائية مع بعضها، بغض النظر عن حقيقة أن العشرين ألف سحلية المرتبطة بالأمر احتاجت هذه الجلود لتبقي أحشاءها فيها.

كانت بعض المخلوقات أنيقة الملابس تتكئ على الحانة، أو تسترخي في المقاعد الملونة التي تحتضن الجسم حيث تم نشرها هنا وهناك في منطقة الحانة. مرّ ضابط 'قلهورغي' شاب مع صاحبتة الشابة الخضراء الجميلة عبر الأبواب الزجاجية المدخنة الكبيرة في النهاية البعيدة للحانة باتجاه الإضاءة الباهرة في الجزء الأساسي من المطعم في الخلف.

كان يوجد خلف آرثر نافذة رئيسة كبيرة مزودة بستارة، سحب زاوية الستارة جانباً ونظر إلى المشهد في الخارج الذي كان ليتسبب لآرثر برعب شديد في الظروف الاعتيادية، لكن هذه لم تكن ظروفًا اعتيادية، لأن الشيء الذي جمد الدم في عروقه وجعل جلده ينكمش إلى أعلى رأسه كان السماء، التي كانت...

أعاد أحد الخدم الحاضرين الستارة إلى مكانها بتهذيب وقال: «كل شيء في وقته المناسب يا سيدي».

ومضت عينا زيفود وقال: «هيه، تسكعوا أيها الأموات، أظننا نفوت أمراً غاية في الأهمية كما تعلمون، شيئاً قاله أحدهم وفوتناه».

كان آرثر مرتاحاً بعمق لتحويل انتباهه عما شاهدته للتو. فقال: «قلت إنها شكل من أشكال ما بعد»...

قال زيفود: «أجل، أو لا تتمنى لو أنك لم تقل ذلك؟ فوردي؟»

- «قلت إنه غريب».

- «أجل، لاذع، لكنه ممل، لربما كان»...

قاطعته الشكل الضبابي الأخضر الذي تحول في ذلك الوقت إلى شكل نادل أخضر صغير متجعد يرتدي سترة داكنة وقال: «لربما تودون أن تناقشوا الأمر خلال احتساء الشراب»...

صاح زيفود: «شراب! ذلك هو الأمر! ذلك ما تفوتته إن لم تكن متيقظاً».

قال النادل بصبر: «بالطبع يا سيدي، لو تفضل السيدة والسادة بطلب المشروبات قبل العشاء»...

هتف زيفود بانفعال: «عشاء! اسمع أيها الشخص الأخضر الصغير،
يمكن لمعدتي أن تأخذك إلى البيت وتعانقك طوال الليل لمجرد هذه الفكرة».
ختم النادل، مقررًا ألا يتم تشتيته بفكرة التمدد في منزله، قائلاً: «...»
وسينفجر الكون لاحقاً لإرضائكم».

استدار رأس فورد باتجاه النادل وتكلم بعاطفة قائلاً: «عجباً، ما نوع
المشروبات التي تقدمونها في هذا المكان؟»

ضحك النادل ضحكة نادل صغيرة ومهذبة قائلاً: «آه، أعتقد يا
سيدي أنك لربما أسأت فهمي».

تنهد فورد قائلاً: «أوه، أتمنى ألا أكون كذلك».

سعل النادل سعلة نادل صغيرة ومهذبة قائلاً: «ليس غريباً على زبائننا
أن يكونوا مربكين قليلاً بسبب السفر عبر الزمن، لذا هل لي أن أقترح...»

قال زيفود: «رحلة عبر الزمن؟»

قال فورد: «رحلة عبر الزمن؟»

قالت تريليان: «رحلة عبر الزمن؟»

قال آرثر: «أتقصد أن هذه ليست الآخرة؟»

ابتسم النادل ابتسامة نادل صغيرة ومهذبة، وقد أوشك أن يستنفد
أدوار النادل المهذبة الصغيرة خاصته والانتقال إلى دور النادل الصغير
التهكمي زام الشفتين.

قال: «الآخرة يا سيدي؟ لا يا سيدي».

قال آرثر: «ونحن لسنا ميتين؟»

زَمّ النادل شفتيه، ثم قال: «أها، أنت في قيد الحياة بكل تأكيد يا سيدي، وإلا لما حاولت أن أخدمك يا سيدي».

أبدى زيفود بيلبروكس إيماءة استثنائية، التي من التفاهة أن يحاول أحد أن يصفها، بضرب جبهته باثنين من أذرعته وواحد من فخذه مع الآخر وقال: «هيه يا رفاق، هذا جنوني. لقد فعلناها أخيراً، وصلنا أخيراً إلى حيث كنا متجهين، هذا ميليويز!»^(١)

قال النادل مبالغاً بفظاظة: «نعم سيدي، هذا ميليويز، المطعم في نهاية الكون».

قال آرثر: «نهاية ماذا؟»

كرر النادل بوضوح كبير وبتحديد غير ضروري: «الكون».

قال آرثر: «متى انتهى ذلك؟»

قال النادل: «في بضع دقائق يا سيدي». وأخذ نفساً عميقاً. لم يكن في حاجة لفعل ذلك لأن جسمه كان مزوداً بتشكيلة مميزة من الغازات التي يحتاجها للنجاة عن طريق جهاز ضمن الأوردة محزّم بساقه. إنها هنالك أوقات تتطلب منك أن تأخذ نفساً عميقاً بغض النظر عن الأيض الذي لديك.

قال: «الآن، لو تفضلون بطلب مشروباتكم أخيراً، وسأقوم عندها بأخذكم إلى طاولتكم».

كشّر زيفود تكشيرتين مجنونتين، مشى الهوينى إلى الحانة واشترى معظمها.

(١) ميلي. ويز. Milliways - المترجم.

الفصل الرابع عشر

يُعد المطعم في نهاية الكون واحداً من أكثر المغامرات استثنائية في تاريخ تقديم الطعام. لقد بُني على البقايا المتشظية ل... سيتم بناؤه على البقايا... يمكن القول إنه سيكون قد تم بناؤه الآن، وبالتأكيد تم.

إحدى المشكلات الأساسية التي تواجهها في السفر عبر الزمن لا تكمن في أن تصبح عن طريق المصادفة أباك أو أمك. لا توجد مشكلة فيما يخص أن تصبح أباك أو أمك فأى أسرة متحررة ومنسجمة ستتمكن من التعامل مع هذا الوضع. ولا توجد مشكلة في تغيير مجرى التاريخ، مجرى التاريخ لا يتغير لأنه يتناسب مع بعضه مثل البانوراما، حصلت كل التغييرات المهمة قبل الأشياء التي ينبغي أن تتغير وفي النهاية ستحل كلها من تلقاء نفسها.

المشكلة الأساسية هي ببساطة قواعدية، والعمل الذي يجب مراجعته في هذه القضية هو كتيب الـ ١٠٠١ صياغة فعلية للمسافر عبر الزمن للدكتور دان ستريتمينشينيير^(١). سيدلّك في سبيل المثال كيف يمكنك أن تصف شيئاً كان يوشك أن يحدث لك في الماضي قبل أن تتجنبه بالقفز عبر الزمن إلى الأمام يومين من أجل أن تتجنبه. سيتم وصف الحدث بشكل مختلف حسب إن كنت تتحدث عنه من وجهة نظر وقتك الطبيعي، من زمن

(١) ستريت. مينشينيير - المترجم.

في المستقبل البعيد، أو من زمن في الماضي البعيد، ويزداد التعقيد باحتمالية أن تجري محادثة وأنت تسافر فعلاً من زمن إلى آخر مع نيتك لأن تصبح أمك أو أبك.

يصل معظم القراء إلى (المستقبل نصف-المشروط مُعدّل جواب الماضي تحت المعكوس المتعمّد المشروط) قبل أن يستسلموا، وفي الواقع في النسخ اللاحقة من الكتاب تُركت معظم الصفحات التي تقع بعد هذه النقطة فارغة لتوفير تكاليف الطباعة.

يتجاوز دليل المسافر إلى المجرة هذه المعضلة الأكاديمية، ويتوقف فقط للإشارة إلى أنه جرى ترك مصطلح «المستقبل التام» بعد أن تم اكتشاف أنه ليس كذلك.

للمتابعة:

يُعد المطعم في نهاية الكون واحداً من أكثر المغامرات استثنائية في تاريخ تقديم الطعام.

لقد تم بناؤه على البقايا المتشظية لكوكب دُمّر في النهاية، الذي (سوف قد يكون)^(١) تم تطويقه بفقاعة زمنية كبيرة وقُدّف به إلى الأمام في الزمن للحظة نهاية الكون تحديداً.

هذا ما يقول عنه الكثيرون إنه مستحيل.

(١) ما يذكر بين أقواس هو في الأساس أشكال مشوّهة من الأفعال في اللغة الإنكليزية، استخدمها آدمز لتوضيح فكرته السابقة التي كانت أن معضلة السفر عبر الزمن هي لغوية قواعدية.

وفيه يأخذ الزوار (سيكونون آخذين) أماكنهم حول الطاولة ويأكلون (سيكونون آكلين) وجبات فخمة في حين يشاهدون (سيكونون مشاهدين) الخلق من حولهم يتفجر.

هذا ما يقول عنه الكثيرون إنه مستحيل على حد سواء.

يمكنك الوصول (إمكان كونك واصلاً) إلى أي مقعد تريده من دون حجز مسبق (متأخراً قبل ذلك) لأنه يمكنك الحجز من الماضي، كما كان الأمر عندما تعود إلى زمنك. (يمكنك أن يكون لك بعد ذلك قبل الإبحار في العودة إلى الذهاب منزلك الماضي).

هذا ما يصرّ كثيرون على أنه مستحيل بشكل مطلق.

في المطعم يمكنك أن تقابل وتتناول الطعام مع (قد تقابل ضد مع تتناول في وقتها) سكان فاتنين من أقسام متقاطعة في الزمان والمكان.

هذا ما يمكن تفسيره بروية بأنه أيضاً مستحيل.

يمكنك زيارته مرات عديدة كما تحب (قد في الزيارة إعادة الزيارة... وهلم جرا، لتصحيحات صياغة وافية استشر كتاب الدكتور ستريتمينشينر) واعمل على ألا تقابل نفسك إطلاقاً، بسبب الإحراج الذي يسببه هذا الأمر عادة.

يقول المرتابون إن هذا، حتى لو كان الباقي صحيحاً، وهو ليس كذلك، مستحيل بوضوح.

كل ما عليك فعله هو أن تودع قرشاً واحداً في حساب توفير في منطقتك، وحينما تصل إلى نهاية الزمن فإن عملية تراكم الفائدة تعني أنه تم دفع الثمن الخرافي لوجبتك.

يدعي الكثيرون أن هذا ليس مستحيلاً فقط، بل جنونياً بوضوح. لذلك صدر عن مديري التسويق التنفيذيين في نظام «باستابلون» الشمسي هذا الشعار: «إن قمت بستة أشياء مستحيلة هذا الصباح، فلم لا تكملها بوجبة إفطار في ميليويز، المطعم في نهاية الكون؟».

الفصل الخامس عشر

في الحانة، أصبح زيفود متعباً بسرعة مثل سمندل الماء، وارتطم رأساه ببعضهما وبدأت ابتساماته تفقد تزامنها. كان سعيداً على نحو يثير الشفقة.

قال فورد: «زيفود، بينما أنت لا تزال قادراً على الكلام، هلاً أخبرتني بما حصل بحق الفوتون؟ أين كنت؟ أين كنا؟ أمر تافه، لكنني أحب أن يتوضح».

صحا رأس زيفود الأيسر، تاركاً الأيمن يغوص أكثر في خمول الشراب.

قال: «أجل، كنت في الأرجاء، يريدونني أن أجد الرجل الذي يحكم الكون، لكنني لا أكثرث لمقابلته. أعتقد أن الرجل لا يستطيع الطهو».

راقب رأسه الأيسر رأسه الأيمن يقول ذلك، ثم أوماً وقال: «صحيح، اشرب قدحاً آخر».

شرب فورد قدحاً آخر من البان غالاكتيك غارغل بلاستر، الشراب الذي وُصف بأنه الموازي الكحولي للسطو المسلح، مكلف وسيء للرأس.

قرر فورد أنه مهما كان قد حصل فإنه لم يكن يهيمه كثيراً.

قال زيفود: «اسمع يا فورد، كل شيء ممتاز و'فرودي'».

- «تقصد أن كل شيء تحت السيطرة».

قال زيفود: «لا، لا أقصد أن كل شيء تحت السيطرة، ذلك لن يكون ممتازاً و'فرودي'». إن أردت معرفة ما الذي حصل لنقل فقط إن الوضع برمته كان في جيبي، موافق؟»

هز فورد كتفيه. فهقه زيفود في شرابه، فأزبد الشراب من فوق جانبي الكأس وراح يشق طريقه على غطاء الحانة الرخامي.

اقترب منهم عجري سماوي أجرد بشكل كبير وعزف لهم على كمان كهربائي حتى أعطاه زيفود الكثير من الأموال ووافق على أن يذهب من جديد.

اقترب العجري من آرثر وتريليان وهما يجلسان في جزء آخر من الحانة. قال آرثر: «لا أعرف ما يكون هذا المكان، لكنه يخيفني».

قالت تريليان: «اشرب قدحاً آخر، استمتع بنفسك».

قال آرثر: «أيها؟ إن الأمرين يمانعان بعضهما».

- «مسكين يا آرثر، لست مناسباً تماماً لهذه الحياة، أليس كذلك؟»

- «أتسمين هذه حياة؟»

- «بدأت تتكلم مثل مارفن».

- «إن مارفن أكثر من أعرفهم حكمة، كيف جعلنا عازف الكمان هذا يتعد برأيك؟»

اقترب النادل وقال: «طاولتك جاهزة».

إذا نظرت إلى المطعم من الخارج، وهذا ما لم يحصل، فإنه يشبه سمكة نجمة البحر عملاقة وجذابة حطت على صخرة منسية. كل من أذرعها

يجوي على الحانات، المطابخ، مولدات حقل القوة التي تحمي كامل البناء والكوكب البالي الذي يقبع فيه، والمحركات الزمنية التي تهز كل ما سبق إلى الأمام والخلف ببطء في اللحظة الحاسمة.

في منتصف المطعم تقع القبة الذهبية العملاقة، كرة كاملة تقريباً، وفي هذه المنطقة كان يمر زيفود، فورد، آرثر وتريليان.

دخل قبلهم في هذه القبة خمسة أطنان من المواد البرّاقة في الأقل، فغطت كل السطوح المتاحة. كانت الأسطح الأخرى غير متاحة لأنها كانت مغطاة سلفاً بالجواهر، وأصداف بحرية ثمينة من «سانتراغينوس»، وأوراق ذهبية، وقرميد فسيفسائي، وجلود سحال ومليون من الزينة غير المحددة والديكور. لمع الزجاج، وتألقت الفضة، وومض الذهب، وحملق آرثر دينت.

قال زيفود: «واويي، زابو».

همس آرثر: «مذهل! الناس...! الأشياء...!»

قال فورد بريفيكت بهدوء: «الأشياء، هي أناس أيضاً».

تابع آرثر: «الناس... ال... ناس الآخرون...»

قالت تريليان: «الإضاءة...!»

قال آرثر: «الطاولات...»

قالت تريليان: «الملابس...!»

فكّر النادل في أنهما يتكلمان مثل وكيلين لصاحب الأرض.

قال زيفود: «إن نهاية الكون مشهورة جداً». كان يشق طريقه بحذر

من دون ثبات عبر حشد الطاومات، بعضها مصنوع من الرخام، وبعضها

من خشب الماهو غاني الفخم، حتى إن بعضها كان من البلاتين، وعلى كل واحدة ثلة من المخلوقات الغريبة، يدردشون فيما بينهم ويعاينون قوائم الطعام.

تابع زيفود قائلاً: «يجب الناس أن يرتدوا ثياباً جميلة من أجلها، وذلك يعطيها معنى احتفالياً».

امتدت الطاولات في شكل دائرة كبيرة حول منطقة المسرح المركزي حيث كانت تقوم فرقة موسيقية صغيرة بعزف ألحان هادئة، في الأقل ألف طاولة كما تخمن آرثر، نُثرت بينهم أشجار نخيل متمائلة، ونوافير مهسهسة، ومجموعة من التماثيل الزخرفية، باختصار، كل التجهيزات المعروفة في المطاعم، حيث لم يتم توفير إلا مصاريف صغيرة لتعطي انطباعاً بأنه لم يُيخَل بشيء. ألقى آرثر نظرة من حوله وهو شبه متوقع أن يرى أحدهم يعلن للأمريكان إكسبريس.

تمايل زيفود وفورد نحو بعضهما.

قال زيفود: «واويي».

قال فورد: «زابو».

قال زيفود: «لا بد أن جدي الأكبر خرب عمل الحاسوب كما تعلم، فأنا أخبرته أن يأخذنا إلى أقرب مكان لنأكل فأرسلنا إلى نهاية الكون، ذكرني بأن أكون لطيفاً معه في أحد الأيام».

توقف قليلاً.

- «هيه، الجميع هنا كما تعلم، جميع من كانت له قيمة».

قال آرثر: «كانت؟»

قال زيفود: «في نهاية الكون عليك استخدام صيغة الماضي كثيراً، لأن كل شيء قد جرى كما تعلم». صاح في ثلة قريبة من حيوانات الإيغوانة العملاقة: «مرحباً يا أصحاب، كيف حالكم؟»

تساءلت إيغوانة لأخرى: «هل هذا زيفود بيلبروكس؟»

قالت الإيغوانة الأخرى: «أظن ذلك».

قالت الإيغوانة الأولى: «حسناً، أليس ذلك رائعاً؟»

قالت الإيغوانة الثانية: «الحياة، يا لها من شيء قديم ومضحك».

قالت الأولى: «إنها ما تفعلينه بها». وعادت إلى الصمت.

كانوا بانتظار أعظم عرض في الكون.

قال فورد: «هيه يا زيفود،» محاولاً الإمساك بذراعه، وبسبب القدح الثالث من البان غالكتيك غارغل بلاستر، كان يخطئ. فأشار بإصبع متمائلة وقال: «هنالك صديق قديم لي، هوتبلاك ديزياتو! هل ترى ذلك الرجل بالبدلة البلاتينية، حول الطاولة البلاتينية؟»

حاول زيفود أن يلاحق إصبع فورد بعينه، لكن الأمر أصابه بالدوار، وفي النهاية رأى.

قال: «أجل،» ومن ثم أتى الإدراك بعد لحظة، قال: «ألم يكن ذلك الرجل هائلاً جداً! يا للهول، أكبر من أكبر شيء على الإطلاق، باستثنائي أنا».

سألت تريليان: «من من المفترض أن يكون؟»

قال زيفود بذهول: «هوتبلاك ديزياتو! ألا تعرفينه؟ ألم يسبق لك أن سمعت بـ "ديزاستر إريا"؟»

قالت تريليان التي لم تسمع بذلك: «لا».

قال فورد: «أكبر، أصخب...»

اقترح زيفود: «أغنى...»

«... فرقة روك في تاريخ ال... وبحث عن الكلمة.

قال زيفود: «...التاريخ عينه».

قالت تريليان: «لا».

قال زيفود: «زاويي، ها نحن أولاء في نهاية الكون وأنت لم تعرفي معنى الحياة بعد، هل فاتك الأمر».

قادها إلى حيث كان النادل يخدم حول الطاولة طوال ذلك الوقت.

تبعهم آرثر وهو يشعر باليأس والوحدة.

تقدم فورد بصعوبة عبر الحشود ليجدد معرفة قديمة.

صاح منادياً: «هيه، إي، يا هوتبلاك، كيف حالك؟ من الرائع رؤيتك أيها الضخم، كيف حال الصخب؟ تبدو رائعاً، سميناً جداً جداً ومريضاً. مذهل». صفع الرجل على ظهره وفوجئ ببرودة من كون ذلك لم يثر أي رد فعل. أخبره البان غالاكتيك غارغل بلاستر الذي كان يدور في داخله أن يندفع معها تكن النتيجة.

قال: «أتذكر الأيام الخوالي؟ كنا نتسكع أليس كذلك؟ حانة "إيلليغال"، أتذكر؟ متجر "سليمز ثروت"؟ "ذي إيقلدروم بوزاراما"، أيام رائعة أليس كذلك؟».

لم يبد هوتبلاك ديزياتو رأياً فيما إذا كانت أياماً رائعة أم لا، لكن ذلك لم يقلق فورد.

- «كنا نتظاهر، عندما نجوع، بأننا مفتشو صحة عامة، ألا تذكر ذلك؟ ثم نتجول في الأرجاء نصادر وجبات ومشروبات أليس كذلك؟ حتى نصاب بتسمم طعام. آه، ومن ثم هنالك ليالي الحديث والشراب الطويلة في تلك الغرف النتنة فوق مقهى "لو" في بلدة "غريتشين" نيو بيتل"، وكنت دائماً في الغرفة المجاورة تحاول كتابة أغاني على "الأجيتار" خاصتك وكنا جميعنا نكرهها. وأنت قلت إنك لا تهتم، ونحن قلنا إننا نهتم لأننا كرهناها كثيراً». بدأت عينا فورد تدمعان، تابع قائلاً وهو يندفع في حنينه إلى الماضي: «وقلت أنت إنك لا تريد أن تكون شمساً^(١) لأنك كنت تكره النظام الشمسي، وقلنا، أنا و"هادرا" و"سوليجوو"، إننا لا نظن أنك تملك الخيار. وما الذي تفعله الآن؟ تشتري نظماً شمسية!».

استدار فورد والتمس انتباه أولئك الذين يجلسون حول الطاولة القريبة، قال: «هنا رجل يشتري نظماً شمسية!».

لم يُبد هوتبلاك ديزياتو أي محاولة لتأكيد أو إنكار هذه الحقيقة، وبهت انتباه الجمهور المؤقت بسرعة.

(١) الكلمة الأصلية نجماً - المترجم.

تمتم كائن أرجواني يشبه الشجيرة في كأس النبيذ خاصته: «أظن أن أحدهم مخمور».

ترنح فورد قليلاً وجلس بعنف على الكرسي بمواجهة هوتبلاك ديزياتو. قال: «ما هو ذلك العدد الذي تقوم به؟» وبطيش أمسك بزجاجة للدعم وأمالها إلى كأس قريبة بالمصادفة، ولكي لا يفسد حدثاً سعيداً شرب الكأس.

تابع يقول: «ذلك العدد الكبير جداً، كيف كان؟ شيء مثل "بوم! بوم! بوم! بام!!"، وفي العرض الذي تقوم به ينتهي بسفينة تصطدم مباشرة بالشمس، وأنت تفعل ذلك حقاً!»

صدم فورد قبضته في يده الأخرى ليوضح هذا العمل البطولي بشكل تصويري. وأسقط الزجاجة مجدداً.

صاح: «سفينة! شمس! انفجار هائل! أعني، انس أمر الليزر وما شاكله، ما تسعون إليه يا رفاق هو توهجات شمسية وحروق شمس حقيقية! آه، وأغانٍ رديئة».

تابعت عيناه تدفق السائل المقرقر خارجاً من الزجاجة إلى الطاولة، وفكر أنه يجب فعل شيء إزاء الأمر.

قال: «هيه، هل تريد شراباً؟» وبدأت فكرة أن شيئاً ما كان ناقصاً في هذا اللقاء تستقر في دماغه المتخامد، واتفق لذلك الشيء الناقص أن يكون بطريقة أو بأخرى متعلقاً بحقيقة أن الرجل البدين الذي يجلس قبالة في بزته البلاستينية وقبعته الفضية لم يقل بعد «مرحباً يا فورد» أو «من الرائع رؤيتك بعد كل هذا الوقت» أو أي شيء على الإطلاق. زد على أنه لم يتحرك حتى.

قال فورد: «هوتبلاك؟»

حطت يد كبيرة قوية على كتفه من الخلف ودفعته جانباً، فانزلق على نحو سيئ من مقعده وحدق إلى الأعلى ليرى إن كان يستطيع أن يلحظ هذه اليد الفضة. لم يكن من الصعب ملاحظة المالك، إن أخذنا في الحسبان أنه شيء يبلغ طوله سبع أقدام وليس نحيل البنية، في الواقع كانت بنيته تشبه بنية الأرائك الجلدية، لامعاً، ثقيلًا مع الكثير من الحشوة الصلبة. بدا أن الهدف الوحيد في الحياة للبدلة التي أقحم فيها جسم الرجل هو أن تُظهر مدى صعوبة إدخال جسم كهذا في بدلة، كانت للوجه بنية البرتقالة ولون التفاحة، لكن انتهى هنا الشبه لأي شيء حلوا.

قال الصوت الخارج من فم الرجل، الذي بدا أنه كان يعاني وقتاً صعباً وهو في صدره: «يا فتى»...

قال فورد: «إي، نعم؟» ترنح واقفاً على قدميه مجدداً وكان مستاء من أن قمة رأسه لا ترتفع كثيراً بالنظر إلى جسم الرجل.
قال الرجل: «اغرب من هنا».

قال فورد: «أحقاً؟» متسائلاً عن مدى التعقل الذي كان يديه، «ومن أنت؟» فكر الرجل في الأمر لوهلة، فلم يكن معتاداً على أن يتم استجوابه بأسئلة كهذه. ومع ذلك فقد أتى بإجابة بعد هنيهة.

قال: «أنا الشخص الذي يقول لك اغرب من هنا، قبل أن تغرب عليك».

قال فورد بتوتر: «اسمع الآن»، وتمنى لو يتوقف رأسه عن الدوران، يستقر ويمسك بزمام الأمور، وتابع قائلاً: «اسمع الآن، أنا واحد من أقدم أصدقاء هوتبلاك و...»

نظر إلى هوتبلاك ديزياتو الذي لم يكن قد حرك رمشاً حتى، وقال فورد مجدداً: «... و...» وهو متحير حول ما يمكن أن تكون الكلمة المناسبة للقول بعد «و».

جاء الرجل الضخم بجملة كاملة لتقال بعد «و». قالها: «وأنا الحارس الشخصي للسيد ديزياتو، وأنا مسؤول عن جسمه، ولست مسؤولاً عن جسمك، لذا أبعد قبل أن يتأذى».

قال فورد: «انتظر دقيقة».

دوى الحارس: «لا دقائق! لا انتظار! إن السيد ديزياتو لا يتكلم إلى أحد!»

قال فورد: «حسناً، لربما تسأله عن رأيه الشخصي بالموضوع».

خار الحارس الشخصي: «إنه لا يتكلم مع أحد!»

نظر فورد إلى هوتبلاك مجدداً بقلق وكان مجبراً على الاعتراف لنفسه بأنه، كما يبدو، فإن الواقع يدعم الحارس الشخصي، ولم تكن هنالك أي إشارة على الحركة، فضلاً عن الاهتمام الشديد بسلامة فورد.

قال فورد: «لماذا؟ ما خطبه؟»

أخبره الحارس الشخصي.

الفصل السادس عشر

يشير دليل المسافر إلى المجرة إلى أن «ديزاستر إريا»، فرقة روك بلوتونية من مناطق أدمغة 'غاغراكاكا'، لا تُعدّ فقط فرقة الروك الأكثر صخباً في المجرة، بل في الواقع أعلى ضجيجاً من أي نوع على الإطلاق. يقر رواد الحفلات الموسيقية العاديون بأنه يمكن سماع أفضل تناغم صوتي من داخل غرف إسمنتية تحت الأرض على بعد سبع وثلاثين ميلاً عن مكان المسرح، في حين يعزف الموسيقيون على آلاتهم بجهاز تحكم من سفينة فضائية معزولة بكثافة تدور بمدار حول الكوكب، أو بالعادة حول كوكب مختلف تماماً.

أغانهم على نحو عام بسيطة وتتبع غالبيتها السمة المألوفة حيث يلتقي كائن ذكري بكائن أنثوي تحت قمر فضي ينفجر بعدها لسبب غير معروف بشكل كاف.

كثير من الكواكب منعت عروضهم بالإجمال، أحياناً لأسباب فنية، لكن السبب الأكثر شيوعاً هو أن نظام المخاطبة العمومي للفرقة ينتهك اتفاقيات الحد من الأسلحة الاستراتيجية المحلية.

إلا أن ذلك لم يوقف أرباحهم من دفع حدود الرياضيات الفوقية الصافية، وتم مؤخراً تعيين كبير مسؤولي الأبحاث لديهم بروفيسوراً للرياضيات الجديدة في جامعة "ماكسيمغالون" تقديراً لنظرياته العامة والخاصة

عن عائذات ضرائب ديزاستر إريا، حيث يبرهن أن تتابع نسيج الزمان والمكان ليس متقوساً على الإطلاق، بل في الواقع منحني بشكل كامل.

ترنّح فورد عائداً إلى الطاولة حيث كان يجلس زيفود وآرثر وتريليان، بانتظار بدء المرح.

قال فورد: «يجب أن أتناول بعض الطعام».

قال زيفود: «مرحباً يا فورد، هل تكلمت إلى صبي الضجيج الكبير؟»

هز فورد رأسه على نحو غير محدد.

- «هوتبلاك؟ كلمته نوعاً ما، نعم».

- «ما الذي قاله؟»

- «حسناً، لم يقل الكثير حقاً، إنه... إي...»

- «أجل؟»

- «إنه سيمضي سنة ممتاً لأسباب تتعلق بالضرائب. عليّ أن أجلس».

جلس، واقترّب النادل ثم قال: «هل تودّون رؤية قوائم الطعام أو تودون

مقابلة طبق اليوم؟»

قال فورد: «ها؟»

قال آرثر: «ها؟»

قالت تريليان «ها؟»

قال زيفود: «ممتاز، سنقابل اللحم».

عمد جسم طويل ونحيف في غرفة صغيرة من أذرع مجّمع المطعم إلى سحب الستارة جانباً فنظر النسيان في وجهه. لم يكن وجهاً جميلاً، ربما لسبب أن النسيان نظر فيه مرات عدة. لم يكن طويلاً جداً، عيناه غائرتان جداً ومحتجبتان جداً، الوجنتان مجوفتان جداً، شفّته كانتا رقيقتين وطويلتين، وعند انفصال الشفتين كانت أسنانه تبدو كنوافذ حديثة التلميع. كانت اليدان اللتان أمسكتا بالستارة نحيلتين وطويلتين أيضاً، وكانتا باردتين، وكانتا تقبعان برشاقة على طول طيّات الستارة فأعطتا انطباعاً بأنه إذا لم يراقبها مثل صقر فقد تزحفان بعيداً من تلقاء نفسيهما لتفعلا شيئاً لا يوصف في زاوية.

ترك الستارة تهبط وذهب الضوء الرهيب الذي كان يتراقص على قسماته ليتراقص في مكان صحيّ أكثر. طاف خلصة في حجرته الصغيرة مثل حشرة فرس النبي متأملة في فريسة السهرة، في النهاية استقر على كرسي ضعيف بالقرب من طاولة حيث تصفح بضعاً من أوراق النكت.

رن جرس.

دفع بحزمة الأوراق النحيلة جانباً ووقف، ومسحت يداه بشكل ضعيف فوق بعض من المليون ترتر الملون بألوان قوس قزح، الذي كان يزين سترته، وذهب عبر الباب.

خفتت الإضاءة في المطعم، وسارعت الفرقة في عزفها، واقتحمت بقعة ضوء وحيدة ظلّمة السلام التي قادت إلى منتصف المسرح.

في أعلى السلام وثب جسم طويل متألق الألوان، واندفع إلى المسرح، ونقر بخفة على مكبر الصوت ونزعه من منصته بانقضاضة واحدة من يده

الطويلة والنحيلة. وقف للحظة منحنيًا إلى اليمين واليسار وإلى الجمهور، معبراً عن شكره لتصفيقهم، وعارضاً نوافذه عليهم. لوح لأصدقائه المهمين في الجمهور على الرغم من عدم وجود أي منهم، وانتظر كي يحمد التصفيق. رفع يده وابتسم ابتسامة لم تتمدد فقط من أذن إلى أخرى بل بدت أنها تمتد إلى ما هو أكثر من مجرد حدود وجهه. صاح قائلاً: «شكراً لكم سيداتي وسادتي، شكراً جزيلاً لكم. شكراً كثيراً لكم».

نظر إليهم بعين وامضة.

قال: «سيداتي وسادتي، إن الكون كما نعرفه موجود منذ أكثر من مئة وسبعين ألف مليون مليار عام وسينتهي بعد نصف ساعة تقريباً. لذا، مرحباً بكم فرداً فرداً وجماعة في ميلويز، المطعم في نهاية الكون!»

استدعى جولة من التصفيق العفوي بإيماءة رشيقة.

قطعها بإيماءة أخرى.

قال: «أنا مضيفكم لهذه الليلة، اسمي ماكس كورديلين...» (كان الجميع يعرف ذلك، كان عرضه مشهوراً في كل المجرة المعروفة، لكنه قاله لأجل ما ولده من تصفيق نشط، الذي عبّر عن شكره له بابتسامة وتلويحة.) «... ولقد أتيت مباشرة من الطرف الآخر من الزمن، حيث كنت أقوم بدور المضيف لعرض في حانة 'بيغ بانغ برغر'، حيث أستطيع أن أخبركم أننا أمضينا سهرة ممتعة يا سيداتي وسادتي، وسأكون معكم في هذه المناسبة التاريخية، نهاية التاريخ بعينه!»

خمدت موجة أخرى من التصفيق سريعاً مع انخفاض الإضاءة أكثر. أشعلت الشموع أنفسها على كل طاولة بشكل تلقائي مثيرة لهائماً خفيفاً من كل متناولي العشاء، ومكلمة إياهم بألف من الأضواء الصغيرة المرفرفة، ومليون ظل حميم. اهتزت رجفة من الاحتياج عبر المطعم المعتم مع بدء القبة الذهبية القابعة فوقهم بالبهور، بالتعظيم، وبالتلاشي.

هدأ صوت ماكس وهو يتابع هامساً: «لذا، سيداتي وسادتي، الشموع مضاعة، الفرقة تعزف بلطف، ومع تحوّل القبة المدرّعة التي فوقنا إلى الشفافية كاشفة عن سماء مظلمة وكئيبة معلقة بجهد مع أضواء النجوم القديمة، الشاحبة والمتفاحرة، أرى أننا سنشهد جميعاً ليلة من الدمار الخرافي!»

حتى العزف الرقيق للفرقة تلاشى مع نزول الصدمة المذهلة لكل أولئك الذين لم يروا هذا المشهد من قبل.

انهمر عليهم ضوء رهيب متجههم،

ضوء شنيع،

ضوء هائج مهلك،

ضوء يمكنه تشويه الجحيم.

كان الكون ينتهي.

لثوان عدة مطوّلة راح المطعم يدور بصمت عبر الفراغ العظيم، عندئذ تكلم ماكس من جديد.

قال: «لأولئك الذين طالما تمنوا أن يروا الضوء في نهاية النفق، ها

هو ذا».

عزفت الفرقة من جديد.

صاح ماكس: «شكراً لكم سيداتي وسادتي، سأكون معكم من جديد في غضون لحظات، في أثناء ذلك، أترككم مع السيد ريغ نليفاي البارع جداً وفرقته العنيفة. تحية كبيرة من فضلكم سيداتي وسادتي لريغ ورفاقه!»

استمر اضطراب السماوات المشؤوم.

راح الجمهور يصفق بتردد، وبعد دقيقة تقريباً استؤنفت المحادثات العادية. بدأ ماكس جولته حول الطاولات، يتبادل النكت، ويضحك صارخاً، ويكسب رزقه.

اقترب حيوان لبون كبير من طاولة زيفود بيلبروكس، حيوان ضخمة سمين رباعي الأرجل من فصيلة الأبقار، بعينين دامعتين، وقرنين صغيرين وما يمكن أن يكون ابتسامة متملقة على شفثيه.

انخفض وجلس على وركيه بقوة قائلاً: «عمتم مساءً، أنا الطبق الرئيس لهذا اليوم، هل لي أن أثير انتباهكم إلى أجزاء من جسمي؟» سَعَلَ وقرقر قليلاً، لوى مؤخرته وحركها حتى يجلس بوضعية مريحة ونظر إليهم بهدوء.

قوبلت نظرتة بنظرات ذهول مروّع من آرثر وتريليان، بهزة كتفين مدعنة لفورد بريفيكت وبجوع تام من زيفود بيلبروكس.

اقترح الحيوان قائلاً: «ربما شيء من الكتف مدّس بصلصة النيذ الأبيض؟»

قال آرثر بهمسة مُرَوَّعة: «إي، كتفك؟»

خار الحيوان بقناعة قائلاً: «بالطبع كتفي يا سيدي، لست أملك كتف غيري لأقدمها».

قفز زيفود على قدميه وراح يتحسس ويلكز كتف الحيوان بتقدير.

همس الحيوان: «أو الردف، جيد جداً، كنت أمرنه وأكل الكثير من الحبوب، لذا فهنالك الكثير من اللحم الجيد هناك». نخر بمرح، وقرقر من جديد، وراح يمضغ ما اجترّه، ثم ابتلع ما اجتره مجدداً.

أضاف قائلاً: «أو لربما يخنة مني؟»

همست تريليان لفورد: «أتقصد أن هذا الحيوان يريدنا حقاً أن نأكله؟»

قال فورد بنظرة زجاجية في عينيه: «أنا؟ لا أقصد شيئاً».

قال آرثر: «هذا كريبه جداً، أكثر ما سمعته تقزيراً للنفس».

قال زيفود محولاً انتباهه إلى الورك الكبير للحيوان: «ما المشكلة أيها

الأرضي؟»

قال آرثر: «لا أريد أن أكل حيواناً يقف هنا ويدعوني إلى ذلك، ذلك

شيء جبان».

قال زيفود: «أفضل من أكل حيوان لا يريد أن يؤكل».

احتج آرثر: «ليس هذا المقصد» ثم فكر في الأمر لوهلة وأضاف:

«حسناً، ربما هذه النقطة صحيحة، لا يهمني، لن أفكر في الأمر الآن،

سأقوم ب...»

اهتز الكون من حوله بالأم احتضاره.

دمدم قائلاً: «أظنني سأتناول السلطة الخضراء».

سأله الحيوان: «هل لي أن ألع عليك لتفكر في كبدي، لا بد أنه طري وغني الآن، لقد كنت أطعم نفسي غصباً لشهور».

قال آرثر على نحو مؤكد: «سلطة خضراء».

قال الحيوان: «سلطة خضراء؟» وأدار عينيه باستنكار إلى آرثر.

قال آرثر: «هل ستخبرني أنه يجب علي ألا أتناول سلطة خضراء؟»

قال الحيوان: «حسناً، أعرف العديد من الخضراوات صاحبة الرأي الواضح في هذه النقطة. لهذا السبب تم في النهاية الاتفاق على تجاوز المشكلة المعقدة بشكل كامل وتربية حيوان يريد بحق أن يتم تناوله وباستطاعته قول ذلك على نحو واضح ومحدد. وها أنا ذا».

قال آرثر: «كوب ماء من فضلك».

قال زيفود: «اسمع، نريد أن نتناول الطعام، لا نريد أن نصنع وجبة من القضايا. أربع شرائح غير مطهوة جيداً من فضلك، وأسرع، نحن لم نأكل منذ خمسمئة وستة وسبعين ألف مليون سنة».

ترنح الحيوان على قوائمه وقرقر بمرح قائلاً: «دعني أقل إنه خيار موفق يا سيدي، جيد جداً. سأذهب بسرعة وأطلق النار على نفسي».

التفت وغمز آرثر غمزة ودية وقال: «لا تقلق يا سيدي، سأكون عطوفاً». ثم تهادى من دون استعجال إلى المطبخ.

في غضون دقائق عدة قدم النادل ومعه أربع شرائح لحم كبيرة وساخنة. بدأ زيفود وفورد التهام شريحتيهما من دون لحظة تردد، وتوقفت

تريليان للحظة، ثم هزت كتفها وبدأت بقطعها. نظر آرثر إلى قطعته وهو يشعر بقليل من الإعياء.

قال زيفود: «هيه، أيها الأرضي»، وقد علت وجهه الذي لم يكن يُحسَى طعاماً تكشيرة ماكرة «ما الذي يزعجك؟»
وتابعت الفرقة العزف.

كل الناس والأشياء في أرجاء المطعم دردشوا واسترخوا، وكان الهواء ممتلئاً بحديث عن هذا الأمر أو ذاك، وبروائح ممزوجة مع بعضها للنباتات الغريبة، الطعام الباهظ، والنبيد المغربي.

لعدد لا متناه من الأميال في كل اتجاه كان الزلزال الكوني يحتشد لدروة هائلة. وبلمحه ساعته، عاد ماكس إلى المسرح بتباه.

أذاع قائلاً: «والآن سيداتي وسادتي، هل يستمتع الجميع بآخر وقت رائع؟»

«نعم»، صاح ذلك النوع من الناس الذي يصيح «نعم» عندما يسألهم الممثل الكوميدي إن كانوا يمضون وقتاً رائعاً.

حمسهم ماكس قائلاً: «هذا رائع، رائع بحق، ومع تجمع عواصف الفوتون بحشود دوامة حولنا، مستعدة لتمزيق آخر الشمسوس الحمراء الحارة، أعرف أنكم ستسترخون وتستمتعون معي بما أنا واثق أننا سنجدته تجربة نهائية مثيرة بشكل هائل».

توقف وعاین الجمهور بعين تلمع وقال: «صدقوني سيداتي وسادتي، لا وجود لمصطلح "ما قبل الأخير" فيما خص هذا الحدث».

توقف قليلاً من جديد، الليلة كان توقيته بلا أخطاء، كان يقوم بهذا العرض مرة بعد مرة وليلة بعد ليلة، بغض النظر عن كون كلمة ليلة لا تعني شيئاً هنا في طرف الزمان، كل ما كان هنالك هو الإعادة اللانهائية للحظة الأخيرة، مع اهتزاز المطعم ببطء إلى الأمام فوق حافة الزمن القصوى، والعودة إلى الخلف من جديد، لكن هذه «الليلة» كانت جيدة، فالجمهور يتلوى على كف يده البائسة، وانخفض صوته، وعليهم أن يبذلوا جهداً لساعه.

قال: «هذه هي بحق النهاية المطلقة، الدمار البارد الأخير، الذي سيفني كل امتداد الخلق الفخم. هذه سيداتي وسادتي هي "النهاية" المشهورة». خفّض من صوته أكثر بعد، وفي ذلك السكون، لم تكن ذبابة لتجرؤ على أن تسعل.

قال: «بعد هذه، لن يكون هنالك شيء، فراغ، عدم، نسيان، لا شيء بالمطلق»...

لمعت عيناه مجدداً، أم أنها طرفتا؟

«لا شيء... ما عدا العربة الكهربائية الحلوة، وتشكيلة ممتازة من المسكّرات "الألديارية"!»

أعطته الفرقة تغطية موسيقية، تمنى لو لم تفعل، لم يكن لفنان في مكانته أن يحتاجها. يمكنه أن يتلاعب بالجمهور كآلته الموسيقية. كانوا يضحكون بارتياح، فتابع.

صاح بمرح: «ولمرة واحدة، لا داعي لأن تقلق من آثار إسرافك في الشراب عند الصباح، لأنه لن يكون هنالك المزيد من الصباحات!»

أشعّ على جمهوره السعيد والضاحك، لمح السماء في الأعلى، إنه يؤدي البرنامج نفسه تماماً كل ليلة، لكن لمحته كانت لجزء من الثانية، وثق بأنها ستؤدي عملها، كما يثق محترف بآخر.

قال وهو يتبختر على المسرح: «والآن، ونحن نخاطر بتثييط إحساس الموت والعبث الرائع هنا هذه الليلة، أحب أن أرحب ببعض الجماعات».

سحب بطاقة من جيبه، ورفع يده ليلجم الهمتافات قائلاً: «هل لدينا هنا جماعة من نادي 'زانسيلكواجر فلانماريون بريدج' ممّا وراء، فورثقويد الكفارن'؟ هل هم هنا؟»

أتى هتاف مستثار من الخلف، لكنه تظاهر بأنه لم يسمع، حدّق حوله محاولاً إيجادهم.

سأل مجدداً ليثير هتافاً أعلى: «هل هم هنا؟» وحصل عليه، كما كان يفعل دائماً.

«آه، ها هم أولاء هنالك. حسناً، الدعوات الأخيرة، يا شباب، وبلا غش، تذكروا أن هذه دقيقة مقدسة جداً». سبق الضحكة بكلامه.

«وهل لدينا أيضاً، هل لدينا... جماعة من الآلهة الثانوية من قصور أزغارد؟»

أتى هدير الرعد من بعيد إلى يمينه، ومر البرق عبر المسرح. جلست مجموعة صغيرة من الرجال المكسيين بالشعر والمرتدين خوذاً ويبدون راضين جداً عن أنفسهم، ورفعوا له كؤوسهم.

منسيين، هكذا فكر لنفسه ثم قال: «كن حذراً مع هذه المطرقة يا سيدي».

نفذوا خدعة البرق مجدداً، فابتسم لهم ماكس ابتسامة خفيفة.

قال: «وثالثاً، ثالثاً جماعة من المحافظين الشبان من 'سيرْيوس ب'، هل هم هنا؟»

توقفت جماعة من الكلاب الفتية أنيقة الملبس عن رمي اللفافات على بعضهم وراحوا يرمون اللفافات على المسرح، نبحوا بشكل غير واضح.

قال ماكس: «نعم، حسناً هذا خطأكم، تدركون ذلك؟»

قال ماكس: «وأخيراً»، وقد أصمت الجمهور وارتسمت علامات الوقار على وجهه «أخيراً أعتقد أنه لدينا هنا معنا الليلة، جماعة من المؤمنين، مؤمنين أتقياء جداً، من كنيسة المجيء الثاني للرسول العظيم زاركوان».

كان هنالك نحو العشرين منهم، يجلسون على طرف الصالة، زهيدي الملبس، يرتشفون مياهاً معدنية بعصبية، وينأون بأنفسهم عن الاحتفالات، طرفت أعينهم بامتعاض مع تشغيل ضوء المسرح عليهم.

قال ماكس: «ها هم أولاء، يجلسون هناك، بصبر، لقد قال إنه سيعود مجدداً، ولقد أبقاكم منتظرين لمدة طويلة، لذا فلنأمل أنه يسرع يا رفاق، لأنه لم يتبق له سوى ثماني دقائق!»

جلست جماعة أتباع زاركوان بصلاية، رافضين أن تضربهم أمواج الضحك غير المتساهلة التي اكتسحتهم.

كبح ماكس جمهوره.

«لا، لكن بجدّ يا قوم، بجدّ، لم تُقصد أي إهانة. لا، أعرف أنه علينا
ألا نسخر من المعتقدات الراسخة، لذا أعتقد أنه تجب التحية الكبيرة من
فضلكم للرسول العظيم زاركوان...»

صفق الجمهور باحترام.

«... أينما كان!»

نفخ قبلة إلى جماعة الأوجه المتحجرة وعاد إلى منتصف المسرح. جذب
كرسياً طويلاً وجلس عليه.

ثرثر قائلاً: «ومع ذلك فمن الرائع رؤية العديد منكم هنا الليلة،
أوليس كذلك؟ نعم، بالتأكيد رائع، لأنني أعرف أن العديد منكم يأتون إلى
هنا مرة بعد أخرى، وأعتقد أن ذلك مدهش، أن تأتوا لتشهدوا النهاية
الأخيرة لكل شيء، وبعد ذلك تعودون إلى أوطانكم في عصوركم...
وتربون أسراً، وتكافحون من أجل مجتمعات أفضل، وتشنون حروباً رهيبية
من أجل ما تعتقدون أنه صحيح... إنه ليعطي أملاً لمستقبل كل أشكال
الحياة. ما عدا بالطبع،» وأشار إلى الاضطراب المهاجم من فوقهم ومن
حولهم، «هذا الذي نعرف أنه ليس لديه حياة...»

استدار آرثر إلى فورد، لم يكن قد استوعب هذا المكان على نحو
كامل في عقله. قال: «اسمع، إن كان الكون سينتهي بالتأكيد... ألا نذهب
معه؟»

نظر فورد إليه نظرة ثلاثة أقداح من البان غالاكتيك غارغل بلاستر،
بتعبير آخر، نظرة غير ثابتة.

قال: «لا، اسمع، بمجرد أن تصل إلى هذه الهبطة، يتم الإمساك بك في هذا الشيء الذي يشبه الطوق الزماني المدرّع الرائع، كما أظن».

قال آرثر: «آوه»، وأعاد انتباهه إلى زبدية الحساء التي تمكن من الحصول عليها من النادل بدلاً من قطعة اللحم.

قال فورد: «انظر، سأريك».

أمسك بمنديل من على الطاولة وتلمّسه بارتباك بشكل ميؤوس منه.

قال مجدداً: «انظر، تخيل أن هذا المنديل، حسناً، هو الكون المؤقت، حسناً؟ وهذه الملعقة هي محوّل الطاقة في انحناء المادة»... لزمه وقت لقول هذا الجزء الأخير وكره آرثر أن يقاطعه، فقال: «هذه الملعقة التي كنت أكل بها».

قال فورد: «حسناً، تخيل هذه الملعقة»... وقد وجد ملعقة خشبية صغيرة على صينية البهارات «هذه الملعقة»... ووجد أن من الصعب التقاطها «لا، والأفضل هذه الشوكة»...

قاطعه زيفود: «هيه، هلاً تركت شوكتي؟»

قال فورد: «حسناً... حسناً، حسناً، لم لا نقول... لم لا نقول إن كأس النبيذ هذه هي الكون المؤقت»...

- «ماذا، الكأس التي أوقعتها للتو على الأرض؟»

- «هل أنا من فعل ذلك؟»

- «نعم».

قال فورد: «حسناً، انس ذلك، أقصد... أقصد، اسمع، هل تعلم،
بداية الحديث، هل تعلم كيف بدأ الكون؟»

قال آرثر: «في الأغلب لا». وكان تمنى لو أنه لم يباشر في أي من هذا.

قال فورد: «حسناً، تخيل هذا، أجل، لديك هذا المغطس، صحيح،
مغطس دائري كبير، مصنوع من الأبنوس».

قال آرثر: «من أين؟ لقد دمّر الفوغونيون 'هارودس'».

- «لا يهم».

- «هذا ما لا تنفك تقوله».

- «اسمع».

- «حسناً».

- «لديك هذا المغطس، واضح؟ تخيل أنه لديك هذا المغطس. وهو أبنوسي،
ومخروطي».

قال آرثر: «مخروطي؟ ما نوع...»

قال فورد: «صه، إنه مخروطي، لذا ما تفعله هو، كما ترى، تملؤه برمل
أبيض ناعم، مفهوم؟ أو سكر، رمل أبيض ناعم، و... أو سكر. أي شيء، لا
يهم. السكر مناسب. وعندما يمتلئ، تسحب السدادة... هل تستمع إلي؟»

- «أستمع إليك».

- «تسحب السدادة، فيذهب كل شيء في دوامة، في دوامة كما ترى، من فتحة
السدادة».

- «فهمت».

- «لم تفهم، لم تفهم إطلاقاً، لم أصل إلى الفكرة الذكية بعد، هل تريد سماع الفكرة الذكية؟»

- «أخبرني بالفكرة الذكية».

فكّر فورد لوهلة محاولاً تذكر ما هي الفكرة الذكية.

قال: «الفكرة الذكية، هي هذه، أن تصوّر ما يحصل».

- «ذكية».

- «هذه ليست الفكرة الذكية. هذه هي الفكرة الذكية، أتذكر الآن أن هذه هي الفكرة الذكية، الفكرة الذكية هي أنك عند ذلك تضع الشريط في جهاز الإسقاط... عكسياً!»

- «عكسياً؟»

- «نعم، وضعه عكسياً من دون شك هي الفكرة الذكية، لذا عند ذلك تجلس وتشاهده، ويبدو كل شيء يتلولب إلى الأعلى من ثقب السدادة ويملاً المغطس. فهمت؟»

قال آرثر: «وبهذه الطريقة بدأ الكون أليس كذلك؟»

قال فورد: «لا، لكنها طريقة رائعة للاسترخاء». ومد يده إلى كأس

النيبذ خاصته ثم قال: «أين كأس النيبذ خاصتي؟»

- «إنها على الأرض».

- «آه».

وبينما هو يحرك كرسيه ليوصل عن الكأس، سقط فوراً مع النادل الأخضر الصغير الذي كان يقترب من الطاولة حاملاً معه هاتفاً نقالاً.

سوَّغ فوراً نفسه للنادل شارحاً بأن ذلك سببه أنه مخمور جداً.

قال النادل إن ذلك كان مقبولاً وإنه تفهم الأمر على نحو تام، فشكر فوراً النادل لتسامحه الكريم، وحاول أن يشد شعر مقدمة رأسه، لكنه أخطأ بستة إنشات وانزلق تحت الطاولة.

سأل النادل: «السيد زيفود بيلبروكس؟»

قال زيفود ناظراً إلى الأعلى وهو يلتهم شريحته الثالثة: «إي، أجل؟»

- «هنالك مكالمة هاتفية لك.»

- «هيه، ماذا؟»

- «مكالمة هاتفية يا سيدي.»

- «لي؟ هنا؟ لكن من الذي يعرف مكان وجودي؟»

فكر أحد دماغه بسرعة، في حين راح الآخر يتوانى بمحبة على الطعام الذي كان لا يزال يلتهمه.

قال رأسه الآكل: «اعذرنى إن استمررت في الطعام، ألن تفعل؟»

واستمر في الطعام.

هنالك الكثير من الناس في طلبه الآن إلى درجة أنه لا يعرف عددهم،

لم يكن عليه أن يدخل المطعم مكشوفاً، فكّر، يا للجهيم، لكن لم لا. كيف

تعلم أنك تستمتع بوقتك إن لم يكن هنالك من يراقبك وأنت كذلك؟

قالت تريليان: «لا بد أن أحدهم هنا أخبر الشرطة المجريّة، الجميع رآك تدخل».

قال زيفود: «أتقصدين أنهم يريدون اعتقالي عبر الهاتف؟ من الممكن. أنا رجل خطير جداً عندما أكون مهتماً».

قال صوت من تحت الطاولة: «أجل، أنت تنشطر إلى أجزاء بسرعة إلى درجة أن الشظايا تصيب الناس».

قال زيفود بسرعة: «هيه، ما هذا، يوم الحساب؟»

سأل آرثر بقلق: «هل علينا أن نذهب لنشاهد ذلك أيضاً؟»

دمدم زيفود: «لست مستعجلاً، حسناً، من الخيث الذي على الهاتف إذا؟»

ركل فورد وقال له: «هيه، اصعد يا ولد، قد أحتاجك».

قال النادل: «أنا لست على معرفة شخصية بالسيد المعدني الذي يطلبك يا سيدي»...

- «معدني؟»

- «نعم سيدي».

- «هل قلت معدني؟»

- «نعم سيدي، قلت إنني لست على معرفة شخصية بالسيد المعدني الذي يطلبك».

- «حسناً، تابع».

- «لكن تمّ إخباري أنه كان ينتظر عودتك لعدد كبير من آلاف الأعوام. يبدو أنك غادرت هنا بتهور نوعاً ما».

قال زيفود: «غادرت هنا؟ هل تتغابي؟ لقد وصلنا إلى هنا للتو».

أصر النادل بعناد قائلاً: «بالتأكيد يا سيدي، لكن قبل أن تصل إلى هنا يا سيدي، أفهم أنك غادرت هنا».

حاول زيفود فهم هذا بدماع، ثم بالآخر.

قال: «أقول إنه قبل أن نصل إلى هنا، غادرنا هنا؟»

فكر النادل بأن هذه ستكون ليلة طويلة وقال: «بالضبط يا سيدي».

نصحه زيفود قائلاً: «أعطِ محللك النفسي المزيد من المال يا عزيزي».

قال فورد وهو يظهر فوق مستوى الطاولة مجدداً: «لا، انتظر لحظة، أين نحن بالضبط؟»

-«لأكون دقيقاً بشكل تام يا سيدي، هذا كوكب فروغستار ب».

أكد زيفود قائلاً: «لكننا غادرنا هناك، غادرنا هناك وأتينا إلى المطعم في نهاية الكون».

قال النادل: «نعم سيدي»، وهو يشعر الآن بأنه في استمرارية لوجوده في المنزل ويبيي حسناً «واحد مبني على أنقاض الآخر».

قال آرثر بذكاء: «أوه، تعني أننا سافرنا في الزمن وليس في المكان».

قاطعته زيفود قائلاً: «اسمع أيها القرد نصف المتطور، هلاً ذهبت وتسلفت شجرة؟»

اتخذ آرثر موقفاً عدوانياً وأخطر زيفود: «اذهب وارطم رأسيك ببعضهما يا رباعي الأعين».

قال النادل لزيفود: «لا، لا، إن قردك مصيب يا سيدي».

تمتم آرثر بغضب ولم يقل شيئاً مناسباً، أو بالطبع مترابطاً.

شرح النادل قائلاً: «لقد قفزت إلى الأمام... خمسمئة وستة وسبعين ألف مليون سنة على ما أعتقد في حين أنت في المكان نفسه تماماً»، وابتسم، كان شعوره رائعاً بأنه فاز أخيراً على ما بدا أنه خلاف لا يُقهر.

قال زيفود: «حسناً! فهمت الأمر، لقد أمرت الحاسوب بإرسالنا إلى أقرب مكان لتناول الطعام، وذلك بالتحديد ما فعله. بزيادة أو نقصان خمسمئة وستة وسبعين ألف مليون سنة، نحن لم نتحرك. رائع».

وافقوا جميعاً بأن ذلك كان رائعاً جداً.

قال زيفود: «لكن من هو الخبيث الذي عبر الهاتف؟»

قالت تريليان: «ما الذي حدث لمارفن؟»

صفع زيفود يديه إلى رأسيه وقال: «الآلي المضطهد! تركته ينظف المكان في فروغستار».

-«متى حدث ذلك؟»-

قال زيفود: «حسناً، إي، منذ خمسمئة وستة وسبعين ألف مليون سنة على ما أظن. هيه، إي، أعطني قضيب الكلام يا كابتن الصينية».

التوى حاجبا النادل الصغير على جبهته بارتباك وقال: «أستميحك

عذراً يا سيدي؟»

قال زيفود وهو يمسك بالهاتف منه: «الهاتف أيها النادل، يا للهول، أنتم بعيدون عن الموضحة إلى درجة أنه من العجيب كيف أن مؤخراتكم لا تسقط».

- «بالطبع يا سيدي».

قال زيفود عبر الهاتف: «هيه، مارفن، أهذا أنت؟ كيف حالك يا صبي؟»

كان هنالك انقطاع طويل قبل أن يأتي صوت منخفض ضعيف عبر الخط. قال: «أعتقد أن عليك أن تعرف أنني أشعر بإحباط شديد».

غطى زيفود السماعه بيديه وقال: «إنه مارفن».

قال عبر الهاتف من جديد: «هيه، مارفن، إننا نمضي وقتاً رائعاً، طعام، نبيذ، القليل من الإيذاء الجسدي، والكون يتلاشى. أين يمكننا أن نجدك؟»

انقطع من جديد، قال مارفن في النهاية: «تعلم أنه ليس من الضروري أن تتظاهر بأنك مهتم بي، أنا أعرف حق المعرفة أنني مجرد روبوت خدمة».

قال زيفود: «حسناً، حسناً، لكن أين أنت؟»

- «اعكس الدفع الأساسي يا مارفن،" هذا ما يقولونه لي، 'افتح كمين الضغط رقم ثلاثة يا مارفن. مارفن، هل يمكنك التقاط قطعة الورق تلك؟' هل يمكنني أن ألتقط قطعة الورق تلك! ها أنا ذا، دماغ بحجم كوكب ويطلبون إليّ أن...»

قال زيفود وهو يكاد يكون متعاطفاً: «أجل، أجل».

دندن مارفن: «لكنني معتاد على أن أذل، يمكنني أن أذهب وأضع رأسي في دلو ماء إن أحببت. هل تريدني أن أذهب وأضع رأسي في دلو ماء؟ لدي واحدة جاهزة. انتظر لحظة».

قاطعته زيفود: «إي، هيه، يا مارفن... لكن ذلك كان متأخراً، أتت عبر الخط قرقيات وقرقيات صغيرة وحزينة».

سألت تريليان: «ما الذي يقوله؟»

قال زيفود: «لا شيء، لقد اتصل فقط لسمعنا غسيل رأسه».

قال مارفن وقد عاد إلى الخط وهو يبتلع قليلاً: «هاك، أتمنى أن يكون ذلك قد أراحك»...

قال زيفود: «أجل، أجل، هلاً قلت لنا الآن من فضلك أين أنت؟»

قال مارفن: «أنا في موقف السيارات».

قال زيفود: «موقف السيارات؟ ما الذي تفعله هناك؟»

- «أضع السيارات في أماكنها، ما عساه المرء يفعل في موقف السيارات غير ذلك؟»

- «حسناً، ابق هناك، سننزل إليك حالاً».

قفز زيفود على قدميه بحركة واحدة، رمى الهاتف وكتب «هوتبلاك ديزياتو» على الفاتورة.

قال: «هيا يا أصحاب، إن مارفن في موقف السيارات. لننزل».

سأل آرثر: «ما الذي يفعله في موقف السيارات؟»

- «يضع السيارات في أماكنها، ما غير ذلك؟ أيها الغبي».

- «لكن ماذا عن نهاية الكون؟ سنفوت اللحظة الكبيرة».

قال زيفود: «رأيتها، إنها تافهة، لا شيء سوى ريبك راجفنا».

- «ماذا؟»

- «عكس الانفجار الكبير، هيا، لنسرع».

قليل من الرواد الآخرين انتبه إليهم على الإطلاق وهم يشقون طريقهم عبر المطعم إلى الخارج. كانت أعينهم مثبتة على الرعب الذي في السماوات.

كان ماكس يقول لهم: «يوجد في الربعية العليا اليسرى من السماء مظهر ممتع للمراقبة، حيث إن نظرتهم بتمعن شديد يمكنكم رؤية نظام 'هاستروميل' الشمسي يحترق إلى اللون فوق البنفسجي. هل من أحد هنا من هاستروميل؟»

كان هنالك هتاف أو اثنان ضعيفان ومترددان في مكان ما من الخلف.

قال لهم ماكس بمرح: «حسناً، لا داعي أن تقلقوا فيما إذا تركتم الغاز مفتوحاً الآن».

الفصل السابع عشر

كانت ردهة الاستقبال الأساسية خالية تقريباً ومع ذلك كان فورد يتمايل في طريقه عبرها.

أمسك زيفود بذراعه بقوة وناور به إلى داخل مكعب يتصب على أحد جوانب صالة الدخول.

سأل آرثر: «ما الذي تفعله به؟»

قال زيفود: «أصحّيه». ودفع بقطعة نقدية في الشق، فلمعت أضواء وانطلقت غازات في شكل دوامات.

خرج فورد بعد دقيقة وهو يقول: «مرحباً، إلى أين نحن ذاهبون؟»

- «إلى موقف السيارات في الأسفل، هيا».

قال فورد: «ماذا عن معابر الزمن الخاصة بالأشخاص؟ تعيدنا على الفور إلى قلب الذهب».

- «أجل، لقد فقدت حماسي لتلك السفينة، يستطيع زارنيوب أخذها، لا أريد أن أشارك معه، لنر ما يمكننا أن نجد».

أخذهم ناقل الناس الشاقولي السعيد لشركة سيريوس سايرنيتكس إلى الأسفل إلى الطبقات السفلية تحت المطعم. كانوا سعيدين لرؤية أن الناقل قد جرى تخريبه فلم يحاول جعلهم سعداء وهو يأخذهم إلى الأسفل.

انفتحت أبواب المصعد في القاعدة، فصدمتهم لفحة من الهواء البارد العقيم.

أول ما شاهدوه وهم يغادرون المصعد كان حائطاً اسمنتياً طويلاً فيه أكثر من خمسين باباً للحمامات ومراحيض لكل أشكال الحياة الرئيسة الخمسين. وعلى الرغم من ذلك فلقد فاحت من موقف السيارات هذا رائحة نفاذ الصبر، مثله مثل أي موقف سيارات في المجرة وفي تاريخ مواقف السيارات.

التفوا حول زاوية ووجدوا أنفسهم على ممر متحرك يتحرك جيئة وذهاباً في مكان كهفي متسع امتد أمامهم لمسافة بعيدة.

تم تقسيم المكان إلى خلجان يحوي كل منها سفينة فضائية تعود ملكيتها إلى أحد رواد المطعم في الأعلى، بعضها صغير من النماذج الخدمية التي تنتج على نطاق واسع، وبعضها سفن ليمو واسعة لامعة وهي ألعاب للأثرياء جداً.

تألقت عينا زيفود بشيء قد يكون أو لا يكون جشعاً مع عبوره لهذه السفن، في الواقع من الأفضل أن نكون واضحين في هذه النقطة، لقد كان جشعاً بكل تأكيد.

قالت تريليان: «ها هو ذا، مارفن في الأسفل».

نظروا إلى حيث كانت تشير، وتمكنوا على نحو مبهم من رؤية جسم معدني صغير يمسح بكسل بخرقة صغيرة على الزاوية البعيدة لزورق شمسي فضي عملاق.

على طول الممشى المتحرك، وبفسحات قصيرة، كانت هنالك قنوات عريضة شفافة تقود إلى الأسفل، إلى مستوى الأرض. خرج زيفود من الممشى ودخل في قناة فطاف بهدوء إلى الأسفل، وتبعه الآخرون. لاحقاً لما فكّر آرثر في الأمر وجد أنها أكثر تجربة استمتع بها خلال رحلته في المجرة.

قال زيفود وهو يخطو باتجاه مارفن: «هيه، يا مارفن، ألسنا مسرورين لرؤيتك؟»

استدار مارفن ونظر بأقصى ما يمكن لوجه معدني خامل تماماً أن يبدو مؤنباً.

قال: «لا، لستم كذلك، لا أحد كذلك إطلاقاً».

قال زيفود: «كما تشاء»، واستدار لينظر بغرام إلى السفن، وذهب معه فوراً.

وحدهما تريليان وآرثر، في الواقع، ذهبا إلى مارفن.

قالت تريليان: «لا، نحن كذلك حقاً»، وربتت عليه بطريقة كان يكرهها بشدة، «كنت هنا تنتظرنا كل هذا الوقت».

قال مارفن: «خمسمئة وستة وسبعون مليوناً وثلاثة آلاف وخمسمئة وتسع وسبعون سنة، عددهم».

قالت تريليان: «حسناً، ها نحن أولاء»، وهي تشعر بصحة وجهة نظر مارفن أنه كان من الحماسة قول ذلك.

قال مارفن: «أول عشرة ملايين سنة كانت الأسوأ، وثاني عشرة ملايين، كانت الأسوأ أيضاً. لم أستمتع بثالث عشرة ملايين إطلاقاً، بعد ذلك شعرت بالذبول قليلاً».

توقف لوهلة كافية لتجعلها يشعران أن عليها قول شيء، ومن ثم قاطعها قائلاً: «الأناس الذين تقابلهم في هذا العمل هم من يشبط من عزيمةك بحق». ثم توقف من جديد.

سعلت تريليان قائلة: «هل ذلك»...

تابع مارفن: «أفضل محادثة أجريتها كانت منذ أربعين مليون سنة». وتوقف.

- «أوه، هـ»...

- «وكانت مع آلة صنع قهوة». وانتظر.

- «ذلك»...

قال مارفن بنبرة كئيبة منخفضة: «لا تحين التحدث إلي أليس كذلك؟»

عوضاً عن ذلك تكلمت تريليان مع آرثر.

في أسفل الحجرة وجد فورد بريفيكت شيئاً أحب كثيراً أن ينظر إليه، أشياء عدة في الواقع.

قال بصوت منخفض: «زيفود، انظر إلى بعض من هذه العربات النجمية الصغيرة»...

نظر زيفود وأعجب.

كانت المركبة التي ينظران إليها صغيرة بعض الشيء في الواقع لكنها استثنائية، والأغلب أنها لعبة صبي غني. لم تكن تلفت الانتباه كثيراً، ولم تشبه شيئاً أكثر من سهم الورق، طولها عشرون قدماً تقريباً مصنوعة من

الرقائق المعدنية الرقيقة لكن القوية. يوجد في الطرف الخلفي قمرة أفقية لشخصين. كان لها محرك قيادة فاتن لم يكن قادراً على تحريكها بسرعات عالية، لكن الشيء الذي كانت تملكه هو خفض الحرارة.

تبلغ كتلة منخفض الحرارة نحو ألفي مليار طن وقد تم احتواؤه ضمن ثقب أسود مثبت في حقل كهرومغناطيسي موضوع في المنتصف من طول السفينة، يسمح منخفض الحرارة هذا للسفينة بأن تناور على بعد أميال قليلة من شمس صفراء، لالتقاط وركوب الشعلات الشمسية التي تنفجر من سطحها.

يعد ركوب الشعلات من أغرب وأكثر الرياضات بهجة في الوجود، ويعد أولئك الذين يجرؤون عليها ويتحملون مصاريفها من بين أكثر الرجال تكريماً في المجرة. وهي بالطبع خطيرة بشكل مذهل، لأن الذين لا يموتون من الركوب يموتون بشكل محتم من الإجهاد الجنسي في واحدة من حفلات (ما بعد الشعلة) في نادي "دايدالوس".

نظر زيفود وفورد وتابعا.

قال فورد: «انظر إلى هذه الجميلة، عربة النجوم البرتقالية مع مروضات الشمس السوداء»...

من جديد، كانت عربة النجوم سفينة صغيرة، وواحدة من العربات المغلوط في تسميتها، لأن الشيء الوحيد الذي لم تتمكن منه هو المسافات الواقعة بين النجوم. كانت بشكل أساسي وثاب كوكباً أنيقاً تم تجميله لشيء لم يكنه، وعلى الرغم من ذلك كانت خطوطها جميلة. تابعا.

التالية كانت كبيرة بطول ثلاثين ياردة، إنها سفينة ليمو مريحة، ومن الواضح أنه تم تصميمها لهدف واحد وهو جعل الناظر إليها يصاب بالغثيان من الحسد.

قالت التفاصيل الكمالية والدهان بوضوح: «لست غنياً فقط لأتمكن من شراء هذه السفينة، بل أنا غني بشكل يكفي لألا أهتم بها». كانت شنيعة على نحو رائع.

قال زيفود: «انظر إليها، محرك 'كواركي' متعدد العنقودية، مساند جانبية، لا بد أنها عمل خاص للازلار ليريكون». تفحص كل إنش.

قال: «نعم، انظر، شعار السحلية تحت الزهري على غطاء المحرك 'النيوترينوي'، علامة لازلار التجارية، هذا الرجل ليس لديه خجل».

قال فورد: «مرّت إلى جانبي واحدة من هذه النماذج، بالقرب من غمامة أكسل، كنت منطلقاً بأقصى سرعة عندما تجولت أمامي هذه، محرك النجوم كاد لا يتحرك. شيء لا يصدق». صفّر زيفود باستحسان.

قال فورد: «بعد عشر ثوان اصطدمت السفينة مباشرة بثالث قمر من جاغلان بيتا».

- «أجل، صحيح؟»

- «وعلى الرغم من ذلك فهي سفينة رائعة الشكل، تبدو كسمكة، تتحرك كسمكة، تنقاد كبقرة».

نظر فوررد إلى الجانب الآخر وصاح قائلاً: «هيه، تعال وانظر، هنالك صورة جدارية مرسومة على هذه الجهة، شمس متفجرة، علامة ديزاستر إريا التجارية، لا بد أن هذه سفينة هوتبلاك. عجوز تافه محظوظ. يقومون بأداء هذه الأغنية الرهيبة كما تعلم التي تنتهي بسفينة الحِيل تتحطم في الشمس، الغرض منه أن يكون مشهداً رائعاً، لكنه مكلف بسبب سفن الحِيل».

مع ذلك فقد كان انتباه زيفود في مكان آخر، كان انتباهه مثبتاً على السفينة التي تقف إلى جانب سفينة الليمو الخاصة بهوتبلاك ديزياتو. تدلى فاهاه مفتوحين وقال: «ذلك، ذلك... مضرّ بالعينين حقاً»...

نظر فوررد، ووقف هو الآخر مذهولاً.

كانت سفينة بتصميم كلاسيكي بسيط، كسمكة سلمون مسطحة، طولها عشرون ياردة، نظيفة جداً، ملساء جداً. كان هنالك شيء واحد مميز فيها فقط.

قال فوررد بريفيكت: «إنها... سوداء للغاية! يصعب عليك أن تعرف شكلها... يبدو الضوء كأنه يتبدد فيها!»

لم يقل زيفود شيئاً، كان قد وقع بالحب ببساطة.

كان سوادها شديداً إلى درجة أنه كان من شبه المستحيل أن تعرف مدى قربك منها.

قال فوررد بدهشة: «إن عينيك لتنزلقان عنها»... كانت لحظة عاطفية، عض شفته.

تحرك زيفود إلى الأمام باتجاهها، ببطء مثل رجل مُسَيِّطَر عليه، أو بدقة أكثر مثل رجل يريد أن يُسَيِّطِر. امتدت يده لتلاطفها، من ثم توقفت، امتدت يده لتلاطفها من جديد، من ثم توقفت من جديد.

قال بصوت هادئ: «تعال وتحسس السطح».

مد فورد يده ليتحسسها، توقفت يده، قال: «لا... لا تستطيع»...

قال زيفود: «أرأيت؟ إنها بلا احتكاك تماماً. لا بد أن حركتها

أنموذجية»...

التفت لينظر إلى فورد بجدية. في الأقل، أحد رأسيه فعل ذلك، بقي

الآخر يحدق إلى السفينة برهبة.

قال: «ما قولك يا فورد؟»

نظر فورد من فوق كتفه وقال: «أتقصد... إي... أتقصد أن نتجول

بها؟ أتظن أنه ينبغي لنا؟»

- «لا».

- «ولا أنا».

- «لكننا سنفعل ذلك، أليس كذلك؟»

- «كيف لنا ألا نفعل ذلك؟»

حدّقا لمدة أطول، حتى استجمع زيفود نفسه فجأة وقال: «يجب أن

نتدبر أمرنا بسرعة، في غضون دقيقة تقريباً سيكون قد انتهى الكون

وسيندفع كل القباطنة المدعورين إلى هنا ليجدوا مركباتهم».

قال فوردا: «زيفود».

- «أجل؟»

- «كيف سنقوم بالأمر؟»

قال زيفود: «بسيط،» ثم استدار وصاح «مارفن!»

ببطء، بجهد، وبمليون من أصوات القعقة والصرير الصغيرة التي تعلم أن يقلدها، استدار مارفن ليلبي الدعوة.

قال زيفود: «تعال إلى هنا، لدينا عمل لك».

مشى مارفن مجهداً باتجاههم وقال: «لن أستمتع به».

استحثة زيفود قائلاً: «بل ستستمتع به، هنالك حياة كاملة تمتد أمامك».

أنَّ مارفن: «آه، لا أريد أخرى».

هسهس زيفود: «هلاً صمّت واستمعت! هذه المرة ستكون هنالك متعة ومغامرة وأشياء جامحة بحق».

قال مارفن: «تبدو بغیضة».

- «مارفن! كل ما أحاول طلبه إليك»...

- «أعتقد أنك تريدني أن أفتح هذه السفينة لك؟»

قال زيفود بعصبية: «ماذا؟ إي... نعم. أجل هذا صحيح،» كان يراقب المدخل بثلاث أعين في الأقل، كان الوقت قصيراً.

قال مارفن: «أتمنى لو أنك أخبرتني عوضاً عن محاولتك جذب حماستي، لأني لا أملك واحدة».

مشى إلى السفينة ولمسها، فانفتح باب خارجي.
حدّق فورد وزيفود إلى الفتحة.

قال مارفن: «لا داعي للشكر، أوه، أنت لم تشكر». وابتعد مجدداً وهو يمشي مجهداً.

تجمع حولهما آرثر وتريليان.

سأل آرثر: «ما الذي يجري؟»

قال فورد: «انظر إلى هذا، انظر إلى داخل هذه السفينة».

لهت زيفود قائلاً: «أغرب وأغرب».

قال فورد: «إنها سوداء، وكل شيء فيها أسود تماماً»...

في المطعم كانت الأشياء تقترب بسرعة من اللحظة التي لن يكون بعدها أي لحظات.

كانت كل العيون مثبتة على القبة، ما عدا عيني حارس هوتبلاك ديزياتو الشخصي، فقد كانتا تنظران إلى هوتبلاك ديزياتو بتركيز، وإلى عيني هوتبلاك ديزياتو نفسه، اللتين أغلقهما الحارس الشخصي بدافع الاحترام.

انحنى الحارس الشخصي إلى الأمام فوق الطاولة. لو أن هوتبلاك ديزياتو في قيد الحياة لربما عدّ أن هذه اللحظة جيدة للانحناء إلى الخلف، أو حتى الذهاب للتمشي قليلاً. لم يكن حارسه الشخصي رجلاً يتحسن أدائه

مع تقارب الأشياء. ومع ذلك، بسبب وضعه المؤسف بقي هوتبلاك ديزياتو جامداً كلياً.

همس الحارس الشخصي: «سيدي ديزياتو؟» كان كلما تكلم تبدو العضلات على كلا جانبي فمه كأنها تتسلق فوق بعضها بعضاً لتفسح في المجال.

- «سيد ديزياتو؟ هل يمكنك سماعي؟»

بطبيعة الحال لم يقل هوتبلاك ديزياتو شيئاً.

هسهس الحارس الشخصي قائلاً: «هوتبلاك؟»

بطبيعة الحال من جديد لم يجب هوتبلاك ديزياتو، لكن في حال خارقة للطبيعة أجاب.

تحركت أمامه على الطاولة كأس من النبيذ، وارتفعت شوكة مقدار إنش تقريباً ونقرت على الكأس، ثم استقرت على الطاولة من جديد.

قبع الحارس الشخصي برضا.

دمدم الحارس الشخصي: «حان وقت ذهابنا سيد ديزياتو، لا نريد أن نعلق في الازدحام، ولا سيما في حالتك، يجب أن تصل إلى الحفلة التالية بشكل جميل ومرتاح، كان هنالك جمهور كبير بحق لأجلها، واحدة من أفضل الحفلات، كاكرافون، منذ خمسمئة وستة وسبعين ألفاً ومليون عام. هل كنت لتكون متشوقاً إليها؟»

ارتفعت الشوكة من جديد، واهتزت بطريقة لا مبالية ومن ثم سقطت من جديد.

قال الحارس الشخصي: «آه، بالله عليك، كانت ستكون الحفلة رائعة، لقد أذهلتهم». كان الحارس الشخصي سيتسبب بسكتة للدكتور دان سترتيميشينير. «تذهلهم السفينة السوداء الذاهبة إلى الشمس دائماً، والجديدة جميلة، أكون حزيناً جداً لرؤيتها تذهب. إذا هبطنا إلى الأسفل فسأشغل الطيار الآلي للسفينة السوداء وسنسافر بسفينة الليمو، موافق؟»

نقرت الشوكة على الكأس مرة واحدة علامة الموافقة، وبغموض أفرغت كأس النيذ نفسها.

قاد الحارس الشخصي كرسي هوتبلاك ديزياتو المتحرك خارج المطعم.

صاح ماكس من منتصف المسرح: «والآن، اللحظة التي كنتم جميعكم في انتظارها!» ودفع ذراعيه في الهواء. راحت الفرقة من خلفه تقرع الطبول وتهمز الأوتار الاصطناعية بجنون. كان ماكس قد تجادل معهم حول ذلك لكنهم ادّعوا أن ما كان منصوباً عليه في عقدهم هو أنهم سيفعلون ذلك. كان وكيله سيرتب الأمر.

صاح: «بدأت الساعات تغلي، الطبيعة تنهار في الفراغ الصارخ! في غضون عشرين ثانية من الزمن، وستكون نهاية الكون نفسه! انظروا إلى حيث ينفجر ضوء اللانهاية علينا!»

انفجر حولهم غضب الدمار الشنيع، وفي تلك اللحظة صدح صوت بوق صغير كأنه من مسافة بعيدة، ودارت عينا ماركس ليحملك إلى الفرقة، لكن لم يبد أن أحداً منهم يعزف على البوق. فجأة راحت نفخة من الدخان تلتف وتومض على المسرح إلى جانبه، وانضمت أبواق أكثر للبوق. أدّى

ماكس هذا العرض أكثر من خمسمئة مرة ولم يحصل شيء كهذا معه من قبل، تراجع إلى الخلف بخوف من الدخان الملتف، وبمجرد أن فعل ذلك تشكل جسم ببطء في الداخل، كان جسم رجل قديم، ملتحم، ارتدى ثوباً، وتكلم بالضوء. توجد في عينيه نجوم وعلى جبينه تاج ذهبي.

همس ماكس بعينين مهتاجتين: «ما هذا؟ ما الذي يحدث؟»

في مؤخرة المطعم قفز أفراد الجماعة متحجرة الأوجه من كنيسة المجيء الثاني للرسول العظيم زاركوان، على أرجلهم بنشوة وهم يرتلون ويجهشون إلى البكاء.

طرف ماكس عينيه بذهول، ورفع ذراعيه إلى الجمهور وصاح: «تحية كبيرة سيداتي وسادتي للرسول العظيم زاركوان! لقد جاء! لقد جاء زاركوان مجدداً!»

انطلق تصفيق مدوّ في حين خطا ماكس عبر المسرح وسلّم مكبر الصوت إلى الرسول.

سعل زاركوان، وحدّق إلى الحشد المتجمع. ومضت النجوم التي في عينيه بقلق. أمسك مكبر الصوت بارتباك وقال: «إي... مرحباً، إي، اسمعوا، أعتذر عن تأخري الطفيف، لقد قضيت أشنع الأوقات، كل أنواع الأشياء تظهر في اللحظة الأخيرة.»

بدا متوتراً من السكون المتوّقع المرتاع. سعل وقال: «إي، كم معنا من

الوقت؟ هل لدي دقي-»

وهكذا انتهى الكون.

الفصل الثامن عشر

من أهم النقاط التي تجذب الزبائن إلى كتاب السفر الرائع، دليل المسافر إلى المجرة، بمعزل عن رخصه نسبياً وحقيقة أن كلمتي «لا تخف» مطبوعتان على غلافه بحروف ودودة وكبيرة، هو فهرس كلماته المختصرة والدقيقة أحياناً. ففي سبيل المثال، إن الإحصاءات المتعلقة بطبيعة الكون الجيو-اجتماعية موضوعة بأناقة بين الصفحات تسعمئة وثمانية وثلاثين ألفاً وأربع وعشرين وتسعمئة وثمانية وثلاثين ألفاً وست وعشرين، حيث تم جزئياً تفسير سبب بساطة الشكل الذي كُتبت فيه بحقيقة أن المحررين، لأن عليهم التقيد بمواعيد النشر، نسخوا المعلومات الموجودة على الجهة الخلفية لعبوة حبوب الإفطار، وزرکشوها بسرعة بعدد من الهوامش ليتفادوا المقاضاة تحت القانون المبهم والمتعرج لحماية حقوق الملكية الفكرية المجريّ.

من الجدير الإشارة إلى أنّ محرراً لاحقاً وأكثر مكرماً أرسل الكتاب عبر الزمن إلى الوراء بغلاف زمني وبعد ذلك قاضى بنجاح شركة حبوب الإفطار لانتهاكها القوانين نفسها.

هذا أنموذج:

الكون، بعض المعلومات التي تساعدك للعيش فيه.

١ - المساحة: لانهائية.

دليل المسافر إلى المجرة يقدم هذا التعريف لكلمة «لانهائي».

لانهائي: أكبر من أكبر شيء على الإطلاق وأكثر. أكبر من ذلك بكثير في الواقع، هائل بشكل مذهل بحق، حجم مذهل كلياً، «يا للهول، ذلك كبير»، مرة. اللانهائي كبير إلى درجة أنه بالمقارنة، يبدو الكبر نفسه صغيراً. ضخّم مضاعف بهائل مضاف بضخم مذهل هو المفهوم الذي نحاول أن نصل إليه هنا.

٢ - الواردات: لا شيء.

من المستحيل استيراد أشياء إلى منطقة لانهائية، بسبب عدم وجود خارج لاستيراد الأشياء منه.

٣ - الصادرات: لا شيء.

راجع الواردات.

٤ - السكان: لا أحد.

من المعروف أن هنالك عدداً لا محدوداً من الكواكب لسبب بسيط هو وجود مساحة لا محدودة من الفضاء ليكونوا موجودين فيها. إنما ليست كلها مأهولة، لذا لا بد من وجود عدد محدود من الكواكب المأهولة. أي عدد متناه مقسوم على اللانهائية هو أقرب إلى اللاشيء كأنه لا يشكل فرقاً، لذا يمكن القول إن متوسط سكان كل الكواكب في الكون هو صفر. ومن هنا يمكن البناء على أن سكان الكون كله أيضاً صفر، لذا أي أناس يمكن أن تقابلهم من وقت إلى آخر هم مجرد نتاج تخيلات مخبولة.

٥ - وحدات العملة: لا شيء.

في الواقع يوجد ثلاث عملات قابلة للتحويل على نحو مجاني في المجرة، لكن لا تعتمد ولا واحدة منها. انهار مؤخراً الدولار الألتيري، 'كريّة البوبل الفلانينية' قابلة للتحويل بكريات البوبل الفلانينية، أما 'الترينغانيك بو' فلديها مشكلاتها الخاصة، فسعر تبادلها المحدد بثمانية 'نينغي' للبو الواحد بسيط، لكن بما أن النينغي هي قطعة نقدية مثلثية ومطاطية بعرض ستة آلاف وثمانمئة ميل، لم يتمكن أحد من جمع ما يكفي لقاء بو واحد. إن النينغي هي عملة غير صالحة للتداول لأن البنك المجري يرفض التعامل بصرف صغير وتافه. من هذه المقدمة الأساسية يمكن ببساطة إثبات أن البنك المجري هو مجرد نتاج تخيلات مخبولة.

٦ - الفنون: لا شيء.

وظيفة الفن هي عكس صورة الطبيعة في المرأة، ولا يوجد مرآة كبيرة بشكل كاف، راجع النقطة الأولى.

٧ - الجنس: لا شيء.

حسناً، في الواقع يوجد كمية مرعبة من هذا، بشكل كبير لسبب الافتقار التام للمال، التجارة، المصارف، الفن، أو أي شيء آخر يمكن أن يشغل الناس غير الموجودين في الكون.

في كل حال، إن الموضوع لا يستحق الشروع في نقاش طويل حوله الآن لأنه معقد بشدة. لمعلومات أوفى راجع الدليل في فصوله السابع، التاسع، العاشر، الحادي عشر، الرابع عشر، السادس عشر، السابع عشر، التاسع عشر، ومن الحادي والعشرين إلى الرابع والثمانين ضمناً، وفي الحقيقة، معظم ما تبقى من الدليل.

الفصل التاسع عشر

استمر وجود المطعم، لكن توقف وجود كل شيء آخر، عمل الثبات الزمني على إمساكه وحمايته في عدم لم يكن مجرد فراغ، كان ببساطة لا شيء، لم يوجد شيء يمكن للفراغ أن يوجد فيه.

عادت القبة المدرّعة لتكون غير شفافة، كانت الحفلة قد انتهت ورواد المطعم يغادرون، وتلاشى زاركوان مع بقية الكون، وكانت المحركات الزمنية تتهياً لإعادة المطعم عبر حافة الزمن استعداداً لجلسة الغداء، وكان ماكس كووردليلين قد عاد إلى غرفة ملابسه المزودة بالستائر محاولاً تربية وكيل أعماله عبر هاتف زمني.

وقفت السفينة السوداء في موقف المركبات، مغلقة وساكنة. وصل إلى موقف المركبات السيد هوتبلاك ديزياتو الراحل، مدفوعاً على طول الممر عن طريق حارسه الشخصي.

هبط عبر واحد من الأنابيب، مع اقترابهما من سفينة الليمو انفتح باب خارجي جانبي إلى الأسفل، أمسك بعجلات الكرسي المدولب وسحبه إلى الداخل. تبعه الحارس الشخصي، وبرؤيته لرئيسه متصلاً بأمان إلى نظام دعم الموت، تحرك باتجاه كابينة طيار صغيرة. من هنا شغل نظام التحكم عن بعد الذي نشط الطيار الآلي في السفينة السوداء الممددة إلى جانب الليمو،

مسبباً بذلك راحة كبيرة لزيغود بيبليبروكس الذي كان يحاول تشغيل الشيء لأكثر من عشر دقائق.

انزلقت السفينة السوداء بانسياب إلى الأمام خارجة من رصيفها، استدارت وتحركت إلى أسفل الطريق المركزي بسرعة وهدوء. في النهاية تسارعت بسرعة قاذفة نفسها إلى حجرة الإقلاق الزمنية وبدأت رحلة العودة إلى الماضي السحيق.

قوائم طعام الغداء في ميلويوز تقتبس، بترخيص، مقطعاً من دليل المسافر إلى المجرة. والمقطع كالتالي:

يميل تاريخ كل الحضارات المجرية الأساسية إلى المرور بثلاث مراحل متباينة ومميزة من النجاة، الاستعلام، التطور، وهي معروفة أيضاً في شكل مراحل كيف، لماذا، وأين.

في سبيل المثال، تتميز أول مرحلة بالسؤال «كيف يمكننا الأكل؟» السؤال الثاني «لماذا نأكل؟» السؤال الثالث «أين يجب أن نتناول الطعام؟»

تتابع القائمة لتقترح بأن ميلويوز - المطعم في نهاية الكون - يمثل جواباً مقبولاً ومتطوراً لذلك السؤال الثالث.

إلا أن ما لا تقوله هو أنه على الرغم من تطلب أي حضارة كبيرة آلفاً عدة من السنوات عادة لتمر بمراحل كيف، اللماذا، والأين، يمكن للتجمعات الاجتماعية الصغيرة تحت ظروف ضغط نفسي أن تمر عبر هذه المراحل بسرعة قصوى.

قال آرثر دينت: «كيف نبلي؟»

قال فورد بيرفيكت: «على نحو رديء».

قالت تريليان: «إلى أين نذهب؟»

قال زيفود بيلبروكس: «لا أعلم».

تساءل آرثر دينت: «لم؟»

اقترح زيفود بيلبروكس وفورد بيرفيكت قائلين: «اخرس».

قال آرثر دينت متجاهلاً الاقتراح: «ما تحاولان قوله على نحو أساسي

هو أننا خارج السيطرة».

كانت السفينة تهتز وتتمايل على نحو مفرز مع محاولة زيفود وفورد

انتزاع التحكم من الطيار الآلي. صرخ المحرك وانتحب مثل الأطفال

الضجرين في السوق.

قال زيفود الذي استمرت علاقة حبه مع هذه السفينة ثلاث دقائق

تقريباً في طيرانها: «ما يرعيني هو مخطط الألوان الجامحة، في كل مرة تحاول

أن تشغل أحد هذه المتحكمات السوداء المعنونة باللون الأسود على خلفية

سوداء، يضيء ضوء أسود صغير ليعلمك أنك قمت بالأمر. ما هذا؟ نوع

من الأكفان الفوقية المجريّة؟»

كانت جدران القمرة المتأرجحة سوداء، السقف أسود، المقاعد - التي

كانت بدائية لأن الرحلة المهمة الوحيدة التي تم تصميم هذه السفينة لأجلها

يفترض أن تكون بلا طاقم - سوداء، لوحات التحكم سوداء، المعدات

سوداء، البراغي الصغيرة التي ثبتتها في أمكتتها سوداء، غطاء الأرضية من

حَزَمَ النايلون الرقيق أسود، ولما رفعوه قليلاً اكتشفوا أن بطانته من الفليّن
سوداء أيضاً.

اقترحت تريليان: «لربما من صمم السفينة كانت لديه عيون حساسة
لأطوال موجات مختلفة».

دمدم آرثر: «أو لم يكن لديه إبداع».

قال مارفن: «يمكن أنه كان يشعر باكتئاب شديد».

في الحقيقة، ومع أنهم لم يكونوا ليعرفوا، فإنه تم اختيار الديكور
لتكريم صاحبها في حالته الخزينة، المرثية، التي يمكن حسم ضريبتها.
قامت السفينة بتمايل مفرز للنفس بوضوح.

ناشدها آرثر: «على رسلك، أنت تجعليني أصاب بدوار الفضاء».

قال فوردي: «دوار الزمن، نحن نهبط إلى الخلف عبر الزمن».

قال آرثر: «شكراً لك، أعتقد الآن بأنني سأمرض حقاً».

قال زيفود: «عليك بذلك، يمكننا الاستفادة من بعض اللون في هذا
المكان».

قاطع آرثر: «ينبغي لهذه أن تكون محادثة ما بعد العشاء مهذبة أليس
كذلك؟»

ترك زيفود المتحكات لفورد ليفهمها، وذهب إلى آرثر قائلاً بغضب:
«اسمع أيها الأرضي، لديك عمل لتقوم به، أليس كذلك؟ سؤال الإجابة
الجوهرية، أليس كذلك؟»

قال آرثر: «ماذا، ذلك الشيء؟ ظننت أننا نسيناه».

- «لم أنسه يا عزيزي، ومثلما قال الفأران، إنه يساوي الكثير من المال لدى الجهات الصحيحة. وهو مقفول عليه في رأسك هذا».

- «أجل لكن...»

- «لكن لا شيء! فكّر في الأمر، معنى الحياة! إن حصلنا على ذلك يمكننا المقايضة به على كل جزء من المجرة، وذلك يساوي الكثير، وأنا أدين لنفسي بالكثير».

أخذ آرثر نفساً عميقاً من دون حماس كثير وقال: «حسناً، لكن أين نبدأ؟ كيف لي أن أعرف؟ يقولون إن الإجابة الجوهرية أو ما شابه هي اثنان وأربعون، لكن كيف ينبغي لي أن أعرف ماهية السؤال؟ يمكن أن يكون أي شيء، أقصد ما هو ناتج ستة ضرب سبعة؟»

نظر إليه زيفود بقسوة للحظة، ثم التمعت عيناه من الإثارة وصاح:
«اثنان وأربعون!»

مسح آرثر راحة كفه على جبينه وقال بحلم: «نعم، أعرف ذلك».

خمد وجه زيفود.

قال آرثر: «جلّ ما أقوله هو أن السؤال قد يكون أي شيء على الإطلاق، ولا أدري كيف علي معرفته».

هسهس زيفود: «لأنك كنت هناك عندما انفجر كوكبك».

بدأ آرثر بقوله: «عندنا أمر على الأرض...»

صحح له زيفود: «كان».

- «... يدعى لباقة. آه لا تهتم، اسمع، أنا لا أعرف».

صاح صدى صوت بليد في القمرة، قال مارفن: «أنا أعرف».

صاح فوردي من المتحكّمات حيث كان لا يزال يقاتل في معركة خاسرة وقال: «ابق خارج الموضوع يا مارفن، هذا كلام كائنات حية».

تابع مارفن: «إنه مطبوع على عينات موجات دماغ الأرضي، لكنني لا أظن أنكم ستكفونون مهتمين بمعرفة ذلك».

قال آرثر: «أتقصد، أتقصد أنه يمكنك النظر في دماغي؟»

قال مارفن: «نعم».

حدّق آرثر بذهول وقال: «و...؟»

- «يذهلني كيف تتمكن من العيش مع شيء صغير كهذا».

قال آرثر: «آه، شتيمة».

قال زيفود: «تجاهله، انه يختلق الأمر برمته».

قال مارفن: «أختلق الأمر؟» وقد أدار رأسه بمحاكاة ساخرة للدهشة، وتابع: «لم قد أريد أن أختلق أي شيء؟ الحياة سيئة بشكل كاف من دون أن يتم اختراع المزيد منها».

قالت تريليان: «مارفن، بصوت رقيق وعطوف لم يتبق أحد غيرها قادر على استخدامه وهو يتحدث إلى هذا المخلوق المشوه، إن كنت تعرف كل هذه المدة، فلم لم تخبرنا إذا؟»

استدار رأس مارفن باتجاهها وقال ببساطة: «أنتم لم تسألوا».

قال فورد وهو يستدير للنظر إليه: «حسناً، نحن نسألك الآن أيها الرجل المعدني».

في تلك اللحظة توقفت السفينة عن الاهتزاز والتمايل واستقرت نعمة المحرك على مهمة وديعة.

قال زيفود: «هيه يا فورد، يبدو ذلك جيداً، هل فهمت عمل متحكّمات هذا القارب؟»

قال فورد: «لا، لقد توقفت عن العبث بها فقط، أظننا ذاهبين إلى حيث تذهب هذه السفينة ومن ثم نخرج منها بسرعة».

قال زيفود: «أجل، صحيح».

همس مارثن لنفسه قائلاً: «كنت أعرف أنكم لستم مهتمين»، وانخفض في زاوية مطفئاً نفسه.

قال فورد: «تكمن المشكلة في أن الآلة الوحيدة التي تعطي أي قراءة في هذه السفينة تقلقني. إن كانت ما أظنه، وإن كانت تقول ما أظنها تقوله، فإننا ذهبنا بعيداً في الماضي السحيق، كمليني سنة قبل وقتنا مثلاً».

هز زيفود كتفيه وقال: «الزمن هراء».

قال آرثر: «أتساءل لمن تعود ملكية هذه السفينة في أي حال».

قال زيفود: «لي».

- «لا، لمن تعود ملكيتها بحق».

أصر زيفود: «حقاً لي، اسمع، الملكية سرقة، أليس صحيحاً؟ لذلك فالسرقة ملكية. لذلك هذه السفينة ملكي، موافق؟»

قال آرثر: «أخبر السفينة بذلك».

خطا زيفود إلى المنصة وقال وهو يضرب اللوحات: «أيتها السفينة، هذا مالِكك الجديد يتكلم إلى»...

لم يكمل، حدثت أشياء عدة دفعة واحدة.

خرجت السفينة من وضع السفر عبر الزمن وعادت إلى الظهور في الفضاء الحقيقي.

أضاءت كل المتحركات على المنصة والتي كانت مطفاة في رحلة الزمن.

أومضت شاشة مراقبة كبيرة فوق المنصة كاشفة عن مشهد نجمي عريض وشمس مفردة كبيرة جداً أمامهم مباشرة.

لم يكن شيء مما حصل مسؤولاً عن حقيقة أن زيفود كان في اللحظة نفسها قد قُذِفَ جسدياً إلى الخلف إلى مؤخرة القمرة، كما حدث مع كل الآخرين.

قُذفوا إلى الخلف بصوت ضجيج مدو خرج من مكبرات الصوت الخاصة بشاشة المراقبة والمحيط بها.

الفصل العثرون

كان تقنيو المسرح يجتبرون نظام الصوت في منتصف صحراء رودليت، في الأسفل على كوكب كاكرافون الأحمر الجاف.

معنى هذا إن نظام الصوت هو من كان في الصحراء، وليس تقنيو المسرح. انسحب التقنيون إلى أمان سفينة التحكم العملاقة التابعة لديزاستر إريا التي تعلقت في مدار على بعد أربعمئة ميل فوق سطح الكوكب، وكانوا يجتبرون نظام الصوت من هناك، ولم يكن لأي أحد ضمن مجال خمسة أميال من حجرات مكبرات الصوت أن ينجو من عمليات الضبط.

لو أن آرثر دينت كان في مجال خمسة أميال من حجرات مكبرات الصوت لكان خطر في باله وهو يموت أن جهاز الصوت يشبه مانهاتن كثيراً حجماً وشكلاً.

ترتفع أكوام من مكبرات صوت الطور النيتروني من حجرات مكبرات الصوت على نحو هائل باتجاه السماء، حاجبة صفوف مفاعلات البلوتونيوم والمضخات الزلزالية خلفها.

دُفنت الآلات التي سيتحكم بها الموسيقيون من سفينتهم في مستودعات إسمنتية تحت مدينة مكبرات الصوت، وهي أجاتار فوتوني ضخمة، مفجر النغمات الجهيرة ومجمّع طبول ميغابانغ. سوف يكون عرضاً مفعماً بالضجيج.

كل شيء كان يعج بالنشاط والحيوية على سطح سفينة التحكم الضخمة، وكانت سفينة هوتبلاك ديزياتو، التي بدت كفرخ ضفدع إلى جانبها، قد وصلت ورسّت. كان يتم نقل السيد الحزين إلى أسفل الأروقة المعزولة بشدة ليلتقي بالوسيط الذي سيؤول نبض وسيطه الروحي على لوحة مفاتيح الأختيار.

ولقد وصل للتو أيضاً دكتور، عالم بالمنطق، وعالم أحياء بحرية، تم جلبهم جواً بتكلفة ضخمة من ماكسيمغالون ليحاولوا إقناع المغني الأساسي الذي كان قد أقفل على نفسه في الحمام مع علبة حبوب دواء رافضاً الخروج حتى يتم البرهنة له بشكل حاسم على أنه ليس سمكة. كان عازف النغمات الجهيرة مشغولاً برش غرفة نومه بالرصاص، وكان قارع الطبول غير موجود على سطح السفينة.

قادت الاستقصاءات المسعورة لاكتشاف أنه يقف على شاطئ في سانتراجينوس (٥) على بعد أكثر من مئة سنة ضوئية حيث ادعى أنه كان سعيداً لأكثر من نصف ساعة الآن وأنه وجد حصاة صغيرة تود أن تكون صديقته.

كان مدير الفرقة مرتاحاً بعمق، فذلك كان يعني أن الطبول سيعزف عليها روبوت للمرة السابعة عشرة في هذه الجولة، لذا سيكون توقيت الآلات النحاسية صحيحاً.

كان السب-إيثر يطن باتصالات تقنيي المسرح وهم يجتربون قنوات مكبرات الصوت، وهذا ما كان يتم نقله إلى داخل السفينة السوداء. حيث استلقى ركاها المصابون بالدوار على الحائط الخلفي للقمرة واستمعوا إلى الأصوات عبر مكبرات صوت المراقبة.

قال صوت: «حسناً، القناة التاسعة تعمل، اختبار القناة الخامسة عشرة»...

أز صوت ضجيج مكتوم عبر السفينة.

قال صوت آخر: «القناة الخامسة عشرة جيدة».

قاطع صوت ثالث: «سفينة الحيل السوداء في موقعها الآن، تبدو بحال جيدة، ستكون قفزة شمسية رائعة، هل حاسوب المسرح متصل؟»

رد صوت حاسوب: «متصل».

- «تحكم بالسفينة السوداء».

- «السفينة السوداء مثبتة على مسار ممنهج، في وضع الاستعداد».

- «اختبار القناة العشرين».

قفز زيفود عبر القمرة وغير الترددات على مستقبل السب-إيثر قبل أن تضربهم موجة الضجيج المدمرة للعقل التالية، ووقف هنالك مرتعشاً.

قالت تريليان بصوت هادئ وضعيف: «ماذا تعني القفزة الشمسية؟»

قال مارفن: «تعني أن السفينة ستغطس في الشمس، قفزة... شمسية. إنها سهلة جداً للفهم، ما الذي تتوقعونه إن سرقتم سفينة الحيل الخاصة بهوتبلاك ديزياتو؟»

قال زيفود بصوت يجعل سحلية ثلج نباتية تشعر بالبرد: «كيف تعرف... أن هذه سفينة حيل هوتبلاك ديزياتو؟»

قال مارفن: «بسيطة، لقد ركنتها له».

- «إذًا لم... لم... تقل... لنا؟»

- «أنت قلت إنك تريد مغامرة وإثارة وأشياء جامحة بحق».

قال آرثر: «هذا شنيع». بشكل غير ضروري في الفاصل الذي تبع كلام مارفن.

أكد مارفن قائلاً: «هذا ما قُلتُه».

التقط مستقبل السب-إيثر بثاً عاماً على تردد مختلف وراح يتردد صداه في القمرة.

«... طقس جميل من أجل الحفل الموسيقي هنا بعد ظهر هذا اليوم، أنا أقف هنا أمام المسرح،» كذب المراسل، «في منتصف صحراء رودليت، ويمكنني أن أرى بمساعدة نظارات 'الهايبرينوبتيك' الجمهور الهائل الذي ينكمش رعباً هنالك في الأفق من حولي. ترتفع من ورائي أكوام مكبرات الصوت مثل جرف شاقولي، وفي الأعلى من فوقني تشع الشمس غير مدركة لما سيصطدم بها. جماعة الضغط البيئية تعرف ما الذي سيصطدم بها، ويزعمون أن الحفل الموسيقي سيتسبب بهزات أرضية، أمواج مد، براكين، أضرار لا يمكن إصلاحها للغلاف الجوي، وكل الأشياء العادية التي يتكلم عنها البيئيون عادة.

إنها وصلني تقرير حول أن ممثلاً عن ديزاستر إريا اجتمع بالبيئيين على الغداء وأطلق عليهم النار، لذا لا يقف الآن أي شيء في طريق...»

أطفأه زيفود واستدار إلى فورد قائلاً: «هل تعلم بم أفكر؟»

قال فورد: «أظن ذلك».

- «أخبرني بما تظن أنني أفكر فيه».

- «أظن أنك تفكر في أن الوقت قد حان لنغادر السفينة».

قال زيفود: «أظن أنك محق».

قال فورد: «أظن أنك محق».

قال آرثر: «كيف؟»

قال فورد وزيفود: «اصمت، نحن نفكر».

قال آرثر: «إذا انتهى الأمر، سنموت».

قال فورد: «أتمنى أن تتوقف عن قول ذلك».

من المهم في هذه المرحلة إعادة التذكير بالنظريات التي خلص إليها فورد خلال لقائه بالمخلوقات البشرية لأول مرة، التي تدرس عاداتهم الغربية في الاستمرار بالتصريح وإعادة التصريح عن الأمور الواضحة جداً جداً، مثل قولهم «إنه يوم جميل»، أو «أنت طويل جداً»، أو «إذا انتهى الأمر، سنموت».

كانت نظريته الأولى تقول إنه إن لم تستمر المخلوقات البشرية في تمرين شفاهاها فإن أفواهاها ستغلق على الأغلب.

بعد شهور عدة من المراقبة خلص إلى نظرية ثانية وهي: «إن لم تستمر المخلوقات البشرية في تمرين شفاهاها فإن عقولها تبدأ بالعمل».

في الحقيقة إن النظرية الثانية حرفياً هي أكثر واقعية فيما خص شعب "بيلسيبرون" من كاكرافون.

كان شعب بيلسيرون يتسبب بقدر كبير من الاستياء وعدم الأمان بين الأجناس المجاورة بكونهم واحدة من أكثر حضارات المجرة تنويراً، وإنجازاً، وفوق كل ذلك هدوءاً.

كعقوبة على سلوكهم الذي عدّ اعتداداً بالأخلاق على نحو مهين واستفزازي، سلّطت عليهم المحكمة المجريّة أقسى الأمراض الاجتماعية: التخاطر الذهني. بناء على ذلك، لكي يمنعوا أنفسهم من بث كل فكرة تخطر في بالهم لأي أحد ضمن قطر خمسة أميال، فإن عليهم الآن أن يتكلموا بصوت مرتفع ومن دون توقف عن الطقس، وكآبتهم وآلامهم، والمباراة عصر هذا اليوم، وكم أصبح كاكرافون مكاناً مفعماً بالضجيج على حين غرة.

ليوقفوا أدمغتهم مؤقتاً بطريقة أخرى كان عليهم أن يكونوا المضيف لحفلات ديزاستر إريا الموسيقية.
توقيت الحفل كان حاسماً.

كان على السفينة أن تبدأ بقفزتها قبل أن يبدأ الحفل كي تضرب الشمس قبل ست دقائق وسبع وثلاثين ثانية من ذروة الأغنية المرتبطة بها، حتى يكون لضوء الشعلات الشمسية الوقت الكافي لتصل إلى كاكرافون.

في الوقت الذي أكمل فيه فورد بريفيكت بحثه عن أجزاء مستقلة من السفينة السوداء كانت قد مضت دقائق عدة على قفزة السفينة. فاندفع عائداً إلى القمر.

بدأت شمس كاكرافون كبيرة بشكل هائل على شاشة المراقبة، كان جحيمها الأبيض المشتعل المتكون من نوى هيدروجين منصهرة يكبر لحظة

بعد أخرى مع اندفاع السفينة بسرعة باتجاهها غير مكترثة لنقر وضرب أيادي زيفود على لوحة التحكم. آرثر وتريليان علتها التعابير الجامدة للأرانب على الطريق في الليل، التي تظن أن أفضل طريقة للتعامل مع ضوء مقرب هو التحديق إليه.

استدار زيفود وهو يحدق بهيجان وقال: «يا فورد، كم كبسولة هروب لدينا؟»

قال فورد: «ولا واحدة».

تلعثم زيفود وصاح: «هل عددتها؟»

قال فورد: «مرتين. هل تمكنت من إيقاظ طاقم المسرح على الراديو؟»

قال زيفود بمرارة: «نعم، قلت إن هنالك مجموعة من الناس على متن السفينة فقالوا أن أقول 'مرحباً' للجميع».

حملق فورد وقال: «ألم تخبرهم من نكون؟»

-«أجل، قالوا إنه لشرف عظيم، وقالوا شيئاً عن فاتورة مطعم وعن أوصيائي».

دفع فورد آرثر جانباً وانحنى إلى الأمام فوق منصة التحكم.

قال بوحشية: «ألا تعمل أي من هذه؟»

-«كلها ملغاة».

-«حطّم الطيار الآلي».

-«جده أولاً، لا يوجد شيء مترابط».

كانت هنالك لحظة من الصمت التام.

كان آرثر يتعثر في مؤخرة القمرة، توقف فجأة وقال: «عرضياً، ما الذي تعنيه كلمة نقل فوري؟»

مرت لحظة أخرى، وببطء استدار الآخرون ليوواجهوه.

قال آرثر: «ربما كان الوقت غير مناسب للسؤال، أذكر أنني سمعتكم تستخدمون الكلمة منذ هنيهة فتساءلت عنها لأني...»

قال فورد بهدوء: «أين كُتِبَت كلمة نقل فوري؟»

قال آرثر وهو يشير إلى صندوق تحكم داكن في مؤخرة القمرة: «هنا في الواقع، تماماً تحت كلمة 'طوارئ'، وفوق كلمة 'نظام' وإلى جانب اللوحة التي تقول 'خارج الخدمة'».

في المرح والمرج الذي حصل بعد ذلك مباشرة كان الفعل الوحيد الذي يمكن ملاحظته هو اندفاع فورد بريفيكت عبر القمرة بسرعة إلى الصندوق الأسود الصغير الذي كان آرثر أشار إليه وضرب زراً أسود صغيراً مركباً عليه، بتكرار.

انفتحت لوحة مقاسها ست أقدام مربعة منزقة إلى جانب الصندوق كاشفة عن مقصورة تشبه مجموعة حمامات متعددة وجدت لنفسها وظيفة جديدة في الحياة كمخزن لخرده عامل كهرباء. شبكة أسلاك نصف منتهية تعلقت من السقف، تبعثرت على الأرض كمية من الأجزاء المهجورة، وتعلقت لوحة برمجة في تجويف في الحائط كان يجب أن تكون مثبتة فيه.

خلال زيارته إلى موضع بناء السفن حيث كان يتم إنشاء هذه السفينة طالب محاسب ثانوي لديزاستر إريا رئيس العمال معرفة لم يقحمون - بحق الجحيم - ناقلاً فورياً باهظ الثمن جداً في سفينة ليس لها أن تقوم إلا برحلة واحدة، من غير طاقم. شرح رئيس العمال بأن الناقل الفوري كان متوافراً بحسم بنسبة عشرة بالمائة، وشرح المحاسب أن الأمر ليس مادياً؛ شرح رئيس العمال أن هذا كان أفضل وأقوى ناقل فوري متطور يمكن للمال أن يشتريه، وشرح المحاسب أن المال لم يرغب في شرائه؛ شرح رئيس العمال أن الناس سيظلون بحاجة لدخول السفينة والخروج منها، وشرح المحاسب أنه قد رُكِّب على السفينة باب متين بشكل كامل؛ شرح رئيس العمال أنه يمكن للمحاسب أن يذهب ويسلق رأسه، وشرح المحاسب لرئيس العمال أن الشيء الذي يقترب إليه مسرعاً عن يساره كان لكمة على فمه. بعد أن انتهت الشروحات توقف العمل على الناقل الفوري الذي مر فيما بعد على الفاتورة من دون أن يُلاحظ تحت عنوان «شروحات متعددة» بسعر مضاعف خمس مرات.

دمدم زيفود: «حمير الجحيم»، في حين كان يحاول هو وفورد أن يعبرا خلال عقد شبكة الأسلاك.

بعد هنيهة، طلب إليه فورد أن يقف في الخلف، رمى قطعة نقدية في الناقل الفوري وهز مفتاحاً على لوحة التحكم المتدلية، فاختمت القطعة النقدية بفرقة وومضة ضوء.

قال فورد: «هذا ما يعمل منه، لكن ليس هنالك نظام توجيه، يمكن أن يضعك الناقل الفوري لنقل المادة من دون برمجة قيادته في... حسناً، أي مكان».

بدأت شمس كاكرافون كبيرة على شاشة المراقبة.

قال زيفود: «من يهتم، نذهب حيث نذهب».

قال فورد: «وليس هنالك نظام آلي، لا يمكننا الذهاب كلنا، على أحد ما أن يبقى لتشغيله».

مرت لحظة كئيبة ببطء، وازداد حجم الشمس التي تلوح أكثر فأكثر.

قال زيفود بابتهاج: «هيه، مارفن يا بني، كيف حالك؟»

دمدم مارفن: «سيء جداً كما أظن».

بعد لحظة قصيرة، وصل الحفل في كاكرافون إلى ذروة غير متوقعة.

فلقد غطست السفينة السوداء براكبها الكئيب الوحيد حسب موعدها في جحيم الشمس النووي. تراقصت منها شعلات شمسية هائلة لملايين الأميال في الفضاء، مثيرة، وفي بعض الأحيان مذيبة، لدسته من راكبي الشعلات الشمسية الذين كانوا يرسون بالقرب من سطح الشمس بترقب لهذه اللحظة.

قبل أن يصل بريق الشعلات إلى كاكرافون بلحظات تشققت الصحراء القاحلة مشكلة صدعاً عميقاً. تدفق إلى السطح نهر باطني كبير وغير مكشوف يمتد بعمق تحت السطح ليتبعه بعد لحظات انفجار ملايين الأطنان من الحمم البركانية المهتاجة التي تدفقت في الهواء لمئات الأقدام، مبخرة النهر بشكل فوري فوق وتحت السطح بانفجار دوى صداه إلى الجانب البعيد من الكوكب.

أولئك - القلة القليلة - الذين شهدوا الحدث ونجوا أقسموا أن المئة ألف ميل مربع من الصحراء كلها ارتفع في الهواء مثل شطيرة سمكها ميل، قلبت نفسها وسقطت إلى الأسفل من جديد. في تلك اللحظة بالتحديد رشحت الإشعاعات الشمسية من الشعلات عبر غيوم الماء المتبخرة وضربت الأرض.

بعد سنة، كان المئة ألف ميل مربع من الصحراء غنياً بالأزهار، تغيرت بنية الغلاف الجوي حول الكوكب ببراعة، فراحت الشمس تشع بخشونة أقل في الصيف، والبرد يقرص بقسوة أقل في الشتاء، وتساقطت الأمطار اللطيفة أكثر، وبطء تحول كوكب كاكرافون الصحراوي إلى جنة. حتى إن قوى التخاطر الذهني التي ابتلي بها الكاكرافونيون راحت تتشتت باستمرار بسبب قوة الانفجار.

متحدث باسم ديزاستر إريا، الذي كان قد أطلق النار على كل البيئين، نُقل عنه قوله إنها كانت «حفلة جيدة».

تكلم العديد من الناس على نحو عاطفي عن قوى الشفاء في الموسيقى. تفحص بعض من العلماء المشككين سجل الأحداث بتمعن أكبر وادعوا بأنهم اكتشفوا آثار خفيفة لحقل للاحتمالية صناعي ضخمة يتدفق من منطقة قريبة من الفضاء.

الفصل الكادي والعشرون

استيقظ آرثر وندم في الحال، كان قد اختبر آثار الإسراف في الشراب، لكن شيئاً لم يكن بهذه القوة. انتهى الأمر، هذه كانت الطامة الكبرى، الوضع الأسوأ على الإطلاق. قرر أن أشعة نقل المادة ليست مسلية مثل، ولنقل، ركلة قوية على الرأس.

وبما أنه لم يشأ أن يتحرك في الوقت الراهن بسبب الرجفة الفاترة التي كان يشعر بها، فقد استلقى لوهلة وفكر في أن مشكلة معظم أشكال النقل هي أنه واحد منها بشكل أساسي لم يكن يستحق كل هذه الضجعة. فعلى الأرض - لما كان هنالك أرض قبل أن يتم تدميرها للإفساح في المجال لبناء معبر فضاء فوقي - كانت المشكلة مع السيارات. كان الضرر يتمحور حول سحب كميات كبيرة من الطين الأسود اللزج من الأرض حيث كان مُجَباً بأمان بعيداً عن الأذى، وتحويله إلى قطران لتغطية الصعيد به، دخان ملء الهواء به، وسكب ما تبقى في البحر، كل ذلك صب في ترجيح مزية القدرة على الانتقال السريع من مكان إلى آخر، ولا سيما عندما يصبح المكان الذي وصلت إليه في الأغلب، نتيجة لذلك، شبيهاً جداً بالمكان الذي تركته، مثل أنه مغطى بالقطران، ممتلئ بالدخان وقليل الأسماك.

وماذا عن أشعة نقل المادة؟ أي شكل من أشكال النقل التي تتضمن تفتيتك ذرة بذرة، قذف هذه الذرات عبر السب-إيثر ومن ثم تثبيتها بإحكام مع بعضها من جديد عندما تكون قد بدأت تحسّ بالحرية لأول مرة منذ سنوات، لا بد أن يكون شيئاً غير سار.

كان العديد من الناس قد فكر في ذلك الأمر تماماً قبل آرثر دينت، ووصل بهم الأمر أيضاً إلى كتابة أغان عنه. هذه واحدة يتم إنشادها بشكل منتظم من قبل الحشود خارج معمل شركة سيريوس سايرنيتكس لأنظمة النقل في هابي-ويرلد (٣):

ألدياران عظيم، حسناً،

ألغول مرتب جداً،

فتيات بيتلجوس الحسان،

سيخلبن لبك

سيفعلن أي شيء تحبه،

بسرعة كبيرة ومن ثم ببطء شديد،

لكن إن كان عليك تجزيئي لأصل هناك،

فأنا لا أريد الذهاب.

غناء،

جزئني، جزئني،

يا لها من طريقة للتجوال،

وإن كان عليك تجزيئي لأصل هناك،
فأفضل البقاء في المنزل.
سير يوس مر صوف بالذهب،
هذا ما سمعت أنه يقال،
من قبل مجانين يتابعون القول:
«شاهد تاو قبل أن تموت».
بسعادة سأخذ الطريق الرئيس،
أو حتى الطريق الفرعي،
لكن إن كان عليك تجزيئي لأصل هناك،
عندها أنا بالتأكيد لن أذهب.
غناء،

جزئني، جزئني، أنت لا بد مجنون
وإن حاولت تجزيئي لأصل هناك،
فسأبقى هنا في السرير.
نقلت البيت في أحد الليالي،
مع رون وسيد وميغ،
فسرق رون قلب ميغ،
وحصلتُ على رجلٍ سيد.

شعر آرثر بأمواج الألم تتراجع ببطء، فوقف بحذر وروية على الرغم من أنه كان لا يزال مدركاً للرجفة الفاترة.

قال فورد بريفيكت: «هل يمكنك سماع الرجفة الفاترة؟»

استدار آرثر وتمايل بتردد، كان فورد بريفيكت يقترب محمر العينين وشاحباً.

لهث آرثر: «أين نحن؟»

نظر فورد من حوله، كانا يقفان في رواق متقوس ويمتد إلى أبعد من نظريهما في كلا الاتجاهين. الجدار المعدني الخارجي، الذي كان ملوناً لوناً بائساً من درجات اللون الأخضر الذي يستعملونه في المدارس، والمستشفيات، والمصحات العقلية ليقبوا النزلاء خاضعين، انحنى فوق رأسيهما حيث التقى بالجدار الداخلي العمودي الذي، يا للغرابة، كان مغطى بقماش جداري قوي وخشن لونه بني داكن. أما الأرضية فكانت من المطاط الأخضر الداكن المضلع.

تحرك فورد باتجاه لوحة داكنة شفافة وسميكة جداً موضوعة على الجدار الخارجي. كانت على عمق طبقات عدة، إلا أنه تمكن أن يرى عبرها نقاط النجوم البعيدة.

قال: «أظننا في سفينة فضاء من نوع ما».

من آخر الرواق أتى صوت الرجفة الفاترة.

صاح آرثر بتوتر: «تريليان؟ زيفود؟»

هزّ فورد كتفه: «ليسا في الجوار، لقد بحثت. قد يكونا في أي مكان. النقل الفوري غير المبرمج قد يقذفك سنوات ضوئية في أي اتجاه. بالنظر لشعوري الحالي أعتقد أننا سافرنا لمسافة بعيدة جداً بالتأكيد».

- «كيف شعورك؟»

- «سيء».

- «هل تعتقد أنها»...

- «أين هما، كيف هما، لا توجد طريقة لنعرف، ولا يوجد شيء لنفعله حيال الأمر. افعل ما أفعله».

- «ماذا؟»

- «لا تفكر في الأمر».

قلّب آرثر هذه الفكر في ذهنه، ورأى الحكمة فيها على مضمض، فطواها ووضعها في مكانها ثم أخذ نفساً عميقاً.

هتف فورد فجأة: «خطوات!»

- «أين؟»

- «ذلك الضجيج، الرجفة الفاترة، خبط أقدام، اسمع!»

أصغى آرثر، تردد إليها صدى الصوت في الردهة من مسافة غير محددة. لقد كان الصوت المكتوم لخبط الأقدام، وكان يرتفع على نحو ملحوظ.

قال فورد بحدة: «لنتحرك»، وتحركا، في اتجاهين متعاكسين.

قال فورد: «ليس من هناك، إنهم قادمون من هناك».

قال آرثر: «لا ليسوا كذلك، إنهم قادمون من ذاك الاتجاه».

- «ليسوا كذلك، إنهم»...

توقفاً، استدرا، أصغياً بتركيز، اتفقاً مع بعضهما، وانطلقاً من جديد باتجاهين متعاكسين.

لقد استحوذ عليها الخوف، فمن الاتجاهين كان الصوت يرتفع.

على بعد ياردات عدة إلى يسارهما امتد رواق آخر يميناً إلى الجدار الداخلي، ركضاً إليه وأسرعاً فيه، كان مظلماً، هائل الطول وأعطاهما في أثناء مرورهما به انطباعاً بأنه كان يزداد برودة. تمددت أروقة أخرى إلى يمينه ويساره، كل منها شديد الظلمة ويعرضهما في أثناء مرورهما لنفحات حادة من الهواء البارد.

توقفاً لوهلة بذعر، فكان صوت خبط الأقدام يرتفع كلما مشياً أكثر في الرواق.

ضغطا ظهرتهما إلى الجدار البارد وأصغياً باهتياج. البرد، الظلمة، وقرع الأقدام التي بلا أجسام، كان يزعجهما إلى أبعد حد. ارتجف فورد، نوعاً ما، بسبب البرد، لكن إلى حد ما بسبب ذكرى القصص التي اعتادت أمه المفضلة أن تقصها عليه عندما كان يتلجوسياً صغيراً، بارتفاع كاحل بالنسبة إلى الجندب الأركتوري الهائل، قصص عن سفن ميته ضخمة ومسكونة تجولت على نحو متواصل عند المناطق الأكثر ظلمة في عمق الفضاء موبوءة بالشياطين أو أشباح الطواقم المنسية، قصص أيضاً عن

مسافرين مهملين وجدوا سفناً كهذه ودخلوها، قصص عن... ثم تذكر
فورد القماش الجداري القوي والحشن بني اللون في الرواق الأول
واستجمع قواه، وفكر في أنه مهما اختارت الشياطين والأشباح لتزين سفن
موتها الضخمة به، فإنه يراهنك على أي مبلغ تريده من المال أنه لن يكون
القماش الجداري القوي والحشن، أمسك آرثر من ذراعه وقال بصلافة:
«لنعد من حيث أتينا». وراحا يرجعان من حيث أتيا.

بعد لحظة، قفزا مثل سحليتين مرعوبتين إلى أقرب وصلة رواق مع
الظهور المفاجئ لأصحاب الأقدام المقرعة مباشرة أمامهما.

حملقا بدهشة وهما مختبئان خلف الزاوية مع مرور دستتين من الرجال
والنساء البدينين المرتدين ثياباً عادية فضفاضة، كانوا يشخرون ويلهثون
بطريقة تجعل جراح القلب يتلعثم.

لاحقهم فورد بريفيكت بنظره وهسهس قائلاً: «مشاة!» في حين راح
صوت أقدامهم يذوي بعيداً في شبكة الأروقة.

همس آرثر دينت: «مشاة؟»

قال فورد بريفيكت: «مشاة»، وهز كتفه.

لم يكن الرواق الذي اختبأ فيه كالبقية، فلقد كان قصيراً جداً وانتهى
بباب معدني كبير، تفحصه فورد، واكتشف آلية الفتح، وفتحه على
مصراعيه.

أول ما صادفته أعينها كان ما بدا أنه تابوت، والأشياء الأربعة آلاف
وتسعمئة وتسعة وتسعون التالية التي صادفتها أعينها كانت أيضاً توابيت.

الفصل الثاني والعشرون

كان المدفن منخفض السقف، باهت الإضاءة وضخماً، وفي الطرف المقابل، على بعد ثلاثمئة ياردة تقريباً، قادت القنطرة إلى ما بدت أنها حجرة مشابهة، ومملوءة بالطريقة نفسها.

أطلق فورد بريفيكت تصفيرة منخفضة وهو يخطو إلى أرضية المدفن، قال: «هائل».

سأل آرثر بتوتر وهو يتبعه: «ما هو الشيء الرائع حول الأموات؟»

قال فورد: «لا أعلم، ما رأيك أن نكتشف الأمر؟»

بعد التفحص عن قرب بدت التوابيت كأنها حجرية، منتصبة بارتفاع خصر ومبنية ممّا بدا أنه رخام أبيض، وهو ما كان بالتأكيد كذلك، فهو الشيء الوحيد الذي يبدو كرخام أبيض. كانت الأغشية نصف شفافة وتمكنا بشكل باهت عبرها من ملاحظة هيئات قاطنيها الراحلين والمرثيين على الأغلب.

كانت أشكالهم تشبه البشر، ومن الواضح أنهم تركوا خلفهم مشكلات العالم الذي أتوا منه، لكن ما وراء ذلك شيء آخر بسيط يمكن الإحساس به.

كان هنالك غاز أبيض زيتي ثقيل يتدحرج ببطء فوق الأرضية بين التواييت الحجرية. ظن آرثر في البداية أنه موجود ليعطي انطباعاً للمكان حتى اكتشف أنه جمد عقبيه، حتى التواييت الحجرية كانت أشد برودة من أن تلمس.

جثم فورده فجأة إلى جانب أحد التواييت الحجرية وسحب طرف منشفته من حقيبتة ثم بدأ يحك شيئاً ما بشدة.

شرح لآرثر قائلاً: «هنالك صفيحة معدنية رقيقة على هذا، إنها متجمدة».

مسح فورده الجليد وعاین الحروف المنقوشة، بدت هذه الحروف بالنسبة إلى آرثر كأثار أقدام عنكبوت كان لديه الكثير مما تفعله العناكب عندما تخرج ليلاً، لكن فورده على الفور ميز شكلاً بدايئاً من (إيزيرييد) المجرية.

«مكتوب 'أسطول سفن (غولغافرينشام)، السفينة ب، العنبر السابع، عامل هاتف نخب ثان'، ورقم تسلسلي».

قال آرثر: «عامل هاتف؟ عامل هاتف ميت؟»

- «أفضل نوع».

- «إنها، ما الذي يفعله هنا؟»

حدّق فورده عبر الغطاء إلى الجسم بالداخل وقال: «ليس الكثير، وفجأة كثر التكشيرة التي جعلت الناس دائماً يعتقدون أنه يباليغ في الأمور مؤخرًا، وأن عليه أن ينال قسطاً من الراحة».

انتقل بسرعة إلى تابوت حجري آخر، وبعد دقيقة من العمل النشط بالمنشقة أعلن: «هذا مصنف شعر ميت. هووبي!»

كشف التابوت الحجري التالي عن نفسه بأنه آخر مرقد لموظف محاسبة في صناعة الإعلان، واحتوى التابوت الذي بعده على وسيط تجارة سيارات من النخب الثالث.

استحوذت فتحة تفتيش تفضي إلى الأرضية على اهتمام فورد فجأة، فجلس القرفصاء ليفتحها وهو يبعد غيوم الغاز المتجمد التي كادت تغشيه. خطرت فكرة في بال آرثر، فقال: «إن كانت هذه مجرد توابيت، لم أبق عليها باردة؟»

قال فورد وهو يفتح الممر: «بالتأكيد، أو لم تم الاحتفاظ بها في أي حال،» تدفق الغاز عبر الفتحة «لم يتكبد أحدهم مشقة وتكاليف نقل خمسة آلاف جثة هامة عبر الفضاء؟»

قال آرثر وهو يشير إلى مقنطرة ظهرت عبرها الحجرة التالية بشكل باهت: «عشرة آلاف».

أقحم فورد رأسه عبر فتحة الأرضية وأخرجه مجدداً ثم قال: «خمسة عشر ألفاً، يوجد مدفن آخر في الأسفل».

قال صوت: «خمسة عشر مليوناً».

قال فورد: «ذلك كثير، كثير كثير».

صاح الصوت: «استدر ببطء وارفع يديك، أي حركة أخرى وسأفجرك إلى قطع صغيرة جداً جداً».

قال فوردي: «مرحباً؟» وهو يستدير ببطء، رافعاً يديه ولا يقوم بأي حركة أخرى.

قال آرثر دينت: «لم لا يوجد أحد مسرور لرؤيتنا على الإطلاق؟»

كان ظل الرجل غير المسرور لرؤيتهما يقف عند الباب الذي دخلا منه إلى المدفن. تم التعبير عن عدم سروره بنوعية الصباح والوعيد في صوته، وبالطريقة الشريرة التي لوح فيها بمسدس 'كيل-و-زاب' فضي طويل. من الجليّ أنه تم توجيه مصمم المسدس كي يكون واضحاً.

أخبروه: «اجعله شريراً، وضح فكرة أنّ لهذا المسدس طرفاً صحيحاً وطرفاً مضطرب العقل، وضح فكرة أنه أياً يكن الواقف أمام الطرف مضطرب العقل فإن أموره تسير على نحو سيئ. إن كان الأمر يعني تركيب كل أنواع الأشواك والمسامير والكسرات المسودّة فليكن ذلك. هذا المسدس ليس للتعليق فوق المدفأة أو في منصة المظلة، هذا المسدس للخروج وجعل الناس بائسين بوساطته».

نظر فوردي وآرثر إلى المسدس بتعاسة.

تحرك الرجل صاحب المسدس من الباب والتف حولهما، مع اقترابه من الضوء تمكنا من رؤية زيّه الذهبي والأسود حيث توّضعت أزرار ملمّعة بشكل كبير سمح لها بأن تشعّ بقوة قد تزعج أي درّاج وتحثّه على أن يومض بأضواء دراجته.

أشار إلى الباب وقال: «إلى الخارج». فالناس الذين يمكن أن يؤمّنوا هذا الكم من القوة النارية لا يحتاجون إلى تأمين كلام أيضاً.

خرج فوراً وآثر متبوعين عن قرب من قبل الطرف المضطرب عقلياً
من مسدس كيل-و-زاب والأزرار، ومع دخولهم الرواق اصطدما بأربعة
وعشرين من المشاة المقترين، الذين كانوا قد بدّلوا ملابسهم واستحمّوا،
فمضوا في طريقهم إلى المدفن، واستدار آرثر ليراقبهم بارتباك.

صاح أسرهما: «تحرك!»

تحرك آرثر. هز فوراً كتفيه وتحرك.

دخل المشاة في المدفن باتجاه أربعة وعشرين تابوتاً حجرياً فارغاً على
طول الحائط الجانبي، فتحوها، صعدوا إليها، وغطّوا في أربع وعشرين حالة
نوم من دون أحلام.

الفصل الثالث والعشرون

- «إي، أيها القبطان»...

- «نعم يا رقم واحد؟»

- «سمعت للتو تقريراً أو ما شابه من رقم اثنين».

- «يا للهول».

عالياً في منصة السفينة حدّق القبطان إلى الخارج في الفضاء الشاسع وهو غاضب نوعاً ما، تمكن حيث اتكأ تحت فقاعة مقببة من مشاهدة منظر شامل ومتسع لنجوم فوقهم وأمامهم كانوا يتحركون خلالها، وتضاءل هذا المنظر الشامل بشكل ملحوظ خلال مسار الرحلة. تمكن باستدارته ونظره إلى الخلف عبر جسم السفينة الممتد لميلين من رؤية كتلة أكثر كثافة من النجوم خلفهم بدت أنها تشكّل عصابة متماسكة. هكذا كان المشهد عبر المركز المجريّ الذي كانوا يسافرون منه، وبالطبع يسافرون منذ سنوات، بسرعة لم يتمكن من تذكرها على التحديد في هذه اللحظة، لكنه علّم أنها سريعة على نحو رهيب. لقد كانت شيئاً يقترب من سرعة شيء أو آخر، أو أنها كانت أسرع من شيء آخر ثلاث مرات؟ في كل حال، كانت رائعة إلى حد بعيد. حدّق الأفق الساطع خلف السفينة وهو يبحث عن شيء ما، كان يفعل ذلك كل دقائق عدة تقريباً، لكنه لم يجد ما يبحث عنه قط، ومع ذلك لم

يدع الأمر يقلقه. لقد أصرّ العلماء على أن كل شيء سيكون بخير إن لم يخف أحد وقام الجميع بما عليهم القيام به بشكل منتظم. هو لم يكن يخاف، فعلى حد علمه كل شيء كان يتم على نحو رائع. ربت على كتفه بإسفنجة كبيرة مزبدة، وعاد إلى تفكيره أنه كان غاضباً نوعاً ما حيال أمر ما، لكن ما هو؟ نبهته سعلة خفيفة إلى أن ضابط السفينة الأول كان لا يزال يقف إلى جواره.

إن رقم واحد شاب لطيف، ليس من الأذكىاء جداً، لديه صعوبة غريبة في عقد رباط حذائه، لكنّ خامته جيدة إلى حد بعيد. لم يكن القبطان ليركل شاباً عندما ينحني محاولاً عقد رباط حذائه حتى ولو كان ذلك لفترة طويلة. ليس مثل رقم اثنين المروّع ذاك الذي يتبختر في أرجاء المكان، يلّمع أزراره ويصدر تقارير كل ساعة: «إن السفينة لا تزال تتحرك أيها القبطان». «لا تزال في مسارها أيها القبطان». «مستويات الأكسجين لا تزال تُتابع أيها القبطان». «دعك من ذلك»، هذا ما تمناه القبطان. آه، نعم، ذلك ما كان يغضبه، حدّق رقم واحد.

- «نعم أيها القبطان، كان يصيح بشيء ما حول إيجاد بعض الأسرى...»
فكّر القبطان في الأمر الذي بدا له مستبعداً، لكنه لم يكن ليقف في طريق ضباطه.

قال: «حسناً، لربما أبقاه ذلك سعيداً بعض الوقت، لطالما أراد بعضهم». خطا فورد بريفيكت وآرثر دينت صعوداً في أروقة السفينة التي بدت أنها لا تنتهي، سار رقم اثنان وراءهما وهو يصيح بأوامره المعتادة حول ألا يقوموا بأي حركات خطأ ولا يجربا أي أمور خادعة. بدا أنهما عبرا ميلاً على

أقل تقدير من القماش الجداري البنيّ القوي والخشن، وفي النهاية وصلنا إلى باب معدني كبير انفتح عندما صاح به رقم اثنان.

بالنظر إلى أعين فورد بريفيكت وآرثر دينت، لم تكن القبة نصف الكروية، بقطرها البالغ خمسين قدماً، التي غطت منصة ربّان السفينة حيث أشعّ عليهما من خلالها منظر النجوم المتألّقة، أروع ما في المنصة؛ فعجائب كهذه لدى أناس تناولوا الطعام في المطعم في نهاية الكون كانت مألوفة. ولم يكن الحائط الدائري الذي ازدحم بصنوف آلات مذهلة من حولهما، لدى آرثر، فهذا بالضبط ما ينبغي للسفن الفضائية أن تبدو عليه، ولدى فورد بدا عتيقاً بشكل كامل ما أكّد شكوكه حول أن سفينة حيل ديزاستر إريا قد أعادتها مليون، إن لم يكن مليوني، سنة قبل وقتها.

لا، إن الشيء الذي أربكهما هو المغطس الذي انتصب على قاعدة بلورية زرقاء خشنة بارتفاع ست أقدام، مشوّهاً من كثرة الزخرفة بحيث إنه لم يكن ليُرى كثيراً خارج متحف ماكسيمغالون للتخيلات المريضة. خليط من أنابيب المياه بشكل معويّ تمّ تزيينها برقاقات ذهبية عوضاً عن دفنها بلطف في منتصف الليل في قبر غير معروف، كان يمكن للمحققات الصنابير والمرشّات أن ترعد فرائص التماثيل.

اقترب رقم اثنان من المغطس بسيماء الرجل الممتعض الذي يعرف أن من الخطأ وجود مغطس كهذا كقطعة أساسية ثابتة في منصة ربّان السفينة. صاح عبر أسنان مطبقة: «سيدي القبطان!» وهي خاصيّة صعبة لكنه تمكن من إنجازها في غضون سنوات.

ظهر وجه لطيف كبير وذراع لطيفة مغطاة بالرغوة فوق حافة المغطس العملاق.

قال القبطان ملوحاً بإسفنجة مرحة: «آه، مرحباً يا رقم اثنين، هل تمضي يوماً لطيفاً؟»

ازداد انتباه رقم اثنين فجأة أكثر مما كان عليه وصاح: «أتيتك بالأسيرين اللذين وجدتهما في عنبر التجميد السابع يا سيدي!»
سعل كل من آرثر وفورد بارتباك وقالوا: «إي... مرحباً».

ابتسم لهما القبطان، حقاً لقد وجد رقم اثنان بعض الأسرى، حسناً، أحسنَ صنعاً، فكّر القبطان، من اللطيف رؤية شاب يفعل ما يجيده.

قال لهما: «أوه، مرحباً، اعدراني عن عدم القيام من استحمامي السريع. حسناً سنوزّع (جينان تونيكس) على الجميع إذًا، ألق نظرة في الثلاجة يا رقم واحد».

«طبعاً يا سيدي».

من الحقائق الغريبة التي لا يعرف أحد مدى أهميتها هي أنه قرابة الـ ٨٥% من كل الكواكب المعروفة في المجرة، سواء أكانت بدائية أم متقدمة جداً، اخترعت شراباً أسمته (جينان تونيكس)، أو (جبي-نن-تن-إكس) أو (جينوند-أو-نيكس) أو أيّاً من ألف أو أكثر من الأشكال المختلفة للموضوع اللفظي نفسه. المشروبات نفسها ليست متشابهة وتختلف ما بين (تشينانتو/نيغز السيثولثي)، الذي هو ماء عادي يقدّم فوق درجة حرارة الغرفة بقليل، و(تجين-أنتوني-كيس الغاغراكاني)، الذي يقتل أبقاراً على

بعد مئة خطوة؛ وفي الواقع فإن العامل المشترك بين كل هذه المشروبات، غير أن أسماءها تتشابه باللفظ، هو أنه جرى اختراعها وتسميتها قبل أن تتصل كواكبها بكواكب أخرى.

كيف يمكن الاستفادة من هذه الحقيقة؟ إنها معزولة على نحو كامل، وفيما خص أيّ نظرية من نظريات علم اللغة البنيوي فهي غير مهمة، ومع ذلك فهي تدوم. يغضب علماء اللغة البنيوية العجزة بشدة من علماء اللغة البنيوية الشبان عندما يتابعون العمل بهذه الحقيقة. فهي تثير اهتمام علماء اللغة البنيوية الشبان بشدة فيسهرون الليالي مقتنعين بأنهم يقتربون من شيء عميق الأهمية، وينتهي بهم المطاف علماء لغة بنيوية عجزة قبل أوانهم، غاضبين بشدة من العلماء الشبان. إن علم اللغة البنيوي هو اختصاص مجزأ بقسوة وتعس، حيث يمضي عدد كبير من ممارسيه الكثير من الليالي وهم يتخلصون من مشكلاتهم في (أويسغيان زودان).

وقف رقم اثنان أمام مغطس القبطان وهو يرتجف من الغضب وصرخ: «ألا تريد أن تستجوب الأسيرين يا سيدي؟»

حدّق إليه القبطان باستغراب وسأله: «لم عليّ أن أفعل ذلك بحق غولغافرينشام؟»

- «للحصول على المعلومات منها يا سيدي! لنعرف لم أتيا إلى هنا!»

قال القبطان: «أوه، لا، لا، لا، لا، أظن أنها أتيا إلى هنا من أجل كأس من الجينان تونيكس، أليس كذلك؟»

- «لكن يا سيدي، إنها أسيراي! عليّ استجوابها!»

نظر القبطان إليهما بتردد وقال: «آه، حسناً، إن كنت تريد ذلك. اسألها ماذا يريدان أن يشربا».

عبرت عيني رقم اثنين ومضة باردة وقاسية، وتقدم ببطء نحو فورد بريفيك و آرثر دينت وهدر قائلاً: «حسناً، أيتها الحثالة، أيتها الحشرات... ولكز فورد بمسدس الكيل -و- زاب.

حثّه القبطان برفق: «اهدأ يا رقم اثنين».

صرخ رقم اثنان: «ماذا تريدان أن تشربا!!!»

قال فورد: «حسناً، يبدو أن الجينان تونيكس يناسبني جداً، ماذا عنك يا آرثر؟»

طرفت عينا آرثر وقال: «ماذا؟ أوه، إي، نعم».

خار رقم اثنان قائلاً: «مع أو من دون ثلج؟»

قال فورد: «أوه، مع، من فضلك».

- «ليمون؟؟!» -

قال فورد: «نعم من فضلك، وهل لديكم أي من قطع البسكويت تلك؟ أتعرفها، بطعم الجبنة؟»

صرخ رقم اثنان: «أنا من يسأل الأسئلة!!!!» كان جسده يهتز بغضب عارم.

قال القبطان برقة: «إي، يا رقم اثنين...»

- «سيدي؟!» -

- «هل لك أن تنصرف أيها الشاب الطيب، أحاول أن أنعم بمغطس للاسترخاء».

تضيقت عينا رقم اثنين وأصبحنا ما يُعرف في مهنة الصراخ في الناس وقتلهم بالشقوق الباردة، يفترض من الفكرة أن تعطي خصمك انطباعاً بأنك فقدت نظارتك أو أنك تواجه صعوبة في البقاء مستيقظاً. حتى الآن لم يُعرف لم يُعد ذلك مخيفاً.

تقدم رقم اثنان نحو القبطان وشفته مطبقتان في شكل خط نحيل، مجدداً من الصعب معرفة لم فهم هذا بأنه سلوك قتالي. فلو أنك صادفت، وأنت تتجول عبر أدغال ترال، الوحش الفوضوي والضاري الخرافي، فستكون ممتناً لو رأيت شفثيه مطبقتين في شكل خط نحيل بدلاً من أن تكونا في شكل فجوة مملوءة باللعب والأنياب كما هي العادة.

هسهس رقم اثنان في وجه القبطان قائلاً: «هل لي أن أذكرك يا سيدي بأنك تستحم في ذلك المغطس منذ ما يزيد عن ثلاث سنوات؟!» قال ما قاله واستدار على عقبه ومضى شامخاً إلى زاوية ليمارس حركات العين السريعة في المرأة.

ارتبك القبطان في مغطسه وابتسم لفورد ابتسامة ضعيفة وقال: «حسناً، تحتاج لأن تسترخي كثيراً في عمل مثل عملي».

أرخی فورد يديه ببطء فلم يثر أي رد فعل، خفض آرثر يديه أيضاً. تحرك فورد بهدوء وحذر شديدتين إلى منصة المغطس وربت عليها كاذباً: «لطيف».

تساءل إن كان من الآمن أن يبتسم، وابتسم بهدوء وحذر شديدتين،
فكان ذلك آمناً.

قال للقبطان: «إي...»

قال القبطان: «نعم؟»

قال فورد: «كنت أتساءل، هل يمكنني فعلاً معرفة ما هو عملك
في الواقع؟»

نقرته يد على كتفه، فاستدار. كانت يد الضابط الأول.

قال: «شرايك».

قال فورد: «آه، شكراً لك»، وأخذ هو وآرثر الجينان تونيكس
خاصتهما، ارتشف منه آرثر ففوجئ باكتشافه أن طعمه يشبه الويسكي مع
المياه الغازية.

قال فورد وهو يرتشف أيضاً: «أقصد أنني لم أتمكن من تجاهل الجثث
في العنبر».

قال القبطان وقد فوجئ: «جثث؟»

توقف فورد وفكر لنفسه، لا تفترض صحة أي شيء، هل من الممكن
ألا يكون القبطان على علم بالخمسة عشر مليون جثة هامة على سفينته؟

كان القبطان يومئذ إليه مرحاً برأسه، بدا أيضاً أنه يلعب ببطة مطاطية.

نظر فورد من حوله، كان رقم اثنان يحدق إليه في المرآة لكن لوهلة
فقط، فلقد كانت عيناه تتحركان باستمرار، أما الضابط الأول فكان يقف
حاملاً صينية الشراب ويبتسم بلطف.

قال القبطان مجدداً: «جثث؟»

لعلق فورد شفثيه وقال: «نعم، كل أولئك المحاسبين الإداريين وعمّال الهاتف، كما تعلم، تحت في العنبر».

حدّق القبطان إليه، وفجأة أرجع رأسه إلى الخلف ضاحكاً وقال: «أوه، إنهم ليسوا أمواتاً، يا إلهي، لا، لا، إنهم مجمدون، وسيعاد إنعاشهم».

فعل فورد شيئاً يندر جداً أن يفعله، طرف عينيه.

بدا آرثر أنه خرج من غشية فقال: «هل تقصد أن لديك عنبراً ممتلئاً بمصنفي الشعر المتجمدين؟»

قال القبطان: «أوه، نعم، بالملايين منهم، مصنفي شعر، منتجين تلفزيونيين مبتدلين، عملاء تأمينات، موظفين، حراس أمنيين، مديري علاقات عامة، مستشارين إداريين، والكثير، سنستعمر كوكباً آخر».

ارتعش فورد قليلاً.

قال القبطان: «أمر مثير، أليس كذلك؟»

قال آرثر: «ماذا، بهذا الكم؟»

قال القبطان: «لا تسيء فهمي، نحن مجرد سفينة من أسطول سفن، نحن السفينة 'ب' كما ترى، أستمحك عذراً، هل يمكنني أن أطلب إليك أن تزيد لي من الماء الساخن؟»

تفضل آرثر عليه واندفع شلال صغير من الماء الزهري المزبد ملتفماً في المغطس.

أطلق القبطان تنهيدة سرور.

-«شكراً جزيلاً لك يا رفيقي العزيز. تفضلاً إلى المزيد من الشراب».

وضع فورد شرابه وأخذ الزجاجاة من صينية الضابط الأول وأعاد
ملء كأسه إلى آخرها ثم قال: «ما هي السفينة 'ب'؟»

قال القبطان: «هذه»، وحفّ الماء المزبد من حوله بابتهاج
بوساطة البطة.

قال فورد: «نعم، لكن...»

قال القبطان: «حسناً، ما حدث كما تعلم هو أن كوكبنا، الكوكب
الذي جئنا منه، هلك، إن صح التعبير».

-«هلك؟»-

-«آه نعم، لذا ما فكّر فيه الجميع هو، لنجمع كل السكان في سفن
فضاء عملاقة ونذهب لنستقرّ على كوكب آخر».

اتّكأ إلى الخلف برضا بعد أن أخبر هذا الكمّ من قصته.

حثّه آرثر قائلاً: «أتقصد كوكباً أقلّ هلاكاً؟»

- «ما الذي قلته يا رفيقي العزيز؟»

- «كوكباً أقلّ هلاكاً، كنتم ستستقرون عليه».

- «سنستقرّ عليه، نعم. لذا تقرر بناء ثلاث سفن كما ترى، ثلاث سفن في
الفضاء، و... أنا لا أضجر كما أليس كذلك؟»

قال فورد بثبات: «لا، لا، إنها قصة أسرة».

استطرد القبطان قائلاً: «أتعلم، من المبهج أن يكون لديك شخص آخر لتتكلم معه في سبيل التغيير».

تحركت عينا رقم اثنين على نحو محموم في الغرفة مجدداً ثم استقرت على المرأة، كزوج من الذباب تم تشتيت انتباهه لهنيهة عن غنيمته المفضلة من اللحم الفاسد.

تابع القبطان: «تكمن المشكلة في رحلات طويلة كهذه أنه ينتهي بك المطاف تتحدث إلى نفسك كثيراً، وذلك يصبح مملاً على نحو فظيع لأنك في نصف الوقت تعرف ما ستقوله لاحقاً».

سأل آرثر بدهشة: «فقط نصف الوقت؟»

فكر القبطان لوهلة: «نعم، أقول تقريباً نصفه، في أي حال، أين الصابون» بحث عنه ووجده.

تابع قائلاً: «نعم، في أي حال، كانت الفكرة أن يدخل السفينة الأولى 'أ' كل القادة اللامعين، العلماء، الفنانون العظماء، كما تعلمان، كل الناجحين، ويدخل السفينة الثالثة 'ج' كل الناس الذين قاموا بالأعمال الحقيقية، الذين عملوا أشياء وصنعوا أشياء، ومن ثم يدخل السفينة 'ب' - وهم نحن - كل من تبقى، الوسطاء كما ترى».

ابتسم لهما بسعادة وختم: «وتم إرسالنا أولاً،» وترنم بلحن استحمام صغير. قام لحن الاستحمام الصغير، الذي ألفه له أحد أكثر كتاب القوافي إثارة وإنتاجاً في كوكبه (حيث كان هذا الكاتب ينام حالياً في العنبر ستة وثلاثين على بعد تسعمئة ياردة خلفهم)، بالتغطية على ما يمكن بطريقة أو

بأخرى أن يكون لحظة صمت مربكة. حرك فوررد وآرثر قدميهما وتجنبنا النظر إلى بعضهما بشدة.

قال آرثر بعد وهلة: «إي...، ما الذي أفسد كوكبكم بالضبط إذا؟»

قال القبطان: «لقد هلك كما قلتُ، يبدو أنه كان سيصطدم بالشمس أو ما شابه، أو أن القمر كان سيصطدم بنا، شيء من هذا القبيل، مهما كان فهو مشهد مرّوع من دون شك».

قال الضابط الأول فجأة: «أوه، اعتقدت أن الكوكب سيغزوه سرب هائل من نحل 'بيراهننا' الذي طوله اثنتا عشرة قدماً، ألم يكن كذلك؟»
استدار رقم اثنان، عيناه متقدتان بضوء بارد وقاس لا يأتي إلا بكمّ من التدريب كان هو مستعداً له.

هسهس قائلاً: «ليس هذا ما أُخبرتُ به، لقد أخبرني قائدي المباشر أن الكوكب كان قريباً من خطر أن تلتهمه معزاة نجمية عملاقة متحولة!»
قال فوررد بريفيكت: «آه، حقاً»...

- «نعم! مخلوق مفترس من جهنم بأسنان كالمناجل، طولها عشرة آلاف ميل، ونفسٍ يمكن أن يغلي المحيطات، مخالب يمكن أن تمزق قارات من جذورها، وألف عين متقدة كالشمس، وفكين يغطيها اللعاب بعرض مليون ميل، وحش لم يتسنّ لك أبداً، أبداً... أبداً»...

استفسر آرثر: «ولقد ضمنوا أن يرسلوكم أنتم أولاً أليس كذلك؟»

قال القبطان: «أوه، أجل، الجميع قال بلطف، كما أعتقد، إن من المهم جداً للمعنويات أن يشعروا بأنهم يصلون إلى كوكب حيث يمكنهم بكل ثقة الحصول على قصّة شعر جميلة وحيث تكون الهواتف نظيفة».

واقفه فورد قائلاً: «آه، نعم، أفهم أن ذلك مهم جداً، والسفيتتان الأخريان، إي... لقد لحقتا بكم أليس كذلك؟»

لوهلة لم يجب القبطان، استدار في مغطسه وحدّق خلفه عبر جسم السفينة الهائل نحو المركز المجري الساطع. نظر شزراً في المسافة الهائلة.

قال وقد عبس قليلاً بوجه فورد بريفيكت: «آه، حسناً، إنه أمر غريب كما تقول، لأننا ويا للغرابة، لم نسمع منها أي شيء منذ أن غادرنا منذ خمس سنوات... إنما لا بد أنهما خلفنا في مكان ما».

حدّق إلى الأفق من جديد.

حدّق فورد معه وعبس متفكراً، وقال بهدوء: «إلا إذا التهمتھا المعزاة بالطبع»...

قال القبطان: «آه، نعم... وانسلت حيرة طفيفة إلى صوته، «المعزاة»... عبرت عيناه الأشكال الصلبة للمعدات والحواسيب التي اصطفّت على المنصة وأومضت له ببراءة. حدّق إلى النجوم، لكن أحداً منهم لم يقل شيئاً. نظر إلى ضابطيه الأول والثاني، لكن بدا عليهما أنها مأخوذان بأفكارهما الخاصة لوهلة. نظر إلى فورد الذي رفع حاجبه له. قال في النهاية: «إنه أمر غريب كما تعلم، لكن الآن أرى أنه علي إخبار القصة إلى أحد آخر... أقصد، ألا تصدمك غرابة الموقف يا رقم اثنين؟»

قال رقم اثنين: «إي»...

قال فورد: «حسناً، أرى أن لديك الكثير من الأشياء لتتحدث عنها، لذا شكراً لك لأجل الشراب، ولو تفضل بإنزالنا عند أقرب كوكب ملائم»...

قال القبطان: «آه، حسناً، هذا صعب بعض الشيء، كما ترى، لأن مسارنا تم تعيينه قبل أن نغادر غولغافرينشام، لأنني لست جيداً بالأرقام على ما أظن...»

هتف فورد وقد نفذ صبره من كل هذه التمثيلية: «أتقصد أننا عالقون هنا على هذه السفينة؟ متى عليك أن تصل إلى هذا الكوكب الذي يتوجب أن تستوطنه؟»

قال القبطان: «أوه، اقتربنا منه على ما أعتقد، سنصل في أي لحظة الآن. في الواقع، لقد حان موعد خروجي من هذا المغطس في الأغلب. أوه، ومع ذلك لا أعرف، لم أتوقف عندما أبدأ بالاستمتاع به؟»

- «إذا سنهبط في غضون دقيقة حقاً؟»

- «حسناً، لن نهبط في الواقع، ليس هبوطاً حقيقياً مثل، لا... إي...»

قال فورد بحدة: «ما الذي تتحدث عنه؟»

قال القبطان وهو ينتقي كلماته بحذر: «حسناً، حسبما أذكر فلقد تمت برجة الرحلة لنصطدم بالكوكب.»

صاح فورد وآرثر: «تصطدم؟»

قال القبطان: «إي، نعم، نعم، إنها جزء من الخطة، كما أعتقد، إن هنالك سبباً وجيهاً جداً لها، ولا يمكنني تذكره الآن، كان أمراً يتعلق ب... إي...»

انفجر فورد صائحاً: «أنتم حمولة من المعتوهين الملاحين لا فائدة منها.»

أشرق القبطان قائلاً: «آه، نعم، ذلك هو السبب.»

الفصل الرابع والعشرون

يقول دليل المسافر إلى المجرة ما يلي عن كوكب غولغافرينشام: إنه كوكب بهاض قديم وغامض، غنيّ بالأساطير، أحمر، أخضر أحياناً من دماء أولئك الذين طلبوا غزوه في الزمان الغابر، هو أرض بمنظر قاحلة وجافة، هواؤها حلو وحر، مسكر بروائح الينابيع المعطرة التي تداعب صخوره المغبرة والحارّة لتغذي ما تحت هذه الصخور من أشنيات داكنة وعفنة. إنه أرض بحواجب عيون محمومة وتخيلات مسمومة، بالتحديد بين أولئك الذين يتذوقون الأشنيات، إنه أيضاً أرض بأفكار لطيفة ومحتشمة بين أولئك الذين تعلموا أن ينكروا الأشنيات ويجدوا شجرة يجلسون تحتها. أرض فولاذ ودم وبطولة، أرض جسد وروح، هذا هو تاريخه.

كان أكثر ما في هذا الكوكب، وتاريخه القديم والغامض، غموضاً هم بلا ريب شعراء 'آريون' الدورانيون العظماء. اعتاد هؤلاء الشعراء الدورانيون على العيش في ممرات جبال بعيدة حيث كانوا يستلقون بانتظار جماعات صغيرة من المسافرين الطائشين، فيدورون حولهم، ويرمونهم بالحجارة.

وحينما يصيح المسافرون قائلين: لم لا يذهبون بعيداً ويكتبون بعض القصائد بدلاً من مضايقة الناس برمي الحجارة، كانوا يتوقفون فجأة ويبدوون بوحدة من حلقات أغاني 'الفاسيليان' السبعمئة وأربع وتسعين

العظيمة. كانت جميع هذه الأغاني ذات جمال استثنائي، وطول أكثر استثنائية، وتتبع كلها النمط نفسه.

يخبر المقطع الأول من كل أغنية كيف أنه ذهبت في ذات مرة من مدينة فاسيليان ثلة من خمسة أمراء حكماء مع أربعة أحصنة. يسافر الأمراء، الذين كانوا بالطبع شجعاناً، نبلاءً وحكماء، في طول الأراضي البعيدة وعرضها، يقاتلون غيلاناً عملاقة، ويطلبون فلسفات غريبة، ويحتسون الشاي مع آلهة مختلن، وينقذون وحوشاً جميلة من أميرات ضاريات قبل أن يعلنوا في النهاية أنهم اكتسبوا التنوير المعرفي، وبذلك تكون رحلاتهم قد أُنجزت.

يُحكي بعدئذ القسم الثاني، والأطول بكثير، من الأغنية عن تخصصهم حول من منهم سيضطر إلى العودة سيراً على الأقدام. كل هذا موجود في تاريخ الكوكب البعيد.

إنها من اخترع القصص الزائفة عن الهلاك الوشيك كان واحداً من سلالة هؤلاء الشعراء غريبي الأطوار، ما ساعد سكان غولغافرينشام في تخليص أنفسهم من ثلث كامل عديم النفع منهم. أما الثلثان الآخران فبقيا في أرضهم بثبات، وعاشوا حيوات كاملة، غنية، وسعيدة حتى اكتسحهم بغتة مرض خبيث التقطوه من هاتف متسخ.

الفصل الخامس والعشرون

في تلك الليلة هبطت السفينة متحطمة على سطح كوكب صغير أزرق وأخضر غير مهم على الإطلاق، كان يدور حول شمس صفراء صغيرة تافهة في المكان الضارب في التخلف والمهمش من النّهاية الغربية غير المأهولة من ذراع المجرة.

في الساعات التي سبقت التحطم كان فورد قد حارب بضراوة، لكن من دون جدوى، كي يحرر متحكّمات السفينة من مسار رحلتها مسبق التحديد. اتضح له بسرعة أنه تم برمجة السفينة لتنقل حمولتها بسلام، بغض النظر عن الراحة، إلى وطنها الجديد، وكي تقوم السفينة أيضاً بشلّ نفسها بعد العملية على نحو يستحيل إصلاحه.

ضجيج هبوط السفينة المحترقة عبر الغلاف الجوي جرّدها من معظم بنيتها الفوقية وتدريبها الخارجي، وترك هبوطها النهائي المخزي على جبهتها في مستنقع ضبابي لطاقمها بضع ساعات من الظلمة لينعشوا ويفرّغوا حمولتها غير المرغوبة لأن السفينة بدأت بالغوص على الفور وببطء، حيث كان جسمها العملاق رأساً على عقب في الطين الراكد. رُسم ظلها بثبات على السماء مرة أو مرتين في أثناء الليل مع لمعان الشهب المشتعلة - حطام هبوطها - عبر السماء.

أطلقت في ضوء ما قبل الفجر الرمادي قرقرة هادرة وقذرة وغرقت
إلى الأبد في الأعماق التتنة.

لما أشرقت الشمس في ذلك الصباح، أسدلت أشعة ضوءها الرقيق
فوق منطقة واسعة تعجّ بمصنفي الشعر المتحيين، ومسؤولي علاقات
عامة، ومستفتي آراء والبقية منهم، كلهم يكافحون بيأس للوصول إلى
الأرض الجافة.

كانت شمس أضعف عقلاً من هذه لتعود على الأغلب مباشرة من
حيث أتت، لكن هذه الشمس استمرت بصعود طريقها عبر السماء، وبعد
هنيهة بدأ يظهر تأثير أشعتها المدفئة المرمم في المخلوقات المكافحة بضعف.

من غير المفاجئ أن يُفقد عدد غير محدود في المستنقع ليلاً، والملايين
أيضاً تم ابتلاعهم مع السفينة، لكن الناجين كانوا لا يزالون مئات من
الآلاف، ومع انقضاء النهار كانوا قد زحفوا خارجاً إلى الريف المحيط،
حيث راح كل منهم يبحث عن قدم مربعة من الأرض الصلبة لينهار عليها
ويستعيد رباطة جأشه من محنة كابوسهم.

جسمان تحركا بعيداً في الحقل، من هضبة قريبة شاهد فورد بريفيكت
وآرثر دينت الرعب الذي لم يشعرا أنهما جزء منه.

تمتم آرثر: «ما حصل هو حيلة قذرة».

كشط فورد عصا على طول الأرض وهز كتفيه قائلاً: «أعتقد أنه حل
خيالي لمشكلة».

قال آرثر: «لم لا يتمكن الناس من تعلم العيش معاً بسلام وانسجام؟»

ضحك فورد بصوت مرتفع، وكانت ضحكته عميقة جداً، وقال
بابتسامة ماكرة: «اثنان وأربعون! لا، لا يجدي نفعاً، لا تهتم».

نظر إليه آرثر كأنه جنّ جنونه، وبعدهم تمكنه من رؤية أي شيء يدل
على العكس، أدرك آرثر أن من المنطقي جداً افتراض أن ذلك حدث
بالفعل.

قال بعد فترة: «ماذا تظن سيحدث لهم جميعاً؟»

قال فورد: «في فضاء لا محدود قد يحدث أي شيء، حتى النجاة.
غريب لكن صحيح».

عبرت عينيه نظرة غريبة مع مرورهما على المنظر الطبيعي ثم استقرتا
على مشهد البؤس تحتها.

قال: «أظنهم سينجون لبعض الوقت».

نظر آرثر إلى الأعلى بحدة وقال: «لم تقول ذلك؟»

هز فورد كتفيه وقال: «مجرد إحساس»، رافضاً الانجرار إلى أي
أسئلة أخرى.

قال فجأة: «انظر».

تتبع آرثر إصبع فورد المشيرة، كان هنالك جسم يتحرك، أو بوجه أدق
يطوف خلسة، بين الجموع المنتشرة في الأسفل. بدا أنه يحمل شيئاً ما على
كتفه، مع تحركه من وضعية منهكة إلى وضعية منهكة بدا أنه يشير بالشيء
الذي معه إليها كأنه مخمور. بعد هنيهة تخلّى عن الكفاح وانهار متكوّماً.

لم يكن لدى آرثر أدنى فكرة عما يجب أن يعنيه هذا الأمر له.

قال فورد: «كاميرا أفلام، تسجل الحركة التاريخية». ثم قال مجدداً بعد لحظة: «حسناً، لا علم لدي فيما ستفعله لكنني ذاهب». وجلس لوهلة بصمت.

بعد لحظة بدا أن الأمر محتاج إلى تعليق.

قال آرثر: «إي، ما الذي قصدته تحديداً عندما قلت إنك ذاهب؟»

قال فورد: «سؤال جيد، ينتابني صمت تام».

عندما نظر آرثر فوق كتفه رأى فورد يعبث بمقابض على صندوق صغير، كان فورد قد عرف عن هذا الصندوق بأنه سب-إيثا سينس-و-ماتيك، لكن آرثر بعناء هز رأسه غيائياً ولم يتابع المسألة. في عقله لا يزال الكون منقسماً إلى قسمين: الأرض، وكل شيء آخر.

وقد عنى تدمير الأرض لإفساح الطريق لمعبر فضاء فوقي جديد أن هذه النظرة إلى الأشياء اختل توازنها قليلاً، لكن آرثر كان ميالاً إلى التعلق بهذا الاختلال كونه الاتصال الوحيد المتبقي له مع موطنه.

كانت السب-إيثا سينس-و-ماتيك تتبع بقوة لتصنيف «كل شيء آخر».

قال فورد وهو يهز الشيء: «ليس قطعة نقانق».

فكر آرثر لنفسه وهو يحدّق بكسل إلى الكوكب البدائي من حوله ، نقانق، ما الثمن الذي سأدفعه لقاء نقانق أرضية جيدة.

قال فورد بسخط: «هل تصدق أنه لا يوجد إرسالات من أي نوع على

بعد سنوات ضوئية من هذا القضيبي الجاهل؟ هل تستمع إلي؟»

قال آرثر: «ماذا؟»

قال فورد: «نحن في ورطة».

قال آرثر: «أوه»، بدت له هذه كأخبار عمرها شهر.

قال فورد: «فرصنا بالخروج من هذا الكوكب معدومة حتى نلتقط شيئاً ما على هذه الآلة، لربما يكون تأثير موجة غريباً ومستداماً في حقل الكوكب المغناطيسي، وفي هذه الحالة علينا أن نساغر في الأرجاء حتى نجد منطقة استقبال صافية، هل أنت آت؟»

التقط فورد عدته وخطا.

نظر آرثر إلى أسفل الهضبة، كان الرجل صاحب كاميرا الأفلام قد كافح ليقف على قدميه مجدداً في الوقت المناسب ليصور انهبأر أحد زملائه.
التقط آرثر ورقة نبات وخطا خلف فورد.

الفصل السادس والعشرون

قال زارنيوب لزيفود وتريليان: «أظن أنكما تناولتما وجبة طيبة؟»
بينما هما يعاودان التشكل لاهثين على أرض منصة ربان سفينة الفضاء
قلب الذهب.

فتح زيفود بعض أعينه وحملق به صائحاً: «أنت،» ترنح على ساقيه
ومشى بغضب باحثاً عن كرسي يسترخي عليه. فوجد واحداً
واسترخى عليه.

قال زارنيوب: «لقد برمجت الحاسوب بإحداثيات لاحتمالية وثيقة
الصلة برحلتنا، وسنصل إلى هناك في وقت قصير جداً. لم لا تسترخي
وتستعد للاجتماع في هذه الأثناء؟»

لم يقل زيفود شيئاً، بل وقف مجدداً ومشى إلى خزانة صغيرة سحب
منها زجاجة من شراب جانكس الروحي العتيق. اجترع منها جرعة طويلة
وقال بوحشية: «وحينما ينتهي كل هذا، يكون قد انتهى، موافق؟ أنا حر
للذهاب وفعل ما أحب أن أفعله بحق الجحيم والاستلقاء على الشواطئ
وما شابه؟»

قال زارنيوب: «إن الأمر منوط بما يخلص إليه الاجتماع.»

قالت تريليان بارتعاش وهي تتمايل على قدميها: «يا زيفود، من هذا الرجل؟ ما الذي يفعله هنا؟ لم هو على متن سفيتتنا؟».

قال زيفود: «إنه رجل غبي للغاية، يريد أن يلتقي بالرجل الذي يحكم الكون».

قالت تريليان وهي تأخذ الزجاجاة من زيفود لتشرب: «آه، من الطفيليات الاجتماعية».

الفصل السابع والعشرون

المشكلة الرئيسة، واحدة من المشكلات الرئيسة - لأن هنالك مشكلات عدة - واحدة من المشكلات الرئيسة العديدة فيما يخص حُكم الناس هي هوية من تجعله يقوم بالأمر، أو بالأحرى الشخص الذي يتمكن من جعل الناس يدعونه يحكمهم.

للاختصار، نقول: من المعروف أن الناس الذين يريدون بشدة حكم الناس هم، حسب العرف، الأقل ملائمة للقيام بالأمر. للاختصار الاختصار نقول: يجب ألا يُسَمَّح لأي أحد يتمكن من جعل نفسه رئيساً أن يقوم بعمله. للاختصار اختصار الاختصار نقول: إنَّ الناس مشكلة.

وبذلك، هذا هو الوضع الذي نجده: سلسلة من الرؤساء المجريين الذين يستمتعون كثيراً بالمزاح والتملق كونهم في السلطة بحيث إنهم نادراً ما يلاحظون أنهم ليسوا كذلك.

وفي مكان ما في الظلال خلفهم، من؟

من يمكنه الحكم إن لم يكن يُسمح بذلك لأي أحد يريد ذلك؟

الفصل الثامن والعشرون

كانت تمطر على كوكب منغزل في منتصف اللامكان تحديداً. نقول اللامكان لأنه لا يمكن إيجاده إطلاقاً، حيث إنه محمي بحقل واسع من الاحتمالية لا يملك مفتاحه سوى ستة رجال في هذه المجرة.

كانت تمطر بغزارة لساعات، ضرب المطر سطح مياه البحر فأغشاه، قرع الأغصان بعنف، وحرك وأراق أرضاً رديئة بالقرب من البحر فحوّنها إلى مغطس من الوحل.

رجم المطر ورقص فوق السطح الحديدي المتعرج لكوخ صغير يقع في منتصف هذه الأرض الرديئة. طمس الطريق الصغير الوعر الواصل بين الكوخ وشاطئ البحر وبعثر أكوام الصدف الملساء التي تم وضعها هناك.

في الداخل، كان ضجيج صوت المطر على سقف الكوخ مصباً للأذان، لكن ساكن الكوخ لم يلاحظه، بل كان انتباهه منصباً على شيء آخر. كان رجلاً طويلاً متثاقلاً الخطأ، بشعر خشن قشبي اللون مبتلاً من السقف الذي يرشح ماءً، رثّ الملابس، منحني الظهر، وبدت عيناه كأنهما مغمضتان مع أنها كانتا مفتوحتين.

يوجد في كوخه كرسي متهالك، وطاولة قديمة متآكلة، وفراش قديم، وبعض الوسائد وموقد دافئ مع أنه كان صغيراً.

كان هنالك أيضاً هُرَّ عجوز قد سفعه الطقس قليلاً، وهو ما كان محطَّ تركيز انتباه الرجل حالياً. حنى الرجل جسمه المتثاقل فوق الهر وقال: «قط، قط، بس، بس، بس، ألا يريد القط سمكته؟ إنها سمكة لطيفة... ألا يريد لها القط؟»

بدا الهر متردداً في الأمر، والتقط السمكة، التي كان يمسك بها الرجل، بلطف ومن ثم تشتت انتباهه إلى بعض الغبار على الأرض.

قال الرجل وقد ظهر شك في صوته: «القط لا يأكل سمكته، القط ينحف ويذوي على ما أعتقد». وأضاف: «أتصور أن هذا ما سيحدث، لكن كيف عساي أن أعرف؟»

قدّم السمكة مجدداً وقال: «القط يفكر، هل آكل السمكة أو لا أكلها. أظن أن من الأفضل ألا أتدخل». وتنهّد.

«أظن أن السمكة لطيفة، لكن أظن أن المطر رطب، لذا من عساي أكون لأحكم؟» ترك السمكة للهر على الأرض وعاد إلى مقعده.

قال في النهاية: «آه، يبدو أنني أراك تأكلها»، بعد أن كان الهر قد استنفد احتمالات التسلية من ذرات الغبار وانقضّ على السمكة.

قال الرجل: «يعجبني عندما أراك تأكل السمكة، لأنك في مخيلتي ستذوي إن لم تفعل».

التقط الرجل من على الطاولة قصاصة ورق وقلم رصاص قصيراً. أمسك أحدهما بيد والآخر بالأخرى وجرب طرائق مختلفة ليقربهما إلى بعضهما. جرب أن يمسك بالقلم تحت الورقة، ثم فوق الورقة، ثم جانب

الورقة. جرّب لفّ الورقة حول القلم، وجرّب حفّ الطرف الثخين من القلم على الورقة ثم جرب حفّ الطرف المستدق من القلم على الورقة فصنعت إشارة، وكان مبتهجاً بهذا الاكتشاف، كما هي حاله كل يوم. التقط قصاصة ورق أخرى من على الطاولة، كان يوجد عليها كلمات متقاطعة، عاينها باقتضاب وملاً زوجاً من المربعات قبل أن يسأم منها.

جرّب الجلوس على واحدة من يديه وأسره الإحساس بعظام وركه.

قال: «أت السمكة من مكان بعيد، أو هكذا قيل لي، أو هكذا أتخيل أنه قيل لي. حينما يأتي الرجال، أو حينما يأتي الرجال في مخيلتي بسفنهم السوداء الست، فهل يأتون في مخيلتك أيضاً؟ ما الذي تراه أيها القط؟»

نظر إلى الهر الذي بدا منشغلاً بابتلاع السمكة بالسرعة الممكنة أكثر من انشغاله بهذه التأمّلات.

«وحينما أسمع أسئلتهم، فهل تسمع أسئلة؟ ما الذي تعنيه أصواتهم لك؟ لربما تعتقد أنهم يغنون أغنية لك». تأمل الرجل هذه الفرضية ورأى الخلل فيها.

قال: «لربما كانوا يغنون أغنية لك وأنا أظنهم يسألونني أسئلة».

توقف مجدداً، أحياناً كان يتوقف لأيام ليرى كيف يكون الأمر.

قال: «هل تظنّ أنهم أتوا اليوم؟ أظن، هنالك وحل على الأرض، سجائر وويسكي على الطاولة، سمكة على الطبق لك وذكرى لهم في مخيلتي. أعرف أنه دليل يكاد لا يكون حاسماً، لكن كل الدلائل عرضية، وانظر أيضاً إلى ما تركوه لي».

مدّ يده إلى الطاولة وسحب عنها بعض الأشياء.

«كلمات متقاطعة، قواميس، وآلة حاسبة».

لعب بالآلة الحاسبة لساعة، في حين ذهب الهر لينام، واستمر المطر في الخارج ينهمر. في النهاية وضع الآلة الحاسبة جانباً.

قال: «أظن أنني محق في اعتقادي أنهم يسألونني أسئلة، لأنه من غريب السلوك أن يأتوا كل هذه المسافة ليتركوا هذه الأغراض بهدف أن يغنوا أغاني لك. أو هذا ما يبدو لي. من يعلم، من يعلم».

التقط سيجارة عن الطاولة وأشعلها بقبس من الموقد، دخن بعمق واتكأ إلى الخلف. قال في النهاية: «أعتقد أنني رأيت اليوم سفينة أخرى في السماء، سفينة بيضاء كبيرة. لم يسبق لي أن رأيت سفينة بيضاء كبيرة، فقط ست سفن سود، وست سفن خضر، وآخرين يقولون أنهم أتوا من مكان بعيد. إنما لم يسبق أن كانت سفينة بيضاء كبيرة، لربما بدت السفن الست السود كسفينة بيضاء كبيرة في بعض الأوقات. لربما أحب أن أشرب كأساً من الويسكي، نعم، هذا مرجح أكثر».

انتصب واقفاً ووجد كأساً ملقاة على الأرض إلى جانب الفراش. صبّ مقداراً من زجاجة الويسكي خاصته وجلس مجدداً.

قال: «لربما يأتي لرؤيتي أشخاص آخرون».

قبع قلب الذهب على بعد مئة ياردة يضر بها المطر الغزير. انفتح بابها وخرجت ثلاثة أجسام منكمشة على بعضها لتبعد المطر عن وجوهها.

صاحت تريليان ليعلو صوتها فوق ضجيج المطر: «هناك؟»

قال زارنيوب: «نعم».

- «ذلك الكوخ؟»

- «نعم».

قال زيفود: «غريب».

قالت تريليان: «لكنه في منتصف اللامكان، لا بد أننا جئنا إلى المكان الخطأ، فلا يمكنك أن تحكم الكون من كوخ».

أسرعوا عبر المطر المنهمر ووصلوا إلى الباب مبتلين، قرعوا الباب وارتجفوا. انفتح الباب، قال الرجل: «مرحباً؟»

قال زارنيوب: «آه، معذرة، لدي سبب وجيه لأعتقد...»

قال زيفود: «هل تحكم الكون؟»

ابتسم الرجل له وقال: «أحاول ألا أفعل ذلك، هل أنت مبتل؟»

نظر إليه زيفود بدهشة وصاح: «مبتل؟ ألا يبدو أننا مبتلون؟»

قال الرجل: «هذا ما يبدو لي، لكن قد تكون كيفية شعوركم حيال الأمر قضية مختلفة كلياً، إن شعرتم أن الدفء يجففكم فعليكم بالدخول».

دخلوا. نظروا حولهم في الكوخ الصغير، زارنيوب بقليل من الاشمئزاز، تريليان باهتمام، وزيفود ببهجة.

قال زيفود: «هيه، إي... ما اسمك؟»

نظر إليهم الرجل بتردد وقال: «لا أعرف. لم قد تظن أنه يجب أن يكون لي واحد؟ فمن الغريب جداً أن تعطي مجموعة من المدركات الحسية اسماً».

طلب إلى تريليان بكياسة أن تجلس على الكرسي، وجلس هو على حافة الكرسي، اتكأ زارنيووب بثبات على الطاولة وتمدد زيفود على الفراش قائلاً: «واويي! مقعد السلطة!» وداعب الهر.

قال زارنيووب: «اسمع، يجب أن أسألك بعض الأسئلة».

قال الرجل بلطف: «حسناً، يمكنك أن تغني لهري إن أحببت».

قال زيفود: «هل يجب ذلك؟»

قال الرجل: «من الأفضل أن تسأله».

قال زيفود: «هل يتكلم؟»

قال الرجل: «لا أتذكره يتكلم، لكنني غير جدير بالثقة بشكل كبير».

سحب زارنيووب بعض الأوراق من جيب وقال: «الآن، أنت

بالفعل تحكم الكون، ألسنت كذلك؟»

قال الرجل: «كيف عساي أن أعرف؟»

سجّل زارنيووب ملاحظة على الورقة.

-«منذ متى وأنت تفعل ذلك؟»

قال الرجل: «آه، هذا سؤال عن الماضي أليس كذلك؟»

نظر إليه زارنيووب بارتباك، لم يكن هذا بالضبط ما كان يتوقعه،

وقال: «نعم».

قال الرجل: «كيف أعرف أن الماضي ليس إلا خيالاً صُمم من أجل

التعارض بين حواسي البدنية وحالتي الذهنية؟»

حدّقه زارنيوب، وبدأ البخار يتصاعد من ثيابه المشبعة بالماء، قال:
«فأنت إذاً تجيب عن كل الأسئلة بهذه الطريقة؟»

أجاب الرجل بسرعة: «أقول ما يخطر لي قوله عندما أظن أنني أسمع
الناس يتفوهون بكلام، لا يمكنني إضافة أكثر من ذلك».

ضحك زيفود بسعادة وقال: «سأشرب نخب ذلك»، وسحب
زجاجة شراب جانكس الروحي. قفز وأعطى الزجاجة إلى حاكم الكون
الذي أخذها بسرور.

قال: «مليح لك أيها الحاكم العظيم، أخبر عن الأمور كما هي».

قال زارنيوب: «لا، أصغ إلي، يأتي الناس إليك أليس كذلك؟
في سفن»...

قال الرجل: «أعتقد ذلك»، وأعطى الزجاجة لتريليان.

قال زارنيوب: «ويطلبون إليك أن تقرر لهم؟ عن حياة الناس، عن
الكواكب، عن الاقتصادات، عن الحروب، عن كل ما يجري في الكون
خارجاً؟»

قال الرجل: «خارجاً؟ أين؟»

قال زارنيوب مشيراً إلى الباب: «خارجاً!»

قال الرجل بتهذيب: «أتى لك أن تعرف إن كان يوجد شيء في
الخارج، الباب مغلق».

استمر المطر يضرب السقف، داخل الكوخ كان دافئاً.

صاح زارنيوب: «لكنك تعرف أن هنالك كوناً بأكمله في الخارج، لا
يمكنك تفادي مسؤولياتك بالقول إنها غير موجودة!»

فكر حاكم الكون لفترة طويلة في حين كان زارنيوب يرتجف غاضباً.
قال في النهاية: «تبدو متأكداً جداً من حقائقك، لا يمكنني الوثوق
بتفكير رجل يرى الكون - إن وُجد - أمراً مسلماً به».
كان زارنيوب ما يزال يرتجف، لكنه صامت.

تابع الرجل بهدوء: «أنا أقرر عن كوني فقط، كوني هو عيناى وأذناى،
أي شيء آخر هو شائعة».

- «إنما ألا تؤمن بأي شيء؟»

هز الرجل كتفيه والتقط هرّه قائلاً: «لا أفهم ما تعنيه».

- «ألا تفهم أن ما تقرره في كوخك هذا يؤثر في حيوات وأقدار الملايين من
الناس؟ هذا خطأ على نحو رهيب!»

- «لا أعرف، ولم يسبق لي أن التقيت بهؤلاء الناس الذين تتكلم عنهم، ولا
حتى أنت، كما أظن. إنهم موجودون في الكلمات التي نسمعها. من الحماقة
أن تقول إنك تعرف ما يحدث للناس الآخرين. هم فقط من يعرفون، إن
كانوا موجودين. لديهم أكوانهم الخاصة المكوّنة من عيونهم وأذانهم».

قالت تريليان: «أظنني سأخرج لوهلة».

غادرت ومشت في المطر.

أصرّ زارنيوب قائلاً: «هل تعتقد أن أناساً آخرين موجودون؟»

- «ليس لي رأي، كيف لي أن أعرف؟»

قال زيفود: «عليّ أن أرى ما خطب تريليان». وانسلّ خارجاً.

-«أعتقد أن الكون في أياد جيدة، أليس كذلك؟»

قالت تريليان: «جيدة جداً». ومشيا في المطر.

تابع زارنيوب في الداخل قائلاً: «إنها، ألا تفهم أن الناس يحبون أو

يموتون بناء على ما تقوله؟»

انتظر حاكم الكون لأطول مدة ممكنة، ولما سمع الصوت الضعيف

لمحركات السفينة تعمل تكلم ليغطي عليها.

قال: «لا علاقة لي بالأمر، لست متورطاً مع الناس، يعلم السيّد^(١) أنني

لست رجلاً قاسياً».

صاح زارنيوب: «آه! أنت تقول "السيّد"، إنك تؤمن بشيء!»

قال الرجل بلطف: «هرّي»، التقط الهرّ ولاطفه، «أدعوه السيّد، أنا

ودود معه».

قال زارنيوب محاولاً إظهار أهمية فكرته: «حسناً، كيف تعلم أنه

موجود؟ كيف تعلم أنه يعلم أنك ودود معه، أو أنه يستمتع بما يظنه ودك؟»

قال الرجل بابتسامة: «لا أعلم، ليست لديّ أدنى فكرة، يسعدني فقط

أن أتصرف بطريقة معينة تجاه ما يبدو أنه هرّ. هل تتصرف بطريقة مختلفة؟

من فضلك، أظني متعب».

(١) يُقصد بها الرّب في هذا الموضع.

أطلق زارنيوب تنهيدة عدم رضا تام ونظر حوله.

قال فجأة: «أين الاثنان الآخران؟»

قال حاكم الكون: «أي اثنين آخرين؟» واتكأ على كرسيه وهو يعيد
ملء كأس الويسكي خاصته.

«بيبلبروكس والفتاة! الاثنان اللذان كانا هنا!»

«لا أذكر أحداً، الماضي خيال من أجل...»

قاطع زارنيوب قائلاً: «اصمت»، وخرج راكضاً في المطر، لم تكن
هنالك سفينة. استمر المطر في إزباد الوحل، ولم يكن هنالك من إشارة
تظهر أين كانت السفينة. صاح في المطر، وعاد أدراجه راكضاً إلى الكوخ
فوجده مقفلاً.

نعس حاكم الكون قليلاً في كرسيه، بعد هنيهة لعب بقلم الرصاص
والورقة مجدداً وابتهج عندما اكتشف كيف يمكن كتابة علامة من واحد
منهما على الآخر. استمرت أصوات ضجيج متعددة في الخارج، لكنه لم يعلم
ما إن كانت حقيقية أو لا، عندئذ كَلَّم طاولته لأسبوع ليرى كيف ستكون
ردة فعلها.

الفصل التاسع والعشرون

ظهرت النجوم في تلك الليلة رائعة بتألقها ونقائها. مشى فورد وآرثر أميلاً أكثر من أن تحصى وتوقفاً أخيراً ليأخذوا قسطاً من الراحة. كان الليل معتدل البرودة، الهواء صافياً، والسب-إيثا سينس-و-ماتيك صامتة كلياً.

اكتسى الكوكب هدوءاً رائعاً، وسكوناً سحرياً ممزوجاً بعبير الغابات الرقيق، زقزقة الحشرات الهادئة وأضواء النجوم المتألقة لتسترضي أرواحها المتشاجرة. حتى فورد بريفيكت، الذي رأى كواكب أكثر من أن يحصيها في بعد ظهر طويل، كان متأثراً إلى حد أن يتساءل إن كان هذا أجمل ما رأى. مرّاً في ذلك اليوم عبر تلال ووديان خضر متموجة تغطيها الأعشاب بغزارة، أزهار بعطر أخاذ وأشجار طويلة كثيفة الأوراق. دفأتهما الشمس وأبقاهما النسيم العليل باردين، وراح فورد بريفيكت يقلل من تفقده للسب-إيثا سينس-و-ماتيك، وراح يظهر امتعاضاً أقل أكثر فأكثر من صمت الجهاز المتواصل. لقد بدأ يعتقد بأنه أحب المكان.

ناما براحة وهدوء في العراء على الرغم من أن هواء الليل كان بارداً واستيقظا بعد ساعات عدة مع بدء تشكّل الندى شاعرين بالنشاط، لكنهما جائعان. كان فورد قد حشا بعضاً من اللفائف الصغيرة داخل محفظته في ميليويز فتناولاها فطوراً قبل أن يمضيا.

كانا قد جالا على نحو عشوائي صرف حتى الآن، فانطلقا بثبات على خط جديد باتجاه الشرق، مقتنعان بأنه إن كانا سيكتشفان هذا الكوكب فعليهما تشكيل فكرة واضحة حول من أين أتيا وإلى أين هما متجهان. حصلا قبل الظهيرة بقليل على أول دليل بأن الكوكب الذي هبطا عليه لم يكن غير مأهول، لقد راقبها وجه نصف واضح بين الأشجار. اختفى الوجه لحظة مشاهدتها له، لكن الصورة التي كوّناها كانت عن مخلوق يشبه البشر، اعتراه الفضول لرؤيتها لكنه غير منزعج. بعد نصف ساعة لمحا وجهاً آخر مثله، وآخر بعد عشر دقائق.

تعثرا بعد دقيقة في أرض واسعة مقطوعة الأشجار وتوقفا فجأة.

وقفت أمامهما في منتصف الأرض مجموعة من دستتين من الرجال والنساء، وقفوا بثبات وصمت بمواجهة فورد وآرثر. اجتمع بعض الأطفال الصغار حول بعض النسوة وخلف المجموعة كان هنالك صف من المساكن الصغيرة المتداعية مصنوعة من الطين والأغصان.

توقف فورد وآرثر عن التنفس.

انتصب أطول الرجال بطول أكثر من خمس أقدام بقليل، كان الجميع منحنيين إلى الأمام قليلاً، بأذرعهم الطويلة وجباههم المنخفضة، وعيون ساطعة وصافية حدقوا بها بتركيز إلى الغرباء.

استرخى فورد وآرثر قليلاً بالنظر إلى أن الجماعة لم تكن تحمل أسلحة ولم تتحرك باتجاههما.

حدّقت المجموعتان بعضهما لوهلة، ولم يقم أي طرف بأي حركة. بدا أن السكان الأصليين مرتبكون من وجود الدخلاء، وعلى الرغم من أنهم لم يظهرُوا أي نوايا عدوانية فلم يبدر منهم أي ترحيب.

لمدة دقيقتين كاملتين لم يحصل أي شيء.

بعد دقيقتين قرر فورد أنه حان وقت شيء ما كي يحدث.

قال: «مرحباً».

جذبت النسوة أطفالهن إليهن أكثر.

لم يقم الرجال بأي حركة يمكن ملاحظتها، لكن مزاجهم العام أظهر بوضوح أن الترحيب لم يكن وارداً، ولم يكن موضع استياء بأي درجة كبيرة، كان غير محتف بها فقط.

تقدم أحد الرجال، الذي كان يتقدم باقي المجموعة بقليل فبدا بذلك أنه قائدهم. كان وجهه دمثاً وهادئاً إلى درجة أنه جليل تقريباً. قال بهدوء: «أغغغغو وغغغغررر آه آه راه أغغغ».

فوجئ آرثر من ذلك، فلقد اعتاد كثيراً استقبال ترجمة فورية ولا واعية لكل ما يسمعه عن طريق سمكة بابل التي قطنت في أذنه حتى نسي وجودها، وكان كل ما يذكره بوجودها الآن هو حقيقة أنها لا تبدو تعمل.

أومضت أشكال مبهمّة من المعنى في مؤخرة عقله، لكن لم يوجد شيء يمكنه التمسك به. تخمّن بشكل صحيح في الواقع أن هؤلاء الناس لم يطوروا حتى الآن أكثر من مبادئ اللغة الأكثر ضآلة، لذلك كانت سمكة بابل أضعف من أن تساعد. حدّق إلى فورد الذي كان أكثر خبرة بهذه الأمور بشكل أكبر.

قال فورد من زاوية فمه: «أظن أنه يسألنا إن كنا لا نمانع السير حول حافة القرية».

بعد وهلة بدا أن إيحاءة من المخلوق-البشري تؤكد ما قاله فورد. تابع المخلوق-البشري قائلاً: «روورغغغغ أررغغغغ؛ آرغ آرغ (آه راه) رووورروو آغ».

قال فورد: «القضية الأساسية، حسبما تمكنت من الفهم، أنه مرحب بنا إن أردنا متابعة رحلتنا في أي طريق نبتغيه، لكن إن مشينا حول قرية عوضاً عن عبورها فسيسعدهم الأمر جداً».

-«إذاً ماذا نفعل؟»-

قال فورد: «أظن أننا سنسعدهم».

مشيا حول محيط الأرض ببطء وحذر، بدا الأمر مناسباً جداً للسكان الأصليين الذين انحنوا لهما قليلاً ومن ثم ذهبوا إلى أشغالهم.

تابع فورد وآرثر رحلتها عبر الغابة، بعدما عبرا الأرض بوضع مئات من الiardات وصلا فجأة إلى كومة صغيرة من الفاكهة موضوعة في طريقها، ثمار عليلق تشبه التوت كثيراً، وفواكه خضراء مقشرة ولينة تشبه الإجاص كثيراً.

كانا حتى الآن يتجنبان ثمار العليلق والفواكه التي شاهدها، على الرغم من أن الأشجار والشجيرات كانت ذاخرة بها.

قال فورد بريفيكت: «انظر إلى الموضوع على هذا النحو، إمّا أن تحييك الفواكه وثمار العليلق على كوكب غريب وإمّا أن تقتلك، لذا تبدأ بالعبث بها

عندما تصل إلى مرحلة أنك ستموت إن لم تفعل. بهذه الطريقة تبقى في المقدمة. السر في السفر الطفيلي الصّحيّ هو بتناول الوجبات السريعة».

نظرا بريبة إلى الكومة الموضوعة في طريقهما، بدت لذيذة إلى حد جعلهما يتضوران جوعاً.

قال فوردي: «انظر إلى الموضوع على هذا النحو، إي...»

قال آرثر: «نعم؟»

قال فوردي: «أحاول أن أفكر في طريقة للنظر إلى الموضوع تفضي إلى تناولنا إياها».

ومضت الشمس المرقّطة بالأوراق على لب الأشياء التي تشبه الإيجاص. بدت الأشياء التي تشبه التوت أسمن وأكثر تورّداً من كل ما شاهده آرثر، حتى في إعلانات المثلجات.

قال: «لم لا نأكلها ونفكر في الأمر بعد ذلك؟»

- «ربما ذلك ما يريدوننا أن نفعله».

- «حسناً، انظر إلى الموضوع بهذه الطريقة...»

- «يبدو جيداً حتى الآن».

- «إنها لنا كي نتناولها إن كانت جيدة أم سيئة، فهم إما يريدون إطعامنا وإما تسميمنا. فإن كانت سامّة ولم نأكل فسوف يهاجمونا بطريقة أخرى. إذا لم نأكل فسنخسر في الحاليتين».

قال فوردي: «تعجّبي طريقة تفكيرك، تناول واحدة».

التقط آرثر بتردد واحدة من الأشياء التي تشبه الإحساس.

قال فوردي: «لطالما فكرت بهذه الطريقة عن قصة حديقة جنة عدن».

- «ماذا؟»

- «حديقة جنة عدن، الشجرة، التفاحة، تلك العضة، أتذكر؟»

- «نعم، بالطبع أذكر».

- «يضع ربك شجرة تفاح في منتصف حديقة ويقول: افعلوا ما تشاءون أيها الناس، لكن مهلاً، لا تأكلوا التفاحة. وللمفاجأة يأكلونها فيقفز من خلف شجيرة صائحاً 'أمسكت بكم'. لم يكن ليكون هنالك فرق لو لم يأكلوها».

- «لم لا؟»

- «لأنك إن كنت تتعامل مع أشخاص بهذه العقلية التي تحب أن تخفي أسراراً على طول الطريق فأنت تعرف جيداً أنهم لن يستسلموا، وسيتمكنون منك في النهاية».

- «ما الذي تتحدث عنه؟»

- «لا تهتم، تناول الفاكهة».

- «أتعلم، يشبه هذا المكان حديقة جنة عدن كثيراً».

- «تناول الفاكهة».

- «ويعطي الإحساس نفسه أيضاً».

تناول آرثر قضمة من الشيء الذي يشبه الإحساس وقال: «إنها

إحساس».

استدار فوراً بريفيكت بعد دقائق عدة، عندما أنبها الكمية، وصاح:
«شكراً، شكراً جزيلاً لكم، أنتم لطيفون جداً».

وتابعا طريقهما.

استمرا في إيجاد هدية الفاكهة العَرَضِيَّة ملقاة في طريقهما لخمسين ميلاً
من رحلتها شرقاً، وعلى الرغم من أنها لمحا مخلوقاً-بشراً بين الأشجار إلا
أنهما لم يواجها أحداً من هؤلاء بعد ذلك. قررا أنها أحبا كثيراً جنس الناس
الذين أوضحوا أنهم ببساطة ممتنون لتركهم وشأنهم.

توقفت الفواكه وثمار العليق عن الظهور بعد خمسين ميلاً، لأن البحر
قد بدأ هناك.

بما أنه لم تكن لديها دعوات ملحة في وقتها فقد بنيا طوفاً وعبرا
البحر. كان البحر هادئاً على نحو معقول، عرضه ستين ميلاً، وعبرا عبوراً
لطيلاً نسبياً، وروسيا في بلد جميل، على الأقل مثل الذي خلفاه وراءهما.

كانت الحياة باختصار سهلة على نحو ساخر، ولمدة زمنية معينة في
الأقل تمكنا من التغلب على مشكلات العزلة واللاهدف بقرارهما أن
يتجاهلا هذه المشكلات.

كانا يعرفان أين يجدان صحبة عندما يصبح التوق إليها هائلاً، لكنهما
كانا سعيدين في الوقت الحالي لاعتقادهما بأن (الغولغافرينشانيين) كانوا
خلفهما بمئات الأميال.

إنما على الرغم من ذلك ازداد استخدام فوراً بريفيكت من جديد
لجهاز السب-إيثا سينس-و-ماتيك خاصته. التقط إشارة مرة واحدة فقط،

لكن ضعفها الشديد ومسافتها الضخمة سببت له كآبة أكبر من الصمت الذي كان سيستمر لولاها.

اتجهوا نحو الشمال بنزوة، وبعد أسابيع من السفر وصلا إلى بحر آخر، بنيا طوفاً آخر وعبراه. إنها، هذه المرة كانت أصعب من أن يستمتعا بها، كان الطقس يبرد أكثر. ارتاب آرثر من أثر ماسوشية في فورد بريفيكت، فلقد بدا أن صعوبة الرحلة المتزايدة تعطيه إحساساً بالتصميم كان مفقوداً من دونها، فخطا إلى الأمام بقوة.

أوصلتهما رحلتها شمالاً إلى أرض جبلية شاهقة ذات امتداد وجمال يقطع الأنفاس، القمم المغطاة بالثلوج، الواسعة والمستدقة سلبت حواسهما، وبدأ البرد ينخر عظامهما.

لفا نفسيهما بجلود حيوانات وفراء حصل عليها فورد بريفيكت بوساطة تقنية تعلمها من اثنين من رهبان (برالايت) السابقين اللذين يديران منتجعا للتزلج الفكري في تلال (هيونيان).

إن رهبان برالايت السابقين مبعثرون في كل أرجاء المجرة، يبحثون عن شريك جنسي، لأن تقنيات التحكم الذهني التي طورها «التنظيم» كشكل من أشكال الانضباط التعبدي هي حسيّة على نحو صريح، وأعداد كبيرة من الرهبان يتركون التنظيم بعد الانتهاء مباشرة من تدريبهم التعبدي وقبل الإدلاء مباشرة بنذورهم بأنهم سيقون محبوسين في صناديق معدنية صغيرة لبقية حياتهم.

بدا أن تقنية فورد تتكون على نحو رئيس من الوقوف بثبات لفترة وهو يتسم.

بعد فترة يظهر حيوان بين الأشجار - ربما غزال - ويراقبه بحذر. يستمر فورد في الابتسام له، تلين عيناه وتومض فيبدو أنه يشع حباً كونياً عميقاً، حباً يمتد ليعانق كل الخلق، يهبط هدوء رائع على الريف المحيط، منبعثاً من هذا الرجل المتحول هادئاً وصافياً. فيقترب الغزال ببطء، خطوة فخطوة، حتى يحك أنفه به تقريباً، عندئذ ينقض عليه فورد ويكسر عنقه.

قال عن ذلك إنّه: «تحكّم بالفيرومون، عليك أن تعرف كيفية توليد الرائحة المناسبة».

الفصل الثلاثون

بعد أن حطاً على تلك الأرض الجبلية بأيام عدة وصلا إلى خط ساحلي امتد بشكل مائل أمامهما من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، كان خطأً ساحلياً ذا فخامة عظيمة، وديان عميقة فخمة، ومضائق بحرية جليدية بارتفاعات شاهقة.

تسلقا وتدافعا فوق الصخور والأنهار الجليدية ليومين آخرين وقد صدمتهما رهبة الجمال.

صاح فورد فجأة: «آرثر!»

بعد ظهر اليوم التالي كان آرثر يجلس على صخرة مرتفعة يراقب البحر الهادر يصطدم بنفسه بالتواءات الجبلية كثيرة الصخور.

صاح فورد مجدداً: «آرثر!»

نظر آرثر إلى الجهة التي أتى منها صوت فورد تحمله الرياح ضعيفاً، كان فورد قد ذهب ليعاين نهراً جليدياً، وجده آرثر هناك جاثماً بالقرب من حائط جليد أزرق صلب، كانت إثارته شديدة، اندفعت عيناه إلى الأعلى لتلتقيا بعيني آرثر.

قال: «انظر، انظر!»

نظر آرثر وشاهد حائط الجليد الأزرق الصلب فقال: «نعم، إنه نهر جليدي، لقد رأيته».

قال فوردي: «لا، لقد نظرت إليه لكنك لم تره، انظر!»

كان فوردي يشير عميقاً في قلب الجليد.

حدّق آرثر فلم ير سوى ظلالٍ مبهمّة.

أصرّ فوردي قائلاً: «ابتعد عنها، انظر مجدداً».

ابتعد عنها آرثر ونظر مجدداً.

قال هازئاً كتفيه: «لا، ما الذي عساي أبحث عنه؟»

وفجأة رآه.

- «هل تراه؟»

رآه.

بدأ فمه يتكلم، لكن دماغه كان قد قرر أنه ليس لديه ما يقوله حتى الآن فأغلق فمه من جديد. بدأ عندئذ دماغه بمكافحة المشكلة التي تتبلور حول الشيء الذي أخبرته عيناه أنهما تنظران إليه، لكنه بذلك تخلى عن التحكم بالفم الذي انفتح مجدداً من غير إبطاء. من جديد لم فكّه ففقد الدماغ السيطرة على اليد اليسرى التي راحت تتحرك من غير هدف. لثانية حاول الدماغ أن يمسك باليد اليسرى من دون أن يترك الفم وفي الوقت نفسه حاول أن يفكر حول ماهية الشيء المدفون في الجليد، ما تسبب في الأغلب باستهلاك القدمين وسقوط آرثر على الأرض باسترخاء.

الشيء الذي كان يتسبب بكل هذا الاضطراب العصبي كان شبكة
ظلال في الجليد، على عمق ثمانية عشر إنشاً تحت السطح. إن تم النظر إليها
من زاوية صحيحة تتحول إلى أشكال صلبة لحروف أبجدية غريبة، كل منها
بارتفاع ثلاث أقدام. ومن أجل أولئك الذين لا يعرفون قراءة لغة ماغراثيا
- مثل آرثر - كان يوجد فوق الأحرف شكل لوجه معلق في الجليد.

كان وجهاً عجوزاً، نحيلاً ومميزاً، مهموماً لكنه ليس فظاً. كان
وجه الرجل الذي فاز بمكافأة لتصميمه الخط الساحلي الذي عرفا أنها
يقفان عليه.

الفصل الحادي والثلاثون

ملاً الهواء أنينٌ ضعيفٌ، اندفع وانتحب عبر الأشجار مزعجاً السناجب. طارت بعض الطيور مبتعدة باشمئزاز. رقص الصوت وتحرك مسرعاً حول الأرض، ونَعَقَ، وأزَعَجَ وبشكل عام ضايقاً.

إلا أن القبطان لاحظ عازف مزمار القربة بعين التسامح. فقليلاً ما كان يمكن أن يعكّر اتزانته، لقد بدأ يلاحظ أن حياته متجانسة بعد أن تحطى خسارة مغطسه الجميل خلال حادثة المستنقع البغيضة منذ أشهر عدة. تم تجويف حفرة في صخرة كبيرة تقع في منتصف الأرض حيث كان ينعم فيها يوماً بينما يصبّ المرافقون الماء عليه. إنما يجب القول ليس ماءً دافئاً بالتحديد، حيث إنهم لم يكونوا بعد قد اكتشفوا طريقة لتسخينه، لكن ذلك ليس مهماً، سيأتي وقته، أما في الوقت الحالي فكانت جماعات البحث تطوف الريف بطوله وعرضه بحثاً عن ينبوع ماء حار، ويفضل أن يكون في أرض غابة مورقة وفارغة، وإن كان بالقرب من منجم صابون فسيكون ذلك الكمال بعينه. بالنظر إلى الذين كان رأيهم أن الصابون لا يوجد في مناجم، فقد تجرّأ القبطان على اقتراح أن ذلك بسبب أن أحداً لم يبحث بشكل كافٍ، وتم الاعتراف بهذه الاحتمالية على مضض.

كلّاً، كانت الحياة سائرة، وأعظم ما فيها أنه حينما يتم إيجاد الينبوع الحار، متكاملًا في أرض الغابة المورقة والفارغة بالقرب من المنامة، وحينما

يأتي صدى الصياح في وقته عبر التلال مبشراً بأنه تم تحديد موقع منجم صابون يُنتج خمسمئة قطعة يومياً، ستكون الحياة عند ذلك أكثر عظمة. من المهم جداً أن يكون هنالك أشياء يصبو إليها المرء.

راحت مزامير القربة تنوح وتنوح وتصرخ وتنوح وتولول وتصدر صريراً وأصواتاً كالإوز، ما زاد في متعة القبطان الكبيرة أساساً بفكرة أنهم قد يتوقفون في أي لحظة، كان ذلك شيئاً يصبو إليه هو أيضاً.

سأل نفسه، ما الممتع أيضاً؟ حسناً، أشياء عدة: احمرار الأشجار وذهيبتها بما أن الخريف يقترب، صوت اصطكاك المقصات الوديع على بعد أقدام من مغطسه حيث كان اثنان من مصففي الشعر يدربان مهاراتهم على مدير فنون غلبه النعاس ومساعدته، ضوء الشمس المنعكس عن ستة هواتف لماعة اصطفت على طول حافة مغطسه المنحوت في الصخر. الشيء الوحيد الألف من هواتف لا يرن كل الوقت (أو بالطبع إطلاقاً) هو ستة هواتف لا ترن كل الوقت (أو بالطبع إطلاقاً).

أمّا ألف شيء على الإطلاق فكان همسات مئات الناس السعداء وهم يتجمعون في الأرض من حوله لمشاهدة اجتماع اللجنة بعد الظهر. لكم القبطان بطته المطاطية على منقارها ممزحاً، اجتماعات اللجنة بعد الظهر كانت الشيء المفضل لديه.

عيون أخرى راقبت الحشود المجتمعة، عالياً على الأشجار التي حول الأرض جلس فورد بريفيكت القرفصاء، وكان قد عاد مؤخراً من مناخات خارجية. بعد رحلته التي استمرت لسته أشهر كان نحيلاً وقويماً، لمعت

عيناه، وكان يرتدي معطف جلد الرنة، وكانت لحيته سميقة ووجهه أسمر مثل مغني كنتري روك^(١).

كان قد أمضى أسبوعاً هو وآرثر في مراقبة الغولغافرينشانيين، وقرر فورد أن يثير الأمور قليلاً.

كانت الأرض ممتلئة الآن، مئات الرجال والنساء المتكاسلين في المكان، يدردشون، يأكلون الفواكه، يلعبون الورق، وعلى نحو عام يمضون وقتاً من الاسترخاء الجميل. كانت بزاتهم قد اتسخت وتمزقت أيضاً، لكن كان لديهم جميعاً شعر مصفف بشكل نظيف. ارتبك فورد لرؤية أن الكثيرين منهم قد حشوا بزاتهم بأوراق الأشجار، وتساءل إن كان ذلك شكلاً من أشكال العزل لمواجهة الشتاء القادم. تضيقت عينا فورد، فلا يمكن أن يكونوا قد اهتموا بعلم النباتات على حين غرة، أليس كذلك؟ ارتفع صوت القبطان فوق الصخب في منتصف هذه التأملات.

قال: «حسناً، أريد بعضاً من الانضباط في هذا الاجتماع إن كان ذلك ممكناً على الإطلاق. هل هذا مناسب للجميع؟» ابتسم بلطف وتابع: «في غضون دقيقة، عندما تصبحون جاهزين».

تخافت الكلام تدريجياً وعمّ الصمت في الأرض، ما عدا عازف مزمار القربة الذي بدا أنه في عالمه الموسيقي الجامح وغير المأهول. ألقى بعض الذين كانوا إلى جواره مباشرة بحفنة من الأوراق إليه، إن كان هنالك أي سبب لذلك فلم ينتبه إليه فورد بريفيكت حالياً.

(١) Country-rock نمط من أنماط موسيقا الروك - المترجم.

تجمعت حول القبطان جماعة صغيرة من الناس وظهر بوضوح أن أحدهم سيبدأ بالكلام. فعل ذلك بأن نهض، ثم سعل، ومن بعد ذلك حدّق إلى الأفق ليدل الحشد على أنه سيكون معهم في غضون دقيقة.

بالطبع فقد تثبت الحشد وأداروا عيونهم إليه.

تبع ذلك لحظة من الصمت، التي قرر فورد أنها اللحظة الدرامية المناسبة ليدخل. استدار الرجل ليتكلم.

سقط فورد عن الشجرة وقال: «مرحباً».

استدار الحشد، وصاح القبطان، «آه يارفيقي العزيز، هل معك عيدان ثقاب؟ أو قداحة؟ أي شيء من هذا القبيل؟»

قال فورد: «لا»، وقد بدا أنه انكمش قليلاً، لم يكن ذلك ما حَضَّر له، وقرر أنه ينبغي أن يكون أقوى في الموضوع.

تابع قائلاً: «لا، ليس لدي، لا عيدان ثقاب، لكن عوضاً عن ذلك جئتكم بأخبار...»

قال القبطان: «يا للتعاسة، لقد نفدت منا جميعاً كما ترى، لم أستحم بهاء ساخن منذ أسابيع».

رفض فورد أن تتم مقاطعته، فقال: «جلبت لكم أخباراً عن اكتشاف قد يهكم».

قاطعه الرجل الذي سبق لفورد أن قاطعه: «هل هي على جدول الأعمال؟»

ابتسم فورد ابتسامة مغني كنثري روك عريضة، وقال: «هيا الآن».
قال الرجل بعجرفة: «آسف، لكن بما أنني مستشار إداري لسنوات
عدة، فعلياً أن أصر على أهمية الانتباه إلى بنية الاجتماع».
نظر فورد إلى الحشد وقال: «إنه مجنون كما تعلمون، هذا الكوكب في
مرحلة ما قبل التاريخ».

قاطعته المستشار الإداري: «خاطب رئيس الجلسة!»
علّل فورد قائلاً: «لا يوجد كرسي لرئيس اللجنة، لا يوجد
سوى حجر».

قرر المستشار الإداري أن ما يتطلبه الوضع الراهن هو النكد.
قال بنكد: «حسناً، سمّه كرسيّاً».
سأله فورد: «لم لا أسميه حجراً؟»

قال المستشار الإداري: «من الواضح أنك لا تدرك أنظمة الأعمال
المعاصرة». من دون أن يتخلى عن النكد لصالح الغطرسة المعتادة.
قال فورد: «وأنت لا تدرك أين أنت».

قفزت فتاة بصوت حاد على قدميها واستخدمت صوتها قائلة:
«أخرساً أنتم الاثنان، أريد أن أجدول اقتراحاً».

ضحك مصفف شعر ضحكة مكبوتة وقال: «تقصدون أنك
ستفرضين اقتراحاً».

صاح المستشار الإداري: «انضباط، انضباط!»

قال فورد: «حسناً، لنر كيف تبلون». وجلس بتهور على الأرض ليرى كم يتمكن من ضبط انفعاله.

سعل القبطان سعلة استرضائية وقال بلطف: «أريد انضباطاً في الاجتماع الخمسمئة والثالث والسبعين للجنة استعمار "فيتللودلويكس"...»

مرت عشر ثوان كما ظن فورد مع قيامه على قدميه مجدداً، هتف قائلاً: «هذا عديم الفائدة، خمسمئة وثلاثة وسبعون اجتماعاً ولم تكتشفوا النار بعد!»

قالت الفتاة ذات الصوت الحاد: «لو تفضل بتفحص ورقة جدول الأعمال...»

تكلم مصفف الشعر بصوت مرتعش سعيد: «حجرة جدول الأعمال».

تمتم فورد: «شكراً لك، لقد وضحت تلك النقطة».

تابعت الفتاة بحزم: «... سوف... ترى... أننا سنتناول اليوم تقريراً من لجنة مصففي الشعر الفرعية لإشعال النار».

قال مصفف الشعر بنظرة مرتبكة: «أوه... آه...» هذه النظرة التي يُعرف معناها في كل المجرة على أنه «إي، هل ينفع الثلاثاء القادم؟»

قال فورد وهو يستدير نحو مصفف الشعر: «حسناً، ما الذي فعلتموه؟ ما الذي ستفعلونه؟ ما هي نواياكم فيما خص إشعال النار؟»

قال مصفف الشعر: «حسناً، لا أعلم، كل ما أعطوني إياه كان زوجاً من العصي...»

«ماذا فعلت بهما إذا؟»

بحث مصنف الشعر في سترته بتوتر وأعطى نتاج عمله إلى فورد.
رفعها فورد إلى الأعلى ليشاهد هما الجميع وقال: «ملاقط تجعيد».
صنّف الحشد.

قال فورد: «ليس مهماً، فروما لم تحترق في يوم واحد».

لم يكن لدى الحشد أدنى فكرة عمّا كان يتكلم عنه، لكنهم مع ذلك
أحبوا ما قاله، فصنّفوا.

قالت الفتاة: «حسناً، من الواضح أنكم تتصرفون بسذاجة تامة، حينما
تمضون وقتاً طويلاً مثلي في التسويق فستعرفون أنه قبل أن يتم تطوير
أي منتج يجب أن يتم الاستقصاء عنه على نحو مناسب. يجب أن نعرف ما
الذي يريده الناس من النار، وما الذي يربطهم بها، وما نوع الصورة التي
تعطيها لهم».

كان الحشد متوتراً، وكانوا يتوقعون شيئاً رائعاً من فورد.

قال: «احشيتها في أنفك».

أصرت الفتاة قائلة: «وهو الشيء الذي علينا معرفته بالضبط، هل
يريد الناس ناراً يمكن استخدامها عن طريق الأنف؟»

سأل فورد الحشد: «هل تريدون؟»

صاح بعضهم: «نعم!»

صاح آخرون بسعادة: «لا!»

لم يكونوا يعرفون، واعتقدوا ببساطة أنها رائعة.

قال القبطان: «والدولاب، ماذا عن هذا الشيء؟ يبدو مشروعاً ممتعاً بشدة».

قالت فتاة التسويق: «آه، حسناً، إننا نواجه صعوبة صغيرة في ذلك».

هتف فورد قائلاً: «صعوبة؟ صعوبة؟ ما الذي تقصدينه بالصعوبة؟ إنه أحد أبسط الآلات في كل الكون!»

نظرت إليه فتاة التسويق نظرة غاضبة وقالت: «حسناً أيها المتحذلق، أنت ذكي جداً، أخبرنا ما يجب أن يكون لونه».

جنّ جنون الحشد، فكّروا، تقدم فريقنا بنقطة. هز فورد كتفيه وجلس مجدداً.

قال: «يا لزاركوان العظيم، ألم يفعل أحد منكم شيئاً؟»

وكإجابة عن سؤاله حدث صخب مفاجئ عند مدخل الأرض. لم يستطع الحشد تصديق حجم التسلية التي كانوا يحصلون عليها في بعد ظهر هذا اليوم؛ دخلت فرقة من ستة من الرجال يرتدون بقايا زي فوج غولغافرينشام الثالث. نصفهم تقريباً لا يزال يحمل مسدسات كيل-و-زاب أما البقية فحملوا رماحاً كانوا يضربونها ببعضها عندما يسرون. بدوا مسمرين، أقوياء ومتعبين تماماً وممرغين بالأوساخ. قعقعوا حتى توقفوا وأحدثوا ضجة للانتباه. سقط واحد منهم ولم يتحرك من جديد.

صاح الرقم اثنان، فقد كان قائدهم: «سيدي القبطان! أطلب الإذن لتقديم التقرير يا سيدي!»

قال القبطان بقنوط: «نعم، حسناً يا رقم اثنين، أهلاً بعودتك وما شاكل، هل وجدت أي ينابيع حارة؟»

- «لا يا سيدي!»

- «اعتقدت أنك لم تفعل.»

خطا رقم اثنان عبر الحشد وقدم سلاحه أمام المغطس.

- «لقد اكتشفنا قارة أخرى!»

- «متى حدث الأمر؟»

قال رقم اثنان: «إنها تقع خلف البحر... وضيق عينيه على نحو ملحوظ متابعاً: «إلى الشرق!»

- «آه.»

أدار رقم اثنان وجهه إلى الحشد ورفع مسدسه فوق رأسه. ففكر الحشد، سيكون ذلك مذهلاً.

- «لقد أعلننا الحرب عليها!»

انطلقت الهتافات الهائجة والخليعة من كل زوايا الأرض، وكان ذلك فوق كل التوقعات.

صرخ فوررد بريفيكت: «انتظروا لحظة، انتظروا لحظة!» ففز على قدميه وطالب بالصمت، فحصل عليه بعد هنيهة، أو على الأقل أفضل صمت يمكن أن يرجوه في الظروف الراهنة، الظروف التي كان فيها عازف مزمار القربة يؤلف نشيداً وطنياً بشكل عفوي.

تساءل فورد: «هل يجب أن يكون لدينا عازف مزمار؟»

قال القبطان: «آه، نعم، لقد أعطيناها منحة».

فكر فورد في أن يطرح فكرته للنقاش لكنه قرر بسرعة أن ذلك طريقاً مباشراً إلى الجنون. عوضاً عن ذلك قذف عازف المزمار بحجر معتبر واستدار ليواجه رقم اثنين.

قال: «حرب؟»

«نعم!» وحدث رقم اثنان باحتقار إلى فورد بريفيكت.

- «على القارة التالية؟»

- «نعم! صراع شامل! حرب تنهي كل الحروب!»

- «إنها، لا يوجد حتى الآن من يعيش هناك!»

فكر الحشد، آه، فكرة صائبة ومشوقة.

حام نظر رقم اثنين من غير تشويش. بمعنى أن عينيه كانتا مثل زوج من البعوض يحوم بعزم على مسافة ثلاثة إنشات من أنفك رافضاً أن ينحرف من ضربات الذراعين، ضربات الذباب أو الجرائد الملقوفة.

قال: «أعرف ذلك، لكنه سيكون هنالك في أحد الأيام! لذا فقد تركنا

إنذاراً غير محدد».

- «ماذا؟»

- «وفجرنا بعض المقرات العسكرية».

انحنى القبطان إلى الأمام من مغطسه وقال: «مقرات عسكرية يا

رقم اثنين؟»

خفقت عيناه لوهلة.

- «نعم سيدي، مقرات عسكرية افتراضية. حسناً... أشجاراً».

انقضت لحظة الشك، رفرت عيناه مثل سوط فوق جمهوره.

هدر قائلاً: «واستجوبنا غزلاً!»

شقلب مسدس الكيل -و- زاب خاصته ببراعة تحت ذراعه وخطا مبتعداً
عبر الجلبة التي انفجرت بين الحشد المبتهج. لم يتمكن إلا من بضع خطوات
قبل أن يُرفع ويحمل على ارتفاع الأكتاف لدورة شرف حول الأرض.

جلس فوررد وبكسل نقر حجرين ببعضهما.

تساءل بعد أن انتهت الاحتفالات: «ما الذي فعلتموه أيضاً؟»

قالت فتاة التسويقي: «لقد أطلقنا ثقافة».

قال فوررد: «أوه حقاً؟»

- «نعم، يعمل أحد صانعي أفلامنا على صنع فيلم وثائقي ساحر عن رجال
الكهوف المحليين في المنطقة».

- «ليسوا رجال كهوف».

- «يشبهون رجال الكهوف».

- «هل يعيشون في كهوف؟»

- «حسناً...»

- «يعيشون في أكواخ».

صاح صاحب نكتة من الحشد: «لربما يعيدون زخرفة كهوفهم».

استدار إليه فورد بغضب وقال: «مضحك جداً، لكن هل لاحظت أنهم ينقرضون؟»

في رحلة العودة مرّ فورد وآرثر على قريتين مهجورتين وجثث الكثيرين من المحليين في الغابة حيث زحفوا ليموتوا. كان الأحياء منهم مصابين وكسولين، كأنهم يعانون من مرض في الروح أكثر منه في الجسد. كانوا يتحركون ببلادة وبحزن مطلق. لقد سلب مستقبلهم منهم.

كرر فورد قائلاً: «ينقرضون! هل تعرف ما يعنيه ذلك؟»

صاح صاحب النكتة مجدداً: «إي... لا ينبغي أن نعطيهم تأميناً على الحياة؟»

تجاهله فورد وناشد الحشد ككل قائلاً: «هلاً تحاولون فهم أنهم بدؤوا ينقرضون منذ وصولنا!»

قالت فتاة التسويق: «في الواقع ذلك يعطي انطباعاً رائعاً بشدة في هذا الفيلم، ويعطيه الحبكة المؤثرة التي هي ما يميز الأفلام الوثائقية العظيمة. إن المنتج مصمم جداً».

تمتم فورد قائلاً: «حريّ به ذلك».

قالت الفتاة: «سمعت»، وهي تستدير إلى القبطان الذي كان قد بدأ يغفو، «أنه يريد لاحقاً أن يصنع فيلماً وثائقياً عنك أيها القبطان».

قال مستعيداً وعيه من جديد: «أوه، حقاً؟ ذلك لطيف إلى أبعد حد».

- «لديه جانب قوي ليعمل عليه، عبء المسؤولية، وحدة القيادة»...

همهم القبطان وتأوه لذلك لوهلة ثم قال أخيراً: «حسناً، لا أريد التشديد على ذلك الجانب كما تعلمين، فالشخص لا يكون أبداً وحيداً بوجود بطة مطاطية.

حمل البطة عالياً فحصلت على دورة تقدير من الحشد.

كان المستشار الإداري يجلس بصمت مصمت كل تلك الفترة، ضغط بأطراف أصابعه على صدغيه ليدل على أنه كان ينتظر وسينتظر طوال اليوم إن اضطره الأمر.

في هذه المرحلة قرر أنه في النهاية لن ينتظر طوال اليوم ، وسيتظاهر فحسب أن نصف الساعة الأخيرة لم تحدث.

وقف على قدميه وقال بإيجاز: «لو تمكنا لوهلة أن نتقل إلى موضوع السياسة المالية...»

هتف فورد بريفيكت: «سياسة مالية! سياسة مالية!»

نظر المستشار الإداري إليه نظرة لا يتمكن من تقليدها سوى السمكة.
كرر قائلاً: «سياسة مالية... هذا ما قلته».

سأله فورد: «كيف لك أن تمتلك مالاً إن لم يكن أحدكم ينتج شيئاً؟ إن الأموال لا تنمو على الأشجار كما تعلم».

«لو سمحت لي بالمتابعة...»

أوماً فورد بكآبة.

«شكراً لك. منذ أن قررنا منذ أسابيع عدة أن نتخذ من أوراق الأشجار أوراقاً مالية، أصبحنا كلنا، بطبيعة الحال، أغنياء بشكل هائل».

حدّق فورد غير مصدق الحشد، الذين كانوا يتهامسون بتقدير هذه الفكرة ويشيرون بجشع إلى رزم أوراق الأشجار التي كانت محسوة في بزاتهم.

تابع المستشار الإداري: «لكننا واجهنا أيضاً مشكلة تضخم صغيرة نظراً لمستوى توافر الأوراق الكبير، ما يعني أنه، حسبما أعرف، معدل التبادل الحالي هو وفق ما يلي: ثلاث غابات موسمية تشتري حبة فول سوداني من السفينة».

أتى من الحشد تدمر مذعور، فأشار إليهم المستشار الإداري ليهدؤوا. تابع القول: «لذا من أجل تجنب هذه المشكلة، ونعيد تخمين قيمة الأوراق بشكل فعّال، نحن بصدد المباشرة بحملة نزع أوراق أشجار هائلة، و... إي، حرق كل الغابات. أعتقد أنكم توافقون بأن تلك حركة واعية في الظروف الراهنة».

بدا الحشد متردداً حول تلك الفكرة لثانية أو ثانيتين حتى أشار أحدهم إلى مقدار ما تزيده تلك الحركة من قيمة الأوراق التي في جيوبهم، عندئذ أطلقوا هتافات من الفرح وأعطوا المستشار الإداري احتفاءً مستديماً. أما المحاسبون بينهم فلقد تطلّعوا إلى خريف مريح.

شرح فورد بريفيكت قائلاً: «كلكم مجانيين».

اقترح قائلاً: «أنتم حمقى على نحو كبير».

عبر عن رأيه قائلاً: «أنتم ثلة من المجانين المختلين».

بدأ فيض الآراء ينعكس ضده، فما بدأ كتسلية ممتازة قد فسد، في رأي الحشد، وتحول إلى مجرد إساءة، فضجروا منها لأنها كانت موجهة إليهم على نحو أساسي.

استدارت فتاة التسويق إليه بعد أن استشعرت بهذا التحول في المزاج وسألته: «أيعقل أن يكون من أجل أن نتحقق مما كنت تفعله طوال تلك الشهور إذا؟ لقد غبت وأنت ذلك المتطفل منذ اليوم الذي وصلنا فيه». قال فورد: «كنّا في رحلة، ذهبنا لنختبر ونكتشف شيئاً ما عن هذا الكوكب».

قالت الفتاة بمكر: «أوه، لا يبدو ذلك متجاً لديّ»..

- «لا؟ حسناً، لدي أخبار لك يا حبيبي، لقد اكتشفنا مستقبل هذا الكوكب».

انتظر فورد أن يأخذ هذا البيان مفعوله. لم يكن له مفعول، لم يعرفوا ما الذي كان يتحدث عنه.

تابع: «لا يهم ما تختارون فعله من الآن فصاعداً، احرقوا الغابات، افعلوا أي شيء، فلن يكون له أدنى تأثير. فتاريخ مستقبلكم قد حدث، كل ما لديكم هو مليوناً سنة، في نهاية ذلك الوقت سيموت جنسكم، سيفنى وسيرتاح الكون منكم، تذكروا ذلك، مليوناً سنة!»

تمت الحشد بامتعاض، فلم يكن لزاماً على أناس أغنياء مثلهم أن يستمعوا إلى هذا النوع من الكلام الفارغ. ربما يمكنهم إعطاء هذا الرفيق بقشيشاً من ورقة أو ورقتين فيذهب بعيداً.

لم يكونوا محتاجين للانزعاج. كان فورّد يخرج بصمت من الأرض ويتوقف للحظة فقط ليهز رأسه على رقم اثنين الذي كان يطلق النار من مسدس الكيل-و-زاب خاصته على بعض الأشجار القريبة.

التفت مرة وقال: «مليوناً سنة!» وضحك.

قال القبطان بابتسامة استرضاء: «حسناً، ما يزال هنالك بعض الوقت من أجل الاستحمام قليلاً. هل يمكن لأحد أن يمرر لي الإسفنجة؟ لقد أوقعتها على الجانب».

الفصل الثاني والثلاثون

على بعد ميل أو أكثر عبر الغابة كان آرثر دينت منهمكاً بهمة في ما كان يفعل فلم يسمع فورد بريفيكت يقترب.

كان ما يفعله غريباً، وهذا ما كان: كان قد نحت شكلاً مربعاً كبيراً على قطعة من الصخر عريضة ومسطحة، قسمه إلى مئة وستة وتسعين مربعاً أصغر، ثلاثة عشر مربعاً في كل جانب.

و أكثر من ذلك، جمع كومة من الحجارة الصغيرة المسطحة ونقش على كل منها شكل حرف. جلس بكآبة حول الصخرة اثنان من السكان الأصليين الناجين حيث كان آرثر يحاول أن يعرفها المبدأ الدقيق المتجسد في هذه الحجارة.

حتى الآن لم يكونا يبليان بلاء حسناً، حاولا أن يأكلا بعضاً منها، يدفنا بعضاً، ويرميا البقية. حث آرثر أحدهما في نهاية المطاف على وضع بعض من الحجارة على اللوح الذي نقشه، فلم تكن منتظمة مثل التي تمكن من الحصول عليها في اليوم السابق. فمع التدهور السريع لمعنويات هذه المخلوقات بدا أن هنالك تدهوراً مماثلاً في ذكائهم الفعلي.

في محاولة لحثها، وضع آرثر عدداً من الحروف على اللوح بنفسه، ومن ثم حاول تشجيعها على إضافة المزيد بنفسيهما.

لم يكن الأمر يتم على خير ما يرام.

راقب فورد بصمت من جانب شجرة قريبة.

قال آرثر: «لا»، لواحد منهما كان قد بعثر للتو بعض الحجارة في نوبة من الكآبة السحيقة، «ال Q تسجل عشرة كما ترى، وهي على علامة كلمة ثلاثية، لذا... اسمع، لقد شرحت القواعد لك... لا لا، اسمع أرجوك، ضع عظم الفك ذاك... حسناً، سنبدأ من جديد، وحاولاً أن تركّزاً هذه المرّة».

اتكأ فورد بمرفقه إلى الشجرة ويده على رأسه.

سأل بهدوء: «ما الذي تفعله يا آرثر؟»

نظر آرثر إلى الأعلى دهشاً، باغته شعور بأن كل هذا قد يبدو تافهاً قليلاً. كل ما يعلمه أن الأمر كان سلساً جداً معه عندما كان طفلاً، لكن الأمور كانت مختلفة حينها، أو بالأحرى ستكون.

قال: «أحاول أن أعلم رجال الكهوف لعبة الكلمات».

قال فورد: «ليسوا رجال كهوف».

-«يبدون كرجال الكهوف».

ترك فورد الأمر يمرّ وقال: «فهمت».

قال آرثر بضجر: «إنه عمل صعب، الكلمة الوحيدة التي يعرفانها هي

الحوار، ومع ذلك لا يستطيعان تهجتها».

تنهد وجلس من جديد.

سأل فورد: «ما عساه يحقق ذلك؟»

انفجر آرثر بغضب: «علينا أن نشجعهم على التطور! على النمو!»
تمنى أن تلغي تنهيدة التعب ومن بعدها الغضب شعور التفاهة المهيمن عليه
الذي كان يعاني منه، لكنها لم تفعل، فقفز على قدميه وقال: «هل تستطيع أن
تتخيل كيف سيكون شكل العالم إن انحدر من هؤلاء... المخبولين، الذين
وصلنا معهم؟»

قال فورد رافعاً حاجبيه: «أتخيل؟ لا داعي لأن نتخيل. لقد رأيناها».

حرك آرثر ذراعيه بيأس قائلاً: «لكن...»

قال فورد: «رأيناها، لا مفرّ من ذلك».

ركل آرثر حجرة وسأل: «هل أخبرتهم عما اكتشفناه؟»

قال فورد من دون تركيز: «ماذا؟»

قال آرثر: «النرويج، توقيع سلارتيبارتفاست في النهر الجليدي.

هل أخبرتهم؟»

قال فورد: «ما الغاية؟ ما الذي سيعنيه الأمر لهم؟»

قال آرثر: «ما الذي يعنيه؟ ما الذي يعنيه؟ تعرف تماماً ما الذي يعنيه،

يعني أن هذا الكوكب هو الأرض! إنه موطني! إنه المكان الذي
ولدتُ فيه!»

قال فورد: «وُلدتَ؟»

- «حسناً، سأولد».

- «نعم، في غضون مليوني سنة، لم لا تخبرهم أنت بذلك؟ اذهب وقل لهم: معذرة، أريد أن أشير إلى أنه في غضون مليوني سنة سأولد على بعد أميال من هنا، وأسمع ما سيقولون. سيطاردونك إلى أعلى شجرة، ومن ثم يضرمون فيها النار».

تفكر آرثر في الأمر بتعاسة.

قال فورد: «واجه الأمر، أولئك المجانين هنالك هم أسلافك، وليس هؤلاء المخلوقات المسكينة هنا».

ذهب إلى حيث كان المخلوقان، القردان-البشريان، يتفحصان حجارة الأحرف بكسل وهزّ رأسه.

قال: «ضع لعبة الكلمات بعيداً يا آرثر، فهي لن تنقذ الجنس البشري، لأن هذه الأرض لن تكون للجنس البشري. يجلس الجنس البشري حالياً حول صخرة في الجهة المقابلة من هذه التلة يصنعون أفلاماً وثائقية عن أنفسهم».

أجفل آرثر وقال: «لا بد من شيء يمكننا فعله». اهتز بدنه بإحساس رهيب من الأسى يخبره بأن عليه أن يكون هنا، على الأرض، الأرض التي خسرت مستقبلها بكارثة اعتباطية مروّعة، والتي تبدو الآن أنها تخسر ماضيها أيضاً.

قال فورد: «لا، لا يوجد ما يمكننا فعله. هذا لا يغير من تاريخ الأرض، أتري، هذا هو تاريخ الأرض، شئت أم أبيت، إنك تنحدر من الغوغافرينشانين، وبعد مليوني سنة سيتم تدميرهم على أيدي الثوغونيين».

لا يتبدل التاريخ إطلاقاً كما تعلم، إنه متلائم مع بعضه مثل قطع لعبة تركيب الصور. الحياة، يا لها من شيء قديم وغريب، أليست كذلك؟»

التقط الحرف Q وقذفه في شجيرة بعيدة حيث أصاب أرنباً يافعاً. اندفع الأرنب بعنف مذعوراً ولم يتوقف حتى انقض عليه ثعلب وأكله، فاختنق الثعلب من إحدى عظام الأرنب ومات على ضفة مفيض جرفه فيما بعد.

في غضون الأسابيع التالية، داس فورد بريفيكت على كبريائه وأقام علاقة مع فتاة كانت تعمل كمديرة موظفين في غولغافرينشام، وانزعج بشدة عندما قضت نحبها فجأة كنتيجة لشربها مياه من بركة ملوثة بجثة الثعلب الميت. المغزى الوحيد الذي يمكن استقراؤه من هذه القصة هو أنه على المرء ألا يرمي الحرف Q في شجيرة، لكن لسوء الحظ هنالك أوقات يصعب فيها تفادي الأمر.

مثل معظم الأمور الحاسمة في الحياة، كانت سلسلة الأحداث هذه خفية تماماً لدى فورد بريفيكت وآرثر دينت. كانا ينظران بحزن إلى أحد السكان الأصليين يعبث بالحروف الأخرى بكآبة.
قال آرثر: «يا لتعاسة رجل الكهف اللعين».

- «ليسوا»...

- «ماذا؟»

- «آه، لا عليك».

أطلق المخلوق البائس صوت عويل مثيراً للشفقة، وضرب الصخرة بعنف.

قال آرثر: «كان ما جرى مضيعة لبعض الوقت بالنظر إليهم، أليس كذلك؟»

تمت المخلوق: «آه آه آرغغغغ»، وضرب الصخرة مجدداً.

- «لقد سبقهم عمال الهاتف بالتطور».

أصر المخلوق قائلاً: «آرغ، غر غر، غراه!» مستمراً بضرب الصخرة.

قال آرثر: «لم يستمر بضرب الصخرة؟»

قال فوردي: «أعتقد أنه يريدك في الأغلب أن تلعب معه لعبة الكلمات

من جديد، هو يشير إلى الحروف».

«من الممكن أنه هجأً crzjgrdwldiwdc من جديد، المسكين اللعين،

لا أنفك أخبره أن هنالك حرف g واحداً في crzjgrdwldiwdc».

ضرب المخلوق على الصخرة من جديد.

نظراً من فوق كتفه. جحظت أعينها.

ثمانية أحرف كانت موضوعاً في خط واضح هنالك بين خليط الحروف.

كانت تهجئ كلمتين.

الكلمتان هما: «اثنان وأربعون»^(١)

شرح المخلوق قائلاً: «غررراغ غه غه»، اكتسح الأحرف بغضب

وذهب يتسكع تحت شجرة قريبة مع زميله.

(١) في النص الأصلي Forty-Two وهي ثمانية أحرف.

حديق فورء وآرثر إليه؁ ثم حءقا بعضهما.

قالا لبعضهما: «هل تقول الأحرف ما أظن أنها تقوله؟»

قالا: «نعم».

قال آرثر: «اثنان وأربعون».

قال فورء: «اثنان وأربعون».

ركض آرثر إلى المخلوقين وصاح: «ما الذي تحاولان إخبارنا به؟ ما

الذي يفترض أن يعنيه ذلك؟»

تشقلب أحءهما على الأرض؁ ركل رجله في الهواء؁ وتشقلب مجدءاً

وغطّ في النوم.

وثب الآخر صاعءاً إلى شجرة؁ وراح يرمي حبات كستناء ضخمة

على فورء بريفيكت.

مهما كان ما أرادا قوله؁ كانا قد قالاه.

قال فورء: «تعرف ما يعنيه هذا».

- «ليس كلياً».

- «اثنان وأربعون هو الرقم الذي أعطانا إياه "الفكر العميق" كونه الإجابة

الجوهرية».

- «نعم».

- «والأرض هي الحاسوب الذي صممه الفكر العميق وبناءه لحساب سؤال

الإجابة الجوهرية».

- «هذا ما تم إقناعنا به».

- «وكانت الحياة العضوية جزءاً من مصفوفة الحاسوب».

- «إن كنت تقول ذلك».

- «أنا أقول ذلك، هذا يعني أن هؤلاء السكان الأصليين، هؤلاء القردة
البشريين هم جزء متكامل من برنامج حاسوب، ونحن والغولغافرينشانيون
لسنا كذلك».

- «لكن رجال الكهف ينقرضون، ومن الواضح أنه تم وضع الغولغافرينشانيين
لاستبدالهم».

- «بالضبط، لذا هل فهمت ما يعنيه هذا؟»

- «ماذا؟»

- قال فورد بريفيكت: «خطأ».

نظر آرثر حوله وقال: «هذا الكوكب يمضي وقتاً لعيناً منها».

ارتبك فورد لوهلة وقال في النهاية: «مع ذلك، لا بد أن ينتج منها
شيء ما، لأن مارفن قال إنه تمكن من رؤية السؤال مطبوعاً في سلاسل
موجات دماغك».

- «لكن»...

- «من الممكن أن يكون السؤال الخطأ، أو تحريف من الصحيح، لكن يمكنه
أن يرشدنا إن استطعنا إيجاده، لكنني لا أعرف كيف نستطيع ذلك».

اكتأباً لوهلة، وجلس آرثر على الأرض وراح ينتزع قطعاً من العشب، لكنه وجد أنها ليست وظيفة يمكنه أن ينهك فيها بعمق. لم يكن العشب ما يمكن له أن يصدّقه، بدت الأشجار بلا معنى، وبدا أن التلال الممتدة تمتد إلى اللامكان، وبدا المستقبل أنه مجرد قناة ليتم الزحف عبرها.

عبث فوردي بالسب-إيثا سينس-و-ماتيك، كانت صامتة، فتنهد ووضعها مكانها.

التقط آرثر واحداً من حجارة أحرف لعبته المصنوعة يدوياً. كان حرف T. تنهد وأنزله إلى مكانه مجدداً، الحرف الذي وضعه جانبه كان I، فهجأ IT، رمى زوجاً آخر من الحروف جانبها فظهر أنها S وH. بمصادفة غريبة عبّرت الكلمة الناتجة^(١) عن شعور آرثر حيال الأشياء في وقتها.

حدّق إلى الكلمة لهنيهة، هو لم يتقصد فعلها، كانت احتمالاً عشوائياً. انتقل دماغه ببطء إلى السرعة الأولى من ناقل الحركة.

قال بغتة: «اسمع يا فوردي، إن كان السؤال مطبوعاً على سلاسل موجات دماغي لكنني لست مدركاً له، عندئذ يجب أن يكون في مكان ما من لاوعيي».

- «نعم، أفترض ذلك».

- «لربما توجد طريقة لجذب هذه السلسلة اللاواعية».

- «آه حقاً؟»

- «نعم، بتقديم بعض العناصر العشوائية التي يمكن أن تُصاغ بوساطة تلك السلسلة».

(١) الكلمة الناتجة كانت SHIT وتعني غائط

- «مثل ماذا؟»

- «مثل أن أسحب الحروف من الكيس وأنا معصوب العينين».

قفز فورد على قدميه وقال: «رائع!» شد منشفته من محفظته وبعض العقد الأنيقة حولها إلى كيس.

قال: «جنون تام، هراء مطلق، لكننا سنفعله لأنه هراء رائع، هيا، هيا».

عبرت الشمس باحترام خلف غيمة، وتساقطت بضع قطيرات حزينة من المطر.

جمعا كل الأحرف المتبقية، رمياها في الكيس وهزّاهما.

قال فورد: «حسناً، أغلق عينيك، أخرج الحروف، هيا، هيا، هيا».

أغلق آرثر عينيه وأقحم يده في المنشفة الممتلئة بالحجارة. هزّ الحجارة، وسحب أربعاً منها وأعطاهما إلى فورد. وضعها فورد على الأرض بالطريقة التي تلقاها بها.

قال فورد: «W, H, A, T... على ماذا!» طرفت عيناه وأضاف: «أظن

أن الفكرة تنجح!»

دفع آرثر بثلاثة أحرف إضافية إلى فورد.

قال فورد: «D, O, Y، دوي. آه ربما لم تنجح».

- «هاك الثلاثة التالية».

- «O, U, G... دويوغ... أخشى أنها ليست منطقية».

أخرج آرثر حرفين آخرين من الكيس، وضعهما فوراً في مكانهما.
صاح فوراً: «E, T, دويوغيت... أنت تحصل! إنها تنجح! هذا
مذهل، إنها تنجح بحق!»

قال آرثر: «المزيد هنا». كان آرثر يرمي الأحرف محموراً بأسرع
ما يستطيع.

قال فوراً: «I, F, Y, O, U, ... M, U, L, T, I, P, L, Y ... ما الذي أنت
تحصل عليه إن أنت ضربت، ... S, I, X, ... ستة، B, Y, في، ستة في ... ما
الذي أنت تحصل عليه إن أنت ضربت ستة في ... N, I, N, E, ... ستة في
تسعة... توقف قليلاً وقال: «هيا، أين الحرف التالي؟»

قال آرثر: «إي، هذه هي المجموعة، هذا كل ما هناك».

اتكأ إلى الخلف مربكاً.

فتش مجدداً في المنشقة المعقودة لكن لم يكن هنالك أي حروف إضافية.

قال فوراً: «أتقصد أن الأمر انتهى؟»

- «انتهى الأمر».

- «ستة في تسعة. اثنان وأربعون»^(١).

- «انتهى الأمر، هذا كل ما هنالك».

(١) المفترض أن يكون الرقم سبعة، لكنه خطأ في النص الأصلي - المترجم.

الفصل الثالث والثلاثون

ظهرت الشمس وأشعت عليهما بمرح، غنى عصفور، وانبعثت نسمة دافئة عبر الأشجار، رفعت رؤوس الأزهار حاملة عطرها عبر الغابات. دندنت حشرة وهي تمر في طريقها لتقوم بما تقوم به الحشرات في آخر بعد الظهر. تحركت أصوات بخفة عبر الأشجار متبوعة بعد هنيهة بفتاتين توقفنا بدهشة لرؤية فورد بريفيكت وآرثر دينت يستلقيان، كما يبدو، على الأرض بكرب، لكن في الواقع يهتزان من ضحك صامت.

صاح فورد بريفيكت من بين لهثاته: «لا، لا تذهبا، سننضم إليكما في غضون لحظة».

سألت إحدى الفتاتين: «ما القصة؟» كانت الأطول والأنحف بين الاثنتين، وكانت مديرة موظفين فرعية في غولغافرنشام، لكنها لم تكن تحب وظيفتها كثيراً.

استجمع فورد نفسه وقال: «اعذراني، مرحباً، كنت أنا وصديقي نتأمل في معنى الحياة. أمر تافه».

قالت الفتاة: «أوه، هذا أنت، لقد صنعت عرضاً مسرحياً من نفسك بعد ظهر اليوم، كنت مضحكاً في البداية لكنك كنت مصيباً قليلاً».

- «أكنت كذلك؟ آه نعم».

سألت الفتاة الأخرى: «نعم، لم كان كل ذلك؟» كانت أقصر وبوجه دائري، في غولغافرنشام كانت مديرة فنون لشركة إعلانات صغيرة. بغض النظر عن حالات الحرمان التي كانت على هذا الكوكب، فلقد كانت تذهب إلى النوم كل ليلة وهي ممتنة بعمق لمعرفتها أنه مهما يكن الشيء الذي ستواجهه في الصباح فلن يكون مئة صورة متطابقة تقريباً لأنابيب معجون أسنان مشتعلة بكآبة.

قال فورد بريفيكت بسعادة: «لم؟ للا شيء. لا شيء لأني شيء. انضما إلينا. أنا فورد، هذا آرثر. كنا قد أوشكنا ألا نقوم بشيء على الإطلاق، لكن يمكن لذلك أن ينتظر».

نظرت إليهما الفتاتان بتردد.

قالت الطويلة: «أنا آغدا، وهذه ميلا».

قال فورد: «مرحباً آغدا، مرحباً ميلا».

قالت ميلا لآرثر: «ألا تتكلم إطلاقاً؟»

قال آرثر بابتسامة: «في آخر الأمر، لكن ليس بقدر فورد».

- «جيد».

كان هنالك توقف طفيف.

سألت آغدا: «ما الذي كنت تعنيه حول امتلاك مليوني سنة فقط؟ لم

أتمكن من فهم ما كنت تقوله».

قال فورد: «آه، ذلك. لا يهم».

قال آرثر بهزة كتف: «كل ما في الأمر أن الكوكب يتم تدميره لإفساح المجال في بناء معبر فضاء فوقي، لكن ذلك يبعد مليوني سنة، وفي كل الأحوال إنهم مجرد فوغونيين يفعلون ما يفعله الفوغونيون».

قالت ميلا: «فوغونيون؟»

- «نعم، لن تعرفيهم».

- «من أين أتت هذه الفكرة؟»

- «لا يهم الأمر حقاً، إنه أشبه بحلم من الماضي، أو من المستقبل».

ابتسم آرثر ونظر بعيداً.

سألت آغدا: «ألا يقلقك أنك لا تتكلم بأي شيء معقول؟»

قال فورد: «اسمعي، انسي الأمر، انسيه كله، لا شيء يهم، انظري، إنه يوم جميل، استمتعي به، الشمس، خضرة التلال، النهر في أسفل الوادي، الأشجار المحترقة».

قالت ميلا: «حتى لو كان مجرد حلم، فهو فكرة رهيبة، تدمير كوكب لصنع معبر فقط».

قال فورد: «أوه، لقد سمعت بالأسوأ، قرأت عن كوكب في البعد السابع تم استخدامه ككرة في لعبة بلياردو ما بين المجرات. تم إطلاقه مباشرة إلى ثقب أسود، فقتل عشرة مليارات شخص».

قالت ميلا: «هذا جنون».

- «نعم، ولم يسجل سوى ثلاثين نقطة».

تبادلت آغدا وميلا النظرات.

قالت آغدا: «اسمع، هنالك حفل بعد اجتماع اللجنة الليلية، يمكننا أن نحضرا إن أحببتما».

قال فوررد: «أجل، حسناً».

قال آرثر: «أحب ذلك».

بعد ساعات عدة جلس آرثر وميلا وراقبا شروق القمر فوق توهج الأشجار الأحمر الباهت.

بدأت ميلا تتكلم: «تلك القصة حول تدمير الكوكب...»

- «بعد مليوني سنة، نعم».

- «تقولها كأنك تعتقد حقاً أنها حقيقية».

- «نعم، أعتقد أنها كذلك، أظنني كنت هناك».

هزت رأسها بارتباك وقالت: «أنت غريب جداً».

قال آرثر: «لا، أنا عادي جداً، لكن حدثت لي بعض الأشياء الغريبة جداً، يمكنك القول إنني مختلف أكثر من الاختلاف».

- «وذلك الكوكب الآخر الذي تكلم عنه صديقك، الكوكب الذي دُفِعَ به إلى ثقب أسود».

- «آه، ذلك لا أعرف عنه شيئاً، يبدو كشيء من الكتاب».

- «أي كتاب؟»

توقف آرثر. قال في النهاية: «دليل المسافر إلى المجرة».

- «ما ذلك؟»

قال آرثر دينت: «آه، إنه شيء رميته في النهر هذا المساء. لا أظنني سأريده بعد الآن».

فهرس

الصفحة

أجزء الثاني

| | |
|----------------------------|----|
| المطعم في نهاية الكون..... | ٥ |
| مقدمة | ٧ |
| الفصل الأول | ١١ |
| الفصل الثاني | ٢١ |
| الفصل الثالث | ٣٩ |
| الفصل الرابع | ٤١ |
| الفصل الخامس | ٤٧ |
| الفصل السادس | ٦٣ |
| الفصل السابع | ٦٩ |
| الفصل الثامن | ٧٥ |
| الفصل التاسع | ٨٣ |
| الفصل العاشر | ٩١ |
| الفصل الحادي عشر | ٩٥ |

| | |
|-----|-----------------------|
| ١٠٧ | الفصل الثاني عشر |
| ١٠٩ | الفصل الثالث عشر |
| ١١٧ | الفصل الرابع عشر |
| ١٢١ | الفصل الخامس عشر |
| ١٣١ | الفصل السادس عشر |
| ١٥٥ | الفصل السابع عشر |
| ١٦٩ | الفصل الثامن عشر |
| ١٧٣ | الفصل التاسع عشر |
| ١٨١ | الفصل العشرون |
| ١٩٣ | الفصل الواحد والعشرون |
| ٢٠١ | الفصل الثاني والعشرون |
| ٢٠٧ | الفصل الثالث والعشرون |
| ٢٢١ | الفصل الرابع والعشرون |
| ٢٢٣ | الفصل الخامس والعشرون |
| ٢٢٩ | الفصل السادس والعشرون |
| ٢٣١ | الفصل السابع والعشرون |
| ٢٣٣ | الفصل الثامن والعشرون |

| | | |
|-----|-------|------------------------|
| ٢٤٣ | | الفصل التاسع والعشرون |
| ٢٥٣ | | الفصل الثلاثون |
| ٢٥٧ | | الفصل الواحد والثلاثون |
| ٢٧٣ | | الفصل الثاني والثلاثون |
| ٢٨٥ | | الفصل الثالث والثلاثون |
| ٢٨٩ | | الفهرس |

دوغلاس آدامز (١٩٥٢-٢٠٠١)

- كاتب بريطاني وروائي؛
- عمل في هيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C)
- من أعماله المؤلفة:
- * وكالة ديرك جنتلي للتحقيقات الشمولية، ١٩٨٧

علي ريشة

- مترجم سوري؛

- من أعماله المترجمة:

* أبناء أودن

۲۰۲۲

